بعد عام من الطوفان

تأملات .. وحلول .. وتوقعات

الشيخ د. رامي بن محمد الدالي

غزة – فلسطين

1446هـ - 2025م

المحتويات

الموضوع	الصفحة
رسالة (1): بعد عام من الطوفان.. تأملات، وحلول، وتوقعات	**1**
القسم الأول/ التأملات:	**2**
النظرة الأولى: الحرب ومفهوم العقاب	3
النظرة الثانية: التأصيل الشرعي لحرب طوفان الأقصى	25
النظرة الثالثة: تعانق السنن	29
النظرة الرابعة: تصحيح بعض المفاهيم والتصورات في البناء الفكري	43
النظرة الخامسة: حكم الجهاد في غزة في معركة الطوفان	50
النظرة السادسة: تأملات في سورة الإسراء	56
النظرة السابعة: سقوط نظام الأسد في سوريا	75
القسم الثاني/ التوقعات:	**93**
1. مصير ومآل الحرب والمفاوضات في غزة	96
2. المقاومة والحكم في غزة بعد الحرب وفي المرحلة القادمة	99
3. طرق ضعف دولة اليهود في المرحلة القادمة	104
4. انتخاب ترامب وتناغمه مع السنن	105
5. أشكال التغيير في الدول العربية في الموجة القادمة من الربيع العربي	108
6. مستقبل الثورة في سوريا	112
7. مآل جهود السلطة ضد المجاهدين في الضفة الغربية	114
8. النظام الدولي وميزان القوى	115
9. وقت المرحلة الثانية من الفتح "وهي دخول الأقصى وفتحه وزوال الكيان	116

المسخ" في غضون عشر سنوات	
10. طريقة مرحلة دخول الأقصى وفتحه القريب هي طوفان ثان يشبه الأول	124
القسم الثالث/ الحلول:	**126**
أولا: تحديد الهدف	128
ثانيا: تحديد الخلل	130
ثالثا: الحل والعلاج	137
خاتمة: مقتطفات من سيرة الإمام المجدد الأول الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى	**153**
رسالة (2): التعليق على عملية جباليا الثالثة	**165**
رسالة (3): لماذا طال أمد الحرب؟ (1)	**173**
رسالة (4): لماذا طال أمد الحرب؟ (2)	**181**
رسالة (5): {إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}	**194**
فهرس الموضوعات الإجمالي	**202**
فهرس الموضوعات التفصيلي	**204**

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله إمام المتقين المجاهدين وقائد الغر المحجّلين وعلى آله وصحبه ومن اقتفى أثره إلى يوم الدين، أما بعد.

فإنه بعد عام من معركة طوفان الأقصى العجيبة الفريدة المجيدة يجدر بنا أن نستشرفها لنستخلص منها أهم الحكم والعبر بإمعان التأمل والنظر، ثم نبني عليها أهم الحلول والتوقعات، والتي نحاول في هذا المستخلص أن نقدمها خالصةً سائغةً لقلوب الناظرين، سائلين المولى عز وجل القبول والنفع العميم[1][2].

([1]) صدرت هذه الرسالة في الأصل في أربعة أجزاء، من 3/ 11/ 2024م إلى 28/ 1/ 2025م.

([2]) أغلب موضوعات هذه الرسالة تم التطرق لها في عدد من **سلسلة الدروس التي عقدت أثناء الحرب** في عدد من مساجد مدينة غزة (مسجد سعد بن معاذ والذي قصف أثناء صلاة الفجر واستشهد فيه المصلون، ومسجد مدرسة التابعين الشرعية والذي قصف أيضا في صلاة الفجر واستشهد المصلون فيه كذلك، فحسبنا الله ونعم الوكيل)، وذلك عندما كانت الظروف الأمنية تسمح أحيانا بالصلاة في المساجد والمصليات، الرابط/ https://t.me/ramydaly/5684.

وكذلك في سلسلة دروس بعنوان "**فقه الجهاد في سبيل الله**"، بدأت قبل معركة طوفان الأقصى بشهرين، ثم تم استئنافها بعد الحرب قبل أن تعود مرة أخرى، **نسأل الله أن يردنا ردا جميلا، ونسأله سبحانه وتعالى أن يتمم هذه المجالس وينفع بها**، الرابط/ https://t.me/ramydaly/5822.

القسم الأول: التأملات

النظرة الأولى: الحرب ومفهوم العقاب

من المسلّمات المقررة شرعاً أن **الذنوب هي السبب الجوهري في المصائب والابتلاءات التي هي عقاب دنيوي معجَّل**، قال تعالى: {**وَما أَصابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِما كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ**} [الشورى: 30]، وقال: {**وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذابِ الْأَدْنى دُونَ الْعَذابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**} [السجدة: 21]، وقال: {**إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقالَ ذَرَّةٍ**} [النساء: 40]، وهذا أمر لا يخفى على المؤمن، ولكن هناك بعض دقائق السنن المتعلقة بهذا الأمر والتي قد تخفى وتحتاج إلى شيء من البيان؛ لتعلقها القوي بطبيعة هذه الحرب بحيث لا يمكننا تأصيل الحرب إلا بفهمها، ومنها:

أولاً: العلاقة بين العقاب والابتلاء:

بينهما تداخل وتقاطع، **فالعقاب نوعان:**

الأول: عقاب استئصال وإبلاس واستبدال: وهو عذاب محض لا اختبار وابتلاء فيه، كالعذاب الذي حل بالكافرين كعاد وثمود ويحل بأمثالهم من العصاة المتجبرين المعاندين ولو كانوا من أمة الإسلام كما أخبر النبي ﷺ عن بعض من سيصيبهم خسف ومسخ من أمّته، قال تعالى: {**وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثالَكُمْ**} [محمد: 38].

الثاني: عقاب تنبيه وإنذار، وهو: **لعلاج** خلل قد يستشري، **وتصحيح** مسار جانب الاستقامة ولا يؤوب أصحابه إليها، **وتطهير** من ذنب لم يرجع صاحبه عنه، ونحو ذلك مما يراد به العلاج والتصحيح.

وهذا العقاب **قد يتكرر ويشتد ليقوى التنبيه ويتأكد الإنذار وتنقطع الحجة**، وعادة ما يُسبق العقاب بأنواع أخرى من التنبيه والإنذار: كأن يسوق الله إليه من يعظه وينبهه، أو يريه سوء عاقبة فِعله في غيره ليعتبر، ونحو ذلك. وحتى العقاب **يأتي متدرجاً في العادة**، وذلك أن من عظيم رحمة الله تعالى وعدله أنه لا يعاجل أحداً بعقوبة حتى يبين له ما يتقي به، فهو سبحانه يحب الإعذار والإمهال، قال تعالى: {**لِئَلَاّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ**}

[النساء: 165]، وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "**وليس أحدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللَّهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَنْزَلَ الكِتَابَ وَأَرْسَلَ الرُّسَلَ**"[1].

وهذا الإنذار المتدرج يؤول إلى حالات:

1- **إما إلى العناد والتمادي والإصرار على المعصية والانحراف وعدم الأوبة والارعواء؛ فيكون ذلك سبباً في زيادة غضب الله تعالى،** ثم إما أن يؤخر العقاب والعذاب إلى الآخرة أو يوقع في الدنيا عقاب الاستئصال قبل عذاب الآخرة كما قال تعالى: **{إِمَّا الْعَذابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ}** [مريم: 75]، وقال: **{وَلَقَدْ أَخَذْناهُمْ بِالْعَذابِ فَمَا اسْتَكانُوا لِرَبِّهِمْ وَما يَتَضَرَّعُونَ (٧٦) حَتَّى إِذا فَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذابٍ شَدِيدٍ إِذا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (٧٧)}** [المؤمنون: 76-77]، أي تائهون حائرون لا منجى لهم، وقال: **{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (٤٢) فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٤٣) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ (٤٤) فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٥)}** [الأنعام: 42-45].

2- **وإما أن يؤول إلى يقظة وتوبة وإنابة؛ فيتبين أن الزجر فيه كان للجبر والتطهير** كما أخبر النبي ﷺ في قوله تعالى: **{مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ}** [النساء: 123] أنه بالنسبة للمؤمن فإن المصائب التي يصاب بها تكفر عنه خطاياه، **وهذا هو الأصل في العقاب الدنيوي بالنسبة للمؤمنين** لأن الله يريد أن يطهرهم، قال تعالى: **{مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}** [المائدة: 6]، ويريد أن يهديهم ويتوب عليهم **{يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}** [النساء: 26]، ويريد أن ينبههم على الخلل إن وُجد في قلوبهم أو أعمالهم ومسارهم ليستقيموا ويتقوا قال تعالى: **{لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}** [الروم: 41]، **{لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ}** [الزمر: 28]، **{لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ}** [الأنعام: 42].

([1]) متفق عليه: صحيح البخاري (7146)، وصحيح مسلم (2760) واللفظ له.

3- وهناك احتمال ثالث خاص بالمسلمين؛ وهو أن يتوب الله عليهم تكرماً وتفضلاً وهو أعلم بمن يَصلح لذلك من عباده، قال تعالى: **{إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ}** [النساء: 48].

فعقاب الإنذار داخل في الابتلاء لأن الابتلاء بمعنى الاختبار، بخلاف عقاب الاستئصال فهو عذاب محض لا اختبار فيه، **والفرق بينهما** أن الثاني يكون مباغتاً ماحقاً لا منجى منه يستأصل أهله المعاندين المحادّين لله تعالى ليستبدلهم الله بآخرين طائعين.

وعليه فإن هذه الحرب بمصائبها وويلاتها لو كانت عقاباً فهي من عقاب الإنذار لا الاستئصال والاستبدال؛ لأن الناس في غزة وإن كانت فيهم المعاصي إلا أنهم لا يحادُّون الله ورسوله ولا يحاربون دينه، والخير فيهم أغلب وأظهر، بل فيهم من يجاهد في الله حق جهاده وقد ضربوا أروع الأمثلة في ذلك قادةً وجنداً وهم يرفعون لواء الله ويبذلون من أجله دماءهم وأرواحهم وأغلى ما يملكون، **ومعركة الطوفان المجيدة وما سبقها وما تبعها من معارك أكبر شاهد على ذلك،** وهذا كله يدفع عذاب الاستئصال، وسيأتي مزيد بيان وتدليل على أن الجهاد في غزة لن ينكسر ويُستأصل بإذن الله تعالى.

والخلاصة:

- أن **العقاب** منه ما يقصد به الزجر مع الجبر والتطهير، ومنه ما يقصد به الزجر فقط والعذاب المحض، فالأول داخل في الابتلاء والاختبار دون الثاني.

- وأما **الابتلاء** فقد يكون بالمحن وغيرها كالمال والولد.

فالثاني ليس داخلا في العقاب، والأول يتقاطع معه، **فالمحن نوعان:**

الأول: مِحَن الإنذار: وهي في حقيقتها النوع الثاني من العقاب، ومقصدها الأساسي التنبيه على الخلل والإنذار رحمةً من الله تعالى فإن تنبه المنذَرون آل أمرهم إلى تطهير ورفعة وكمال، فالكمال ناشئ عن أوبتهم، ورجوعهم مشروط به، **ومثاله: ما حدث مع المسلمين في أحد وحنين.**

والثاني: محن يراد بها التطهير والتكميل ورفع الدرجات في الأساس دون الإنذار:
فالمراد بها مجرد التطهير من العيوب البشرية والتقصير في حق الله عز وجل مما لا يخلو منه بشر وتكفير الذنوب والأخطاء التي لا يخلو منها غير المعصومين ليكونوا أهلا لحمل لواء الله عز وجل ونصره في الدنيا وللمنازل والدرجات العلى في الآخرة، فهم كُمَّلٌ ضمن إطار الكمال البشري وميزان الشرع لكن الله تعالى يريد أن يزيد في كمالهم، دون وجود خلل في المسار أو إصرار على الخطأ، **فالمقصود منه الرفع والتكميل أساسا**، والكمال ناشئ عن الصبر والرضا والتطهر من الدنيا والخلوص لله تعالى بتأثير هذا البلاء والمحن **فلا يحتاج إلى تصحيح مسار لعدم وجود الانحراف أصلا**، بل هو دليل في ذاته على صحة المسار ومحبة الله تعالى، فعَنْ مُصْعَب بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ ﷺ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاءً؟ قَالَ: "**الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الصَّالِحُونَ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ مِنَ النَّاسِ**"[1]، **ومثاله: الابتلاءات الكثيرة التي تعرض لها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم**، كالحصار في شِعب أبي طالب وما حصل في الخندق وبئر معونة وغيرها وقد كان يوعك النبي ﷺ كما يوعك رجلان ويُزاد له في البلاء ليصل إلى درجة الوسيلة.

ثانياً: الفرق بين ابتلاء الإنذار والتنبيه والتسديد وابتلاء الرفع والتكميل:

ولا بد من معرفة هذا الفرق للإجابة عن السؤال المهم الذي يشخص لنا حقيقة هذه الحرب لمعرفة العلاج والمخرج وهو: هل هذه الابتلاءات والمحن العظيمة التي نعيشها في غزة الحبيبة هي من النوع الأول أم الثاني؟

وأهم الفروق بينهما فرقان ظاهران جليان، هما:

الأول: أن الأول عقوبة في حقيقته، بخلاف الثاني، وإن كان كلاهما رحمة وخير في المقصد العام كما بيّنت، وعليه فإن **العلامة الأساسية للأول وجود مقتضى العقاب** من وجود الخلل ومجانبة الاستقامة، وقد يكون الخلل خفياً يخشى من تفشيه واستقراره كأمراض القلوب مثل التعلق بالدنيا والعجب ونحوها مما قد يغفل عنه صاحبه نفسه كما حصل مع المؤمنين في أُحد وحنين، لكن المهم أن تكون هناك حاجة للتقويم والتنبيه بالألم

([1]) مسند أحمد (1481)، وجامع الترمذي (2398).

كما أن النار إذا اقتربت من النائم ولم ينفع التنبيه على الخطر بالحرارة أو الصوت كان التنبيه **بالشعور بألم الإحراق الخفيف والعذاب الأدنى** للاستيقاظ والنجاة من الإحراق المهلك والعذاب الأكبر رحمة من الله تعالى.

فهل كان عندنا خلل وذنوب استجلبت عقاب التنبيه والإنذار؟

في الواقع كل مطَّلع منصف سيجيب بالإيجاب، فقد تسرب الفساد في شتى الأنحاء الحياتية وأخذت مظاهره تزداد في الآونة الأخيرة دون أي رادع أو إصلاح حقيقي، حتى أخذت أحياناً طابع المجاهرة والإعلان، وسأتحدث في فقرة خاصة عن بعض هذه الذنوب التي لها أثر أساسي في استجلاب سنة عقاب التنبيه، وهناك بعض العلامات التي نصبها الله تعالى برحمته وفضله أدلةً على وجود الخلل إعذاراً للعباد سأذكرها بعد قليل في الفرق الثاني.

الثاني: أن ابتلاء الإنذار والتنبيه مشوب بغضب وشدة يصحبها شيء من الوهن والضعف، لكن الجبار تعالى لا يكسر إلا ليجبر، وذلك مثل ما حدث في غزوة أحد، **أما ابتلاء التكميل فيكون محفوفاً بالرحمة مهما اشتد،** وعلامة ذلك عدم الضعف والوهن بل الزيادة والكمال لأن الله تعالى يريد أن يتم نوره في أهله هؤلاء وبهم، كما قال تعالى في غزوة الأحزاب **{وَما زادَهُمْ إِلَاّ إِيماناً وَتَسْلِيماً}** [الأحزاب: 22]، وكما قال هرقل لأبي سفيان ﷺ لما سأله عن النبي ﷺ وأصحابه: "**وَسَأَلْتُكَ: هَلْ يَزِيدُونَ أَوْ يَنْقُصُونَ؟ فَزَعَمْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ، وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ حَتَّى يَتِمَّ**"[1].

ومن علامات ابتلاء التمكين أيضا:

1- **قوة التأييد الإلهي وزيادته، وعدم الخذلان؛** لأن الخذلان سببه الذنب والمخالفة كما قال تعالى في أُحد **{إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ}** [آل عمران: 155].

2- ومن مظاهر التأييد للشخص والجماعة: **الإقبال بقلوب العامة عليها، والعكس صحيح،** فقد مرت جنازة على النبي ﷺ فأثنى الناس عليها خيرا، فقال: "**وجَبَت**"، ثم مرت

([1]) متفق عليه: صحيح البخاري (7) و(51)، وصحيح مسلم (1773).

أخرى فأثنى عليها الناس شرا، فقال: "**وجَبَت**"، فقيل له: ما وجبت يا رسول الله؟ فقال: "**هَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا فَوَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَهَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا فَوَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، الْمَلَائِكَةُ شُهَدَاءُ اللهِ فِي السَّمَاءِ، وَالْمُؤْمِنُونَ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الْأَرْضِ**"[1]. وفي رواية: "**إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ شُهَدَاءُ**"[2]. وفي رواية: "**إِنَّ للهِ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ تَنْطِقُ عَلَى أَلْسِنَةِ بَنِي آدَمَ بِمَا فِي الْمَرْءِ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ**"[3]، وقال ﷺ: "**مَا مِنْ عَبْدٍ إِلَّا وَلَهُ صِيتٌ فِي السَّمَاءِ، فَإِذَا كَانَ صِيتُهُ فِي السَّمَاءِ حَسَنًا؛ وُضِعَ فِي الْأَرْضِ حَسَنًا، وَإِذَا كَانَ صِيتُهُ فِي السَّمَاءِ سَيِّئًا؛ وُضِعَ فِي الْأَرْضِ سَيِّئًا**"[4]، وهذا الثناء الحسن أو السيء إنما يؤخذ من أفواه الصالحين وكذلك عوام المسلمين الذين تُقبل شهادتهم ولا يُعرفون بسوء، وكذلك من الأدنَين العارفين بالحال لا الأبعدين غير العالمين بالدخائل كما قال ﷺ: "**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَشْهَدُ لَهُ ثَلَاثَةُ أَهْلِ أَبْيَاتٍ مِنْ جِيرَانِهِ الْأَدْنَيْنَ أَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ إِلَّا خَيْرًا؛ إِلَّا قَالَ اللهُ عز وجل: قَدْ قَبِلْتُ شَهَادَةَ عِبَادِي عَلَى مَا عَلِمُوا، وَغَفَرْتُ لَهُ مَا أَعْلَمُ**"[5]، ويفهم من ذلك أنه إذا اختلف هؤلاء الناس **فالحكم للغالب.**

– وبنظرة واقعية متحررة نجد أن ويلات هذه الحرب أضعفت كثيراً من الناس حتى من الصف المؤمن، وما زادتهم إيماناً ويقيناً، كما أنها أصابتهم بشيء من الهزيمة والضعف أمام عدوهم (وإن لم ينكسروا في حقيقة الأمر ولن ينكسروا كما سيأتي معنا بإذن الله) كما حصل تماماً في أُحد، حتى نجح العدو لعنه الله في اجتياح جميع مناطق القطاع وارتكاب شبه إبادة جماعية في الأرواح والممتلكات وذلك لأول مرة منذ اندحاره من القطاع قبل عشرين سنة، **ونجد ألسنة أغلب الناس في داخل غزة لا تثني خيراً إلا على الثلة المقاتلة والجانب الجهادي فقط دون الجوانب الأخرى السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها**، وهذا بخلاف الحروب السابقة والتي تعتبر إنذاراً أولياً وإعذاراً، ومن شأن الإنذار الأولي أن يكون خفيفاً نوعاً ما محتمَلاً ولا يترتب عليه ضعف كبير أو كسر، وهي إعذار

([1]) صحيح البخاري (2642)، وسنن النسائي (1933) واللفظ له.

([2]) سنن أبي داود (3233)، ومسند أحمد (10013).

([3]) مستدرك الحاكم (1397)، والأحاديث المختارة (2697)، وشعب الإيمان للبيهقي (8876).

([4]) مسند البزار (9202)، والمعجم الأوسط للطبراني (5248)، ومسند الشاميين للطبراني (2810).

([5]) مسند أحمد (8989) و(9295) و(13541).

أيضاً لأنه ما من أحد أحب إليه الإعذار من الله تعالى، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "**وَلَيسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللَّهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَنْزَلَ الكِتَابَ وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ**"[1]، **وقد كان من أهم الأعذار التي كان يتمسك بها من يتوانى في إنكار الفساد وإعلاء كلمة الله تعالى وتطبيق شرعه هو عدم القوة والتمكين في رأيهم، فنصرَنا الله عز وجل وأعزنا في عدة حروب ليجعل ذلك حجة على هؤلاء حتى إذا حل العقاب لم يكن هناك عذرٌ**، فالإعذار والإنذار داخلان في باب تعانق السنن وهو باب أصيل في فهم هذه الحرب كما سيأتي بإذن الله تعالى.

وعليه: فإن محن هذه الحرب وابتلاءاتها الشديدة هي من قبيل عقاب التنبيه والإنذار والتسديد والله أعلم.

- وقد أطلت النفَس في جزئية العقاب والابتلاء لسببين:

الأول: لأهميتها الشديدة، فهي أساس في فهم واقع الحرب، لأنه إذا لم نلحظ معنى العقوبة واعتبرناها ابتلاءَ تكميلٍ لا ابتلاءَ تنبيهٍ وتسديدٍ فلن نلحظ الخلل ولن نلتفت إليه مطلقاً، وبالتالي لن نسعى لإصلاحه بل سنتمادى فيه لأننا سنظن أن ابتلاء التكميل هذا دليلُ استقامةٍ، وهذا من أعظم أسباب إطالة أمد البلاء والعقاب والعياذ بالله، والعكس صحيح.

والثاني: أن كثيراً من الفضلاء يهرب من الواقع المرير إلى الأحلام الوردية التي يتمناها هو، فلا يحب أن يسمع كلمة "عقاب" ويظن أن ذلك معناه التفسيق والتضليل وأنه لا يليق بالمجاهدين الذين ضربوا أروع آيات الفداء وقد يُضعف من عزائمهم في هذا الوقت الحرج.

وأنا سأرد هنا رداً سريعاً مجملاً وسيأتي مزيد بيان لاحقاً في الثنايا إن شاء الله تعالى، فهؤلاء الأفاضل لهم بعض العذر؛ إذ إنهم تعودوا على مفهومٍ وتصورٍ خاص وهو أنّنا الطائفة المنصورة التي تمثل الإسلام والإسلامُ لا يخطئ ولا يأتيه الباطل، وتعودوا على مبدأ الثقة المطلقة بالقيادة، ونسوا أننا جماعة من المسلمين نقول ونعمل برأينا القاصر لا

([1]) متفق عليه: صحيح البخاري (7146)، وصحيح مسلم (2760) واللفظ له.

بوحي السماء فقد نصيب وقد نخطئ، وأن الله تعالى وإن كان بفضله قد منّ علينا بحمل لواء الجهاد وعوّدنا على منّه وكرمه إلا أنه عز وجل **لا يحابي أحداً ولو كان نبياً** كما حصل مع سيدنا يونس عليه السلام، **وسننه تعالى لا تتخلف ولا تتبدل، والإسلام دين واقع لا دين أحلام و أمنيات.**

كما أنهم –حفظهم الله ورعاهم– لم يدركوا **المعنى الدقيق لعقاب التنبيه والتسديد** وأنه في حقيقته الشرعية لا يعني التفسيق والتضليل مطلقاً، بل على العكس، فهو **يعني الاختصاص والاصطفاء والحب** لأن المقصود منه التنبيه والإصلاح كما مر، فعَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "**إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ**"[1]، أما من لا يحب فإنه تعالى يتركه ليتمادى في غيّه حتى إذا أخذه وقبضه لم يفلته، فعَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "**إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ، حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ**"[2].

وهذا الفهم الصحيح يجيب عن تساؤل كبير يدور في أذهان الكثيرين، وهو: **لماذا نحن بالذات نصاب بهذا البلاء العظيم على الخير والجهاد الذي عندنا؟ في حين لا يشاك الحكام الظالمون ممن حولنا بشوكة؟**

ونسي إخواننا الأحبة –عفى الله عنا وعنهم– كذلك حين ظنوا أنه لا يليق أن يوصف ما يحصل للمجاهدين بالعقاب أن الله تعالى وصف بنحو ذلك أفضل عباده، فالمسلمون مجمعون على أن الله تعالى عاقب آدم عليه السلام بإخراجه من الجنة، ويونس عليه السلام بالتقام الحوت له، وعاقب الصحابة رضي الله عنهم في أُحُد لمخالفة الرماة، وفي أول حُنينٍ لتسرُّب العُجب إلى القلوب، كما أن العقوبة لا تعني وجود الخلل عند كل المعاقَبِين؛ بل إن صاحب الخلل يعاقَب ومَن سواه يصيبه شؤم هذه العقوبة كما سيأتي بيانه بإذن الله، كما حصل مع نبينا الكريم ﷺ في أحد عندما أصيب، فقد قال تعالى: **{وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}** [الأنفال: 25].

([1]) مسند أحمد (23623) و(23641)، وجامع الترمذي من حديث أنس (2396).

([2]) متفق عليه: صحيح البخاري (4686)، وصحيح مسلم (2583).

– **وهذا الفهم والإفهام في هذا الوقت لا يضعف الهمم؛ بل يلهبها ويجعلها تسير في الاتجاه الصحيح**، والإنسان كائن مفكِّر بطبعه، فإن لم تملأ عقلَه وقلبَه بالتصورات الصحيحة امتلأ بالخاطئة ولم يتركه الشيطان، بل **هذا هو أنسب وقت لذلك لأنه الطريق إلى رفع البلاء**، وتأخيرُ البيان عن وقت الحاجة لا يجوز وهذا هو وقت الحاجة، وفائدة العلم أن يكشف الحق وقت الاشتباه وتكالبِ الظلم لا بعد انكشاف الظلمة وبزوغ النهار، ثم إن **هذا هو المنهج الرباني الحكيم من ناحية الصراحة والوضوح والوقت، فإن الحقائق والمبادئ تحتاج لرسوخها إلى الحسم والوضوح والمباشرة ولا تحتمل المجاملات والتأجيل**، فلم يجامل ربنا سبحانه أنبياءَه عندما قال الله تبارك وتعالى عن يونس عليه السلام: **{وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ (٤٨) لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ (٤٩)}** [القلم: 48–50]، وقال لأحب خلقه ﷺ: **{وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ}** [الأحزاب: 37]، وقال: **{وَلَوْلا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً (٧٤) إِذاً لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَياةِ وَضِعْفَ الْمَماتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنا نَصِيراً (٧٥)}** [الإسراء: 74–75]، وقال لخير الناس بعد الأنبياء في أُحُد: **{حَتَّى إِذا فَشِلْتُمْ وَتَنازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَراكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ}** [آل عمران: 152]، مع أن الحرب مع قريش لم تنته بعد وإنما انتهت بالأحزاب ثم فتح مكة، فإذا كان **هذا هو المنهج الرباني في أثناء الصراع فإنه الأحق بالاتباع**، ولابد أن تكون **المنافع المترتبة عليه من تصحيح المسار وترسيخ الأسس الصحيحة وغيره أكبر من أي مضار قد تتوهمها العقول.**

ثالثاً: أهم الذنوب الجالبة للعقاب والمضاعِفة له:

– إن من أهم هذه الذنوب هو **عدم تحكيم شرع الله تعالى وإعلاء كلمته في الأرض مع التمكن من ذلك**، والذي يشمل: عدم تحكيم الشرع **في النفس** باتباع الهوى والشيطان، **وفي الأهل والناس** بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتطبيق الشرع لتكون كلمة الله تعالى هي العليا لأن ذلك من أهم مظاهر الإيمان وشرائعه، قال تعالى: **{فَلا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً}** [النساء: 65]، وقوله: **{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِما أُنْزِلَ**

إِلَيْكَ وَما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً} [النساء: 60]، وقوله: **{وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (٤٧) وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ (٤٨) وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (٤٩) أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٥٠)}** [النور: 47–50] وقوله: **{وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْكافِرُونَ}** [المائدة: 44]، وقوله: **{ثُمَّ جَعَلْناكَ عَلى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْها وَلا تَتَّبِعْ أَهْواءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ}** [الجاثية: 18]، وقوله: **{وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (٤٩) أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٥٠)}** [المائدة: 49–50].

– وقد بين الله عز وجل أن **إقامة الدين وإعلاء كلمته سبب كل خير في الدنيا والآخرة**، قال تعالى: **{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٦٥) وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ (٦٦)}** [المائدة: 65–66]، وأن **التقصير في بعض ذلك هو سبب البلاء**، قال تعالى: **{فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنا بَيْنَهُمُ الْعَداوَةَ وَالْبَغْضاءَ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِما كانُوا يَصْنَعُونَ}** [المائدة: 14].

– كما أن هذا الأمر متعلق بجانب عقدي إيماني أصيل وهو **حاكمية الله تعالى المطلقة التي هي من مقتضيات ربوبيته**، فمن لم يُحكّم شرعه فقد نازعه في ربوبيته وحاكميته، وإن الإيمان هو أساس الرحمة ورفع البلاء والعكس صحيح، قال تعالى: **{فَلَوْلا كانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَها إِيمانُها إِلاّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنا عَنْهُمْ عَذابَ الْخِزْيِ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَمَتَّعْناهُمْ إِلى حِينٍ}** [يونس: 98].

– وأما الأحاديث التي تبين ذلك بكل وضوح فهي كثيرة، منها على سبيل المثال:

حديث السفينة المشهور، فَعَن النُّعْمَان بْن بَشِيرٍ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "**مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا: كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا. فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعاً**"[1]. فقد أخبر الرسول ﷺ أن أهل العلو لو تركوا أهل السفل يخرقون السفينة ليستقوا من الماء لهلكوا جميعاً، ولو أخذوا على أيديهم **وكانت كلمتهم هي العليا لنجوا جميعاً**، وكذلك المجتمع.

وأخبر أيضاً في الحديث الصحيح عَنِ الْمُنْذِرِ بْنِ جَرِيرٍ عَنْ أَبِيهِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**مَا مِنْ قَوْمٍ يَعْمَلُونَ بِالْمَعَاصِي وَفِيهِمْ رَجُلٌ أَعَزُّ مِنْهُمْ وَأَمْنَعُ لَا يُغَيِّرُونَ إِلَّا عَمَّهُمُ اللهُ عز وجل بِعِقَابٍ**"، أَوْ قَالَ: "**أَصَابَهُمُ الْعِقَابُ**"[2].

وَعَنِ ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنهُما قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**أَيُّهَا النَّاسُ: مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، قَبْلَ أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ فَلَا يَسْتَجِيبُ لَكُمْ، وَقَبْلَ أَنْ تَسْتَغْفِرُوا فَلَا يَغْفِرُ لَكُمْ**[3].. **وَإِنَّ الْأَحْبَارَ مِنَ الْيَهُودِ وَالرُّهْبَانَ مِنَ النَّصَارَى لَمَّا تَرَكُوا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ لَعَنَهُمُ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ أَنْبِيَائِهِمْ، ثُمَّ عَمَّهُمْ الْبَلَاءُ**"[4].

وعن زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ رضي الله عنها، زَوْج النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: قلت: يا رسول الله: **أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟** قَالَ: "**نَعَمْ، إِذَا كَثُرَ الخبث**"[5].

والمقصود والله أعلم: **إذا ظهر الخبث وغلبت كلمته،** لأن أهل السفل في حديث السفينة السابق مهما كثروا فإن كثرتهم لن تضر ما دام أهل العلو يأخذون على أيديهم ويمنعونهم ويغلبونهم على أمرهم، والخَبَث لا يكثر ويظهر أمره إلا إذا قصَّرنا في الأمر

([1]) صحيح البخاري (2493) و(2686) بلفظ "**مَثَلُ الْمُدْهِنِ فِي حُدُودِ اللَّهِ**".

([2]) مسند أحمد (19192)، وسنن أبي داود (4339) بلفظ "**يقدرُون على أن يُغيّروا عَلَيهِ فَلَا يُغيّرُوا**".

([3]) مسند أحمد (25255) وعنده زيادة: "**وَتَسْتَنْصِرُونِي فَلَا أَنْصُرُكُمْ**"، والمعجم الأوسط للطبراني (1367).

([4]) المعجم الأوسط للطبراني (1367).

([5]) متفق عليه: صحيح البخاري (3346)، وصحيح مسلم (2880).

بالمعروف والنهي عن المنكر، فهو السبب الأساسي للبلاء، وهذا يعطينا إشارة مهمة إلى أن **العبرة بالفرج والنجاة ليست بالضرورة في إصلاح جميع أفراد المجتمع أو أغلبهم، بل في غلبة كلمة الدين والشرع،** وهذا أهون بفضل الله لأنا لا نملك قلوب الناس. **أما كثرة الصلاح وقلة الذنوب في ذاتها فهي نافعة في أمر زائد وهو النصر المطلق والتمكين التام،** وهذه النقطة يجب حفظها لأنها ستنفعنا عند الحديث عن الحلول إن شاء الله تعالى.

– وأما **من جهة الدليل المقاصدي:** فإن توحيد الله وإقامة شرعه تعالى وأمره في النفس والناس والأرض هو المهمة الأساسية والمفهوم الأعم للعبادة التي خُلق الإنسان من أجلها، فهي معنى الخلافة التي خُلق آدم عليه السلام لأجلها، قال تعالى: **{إِنِّي جاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً}** [البقرة: 30]، فهو أساس العمل الصالح الذي يرضي الله تعالى، ورضاه من أهم أسباب رفع البلاء، ولذلك قال تعالى: **{وَما كانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرى بِظُلْمٍ وَأَهْلُها مُصْلِحُونَ}** [هود: 117] ولم يقل صالحون، وقال: **{كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ}** [آل عمران: 110].

فرَبَط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالإيمان؛ لأنهما من أهم مظاهره، وجعل ذلك كله أساس الخيرية في هذه الأمة على العالَمين، وهذا يعني أن **هذه الأمور الثلاثة هي أركان السيادة ووراثة الخلافة وأمانة الاستخلاف وضريبته التي تستوجب التمكين في الأرض،** ونقصها يستلزم نقص التمكين والابتلاء بقهر الأعداء، قال تعالى: **{الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عاقِبَةُ الْأُمُورِ}** [الحج: 41]، فهذه هي **أركان التمكين** كما يقول العلماء يكمل بقيامها كلها ويُسلب بانعدام أي منها، ولم يشترط الله تعالى لإقامتها التمكين التام بل **مطلق التمكين، فيجب فعلها بقدر الإمكان** ولا تسقط كباقي العبادات، قال تعالى: **{فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا}** [التغابن: 16].

وهذه الأركان تشمل الدين كله: فإقامة الصلاة تشير إلى أداء **حقوق الله تعالى،** وإيتاء الزكاة إلى أداء **حقوق الناس،** ويشمل ذلك الحدود وغيرها، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يشير إلى **إقامة كل ما أمر به الشرع وإزالة كل ما نهى عنه** فيشمل حتى المندوبات والمكروهات، وختم الله تعالى الآية بقوله: **{وَلِلَّهِ عاقِبَةُ الْأُمُورِ}** [الحج: 41]،

وذلك يشتمل على معنى عظيم، فكأنه تعالى **يطمئننا ويحذرنا في آن واحد**، فهو **يطمئننا** أننا إذا أقمنا هذه الأركان فإنه لن يضرنا أحد ولو تكالبت علينا الدنيا، لأن لله عاقبة الأمور فلا ينبغي أن تأخذنا فيه لومة لائم، **ويحذرنا** أنا إذا قصرنا في ذلك فإنه يسلب منا التمكين لأن الأمر كله بيده سبحانه.

ولذلك فإن **سلب التمكين منا في هذه الحرب فيه إشارة إلى تقصيرنا في أداء هذه الأركان.**

– **ومن منظور مقاصدي آخر:** فإن المقصود من الجهاد أصالةً هو أن تكون راية الله تعالى وكلمته هي العليا كما أخبر النبي، ﷺ فعَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ**"[1]، فإذا تمكن المجاهدون أيّ تمكينٍ ثم لم يحققوا هذه الغاية بقدْر الإمكان كان ذلك تولياً عن أمر الله تعالى وتقصيراً في حق اللواء يستوجب سلْبَه وسَلْبَ التمكين، وقد يستوجب الاستبدال كما أخبر تعالى، كما أن **جعْل الجهادِ –الذي هو وسيلةٌ– مقصوداً في ذاته تشويهٌ للمنهج الرباني.**

ومن مقتضيات إعلاء كلمة الله: وضوح الراية وخلوصها:

إن من أهم مظاهر إعلاء كلمة الله تعالى وضوح الراية وتمحضها من الشوائب والبدع، فإن **المعركة بيننا وبين أعدائنا معركة رايات في الأساس لتكون راية الله تعالى وكلمته هي العليا**، فهذا هو المقصود من الجهاد في سبيل الله تعالى كما سبق، لأنهم إنما **يحاربون الله تعالى في الحقيقة، ونحن جنده**، فكلما خلصت الراية حصل التأييد الإلهي، قال تعالى: {**بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ**} [الأنبياء: 18]، فعرَّف الحق تعريف استغراقٍ للصفات، أي الحق الصريح الكامل الخالص، فهذا الحق هو الذي يدفع الباطل (أي يضربه في أمّ دماغه فيقضي عليه قضاءً نهائياً)، وهذا يعني أننا نُصيب الباطل بقدر خلوص ووضوح الحق الذي نحن عليه، ولن نتمكن من دفعه والحصول على النصر والتمكين التام في الأرض إلا إذا كانت رايتنا تمثل الحق على أكمل وجه وأوضحه، وهو

([1]) متفق عليه: صحيح البخاري (123)، وصحيح مسلم (1924).

من المعاني الرئيسة لقوله تعالى: {**إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُم**} [محمد: 7] أي (بقدر نصركم لدين الله ينصركم)، وقد قال تعالى: {**وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَما لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِياءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ**} [هود: 113] فبقدر الركون إلى الظالمين بقدر انقطاع ولاية الله تعالى وتأييدِه وتخلُّفِ النصر، ومِن أعظم أوجه الركون وأظهرها: الركون إلى عقيدتهم بمدحها أو تزكيتها أو مجرد تعديلها.

- ومن الأمثلة على ذلك: العلاقة مع أهل البدع:

أساس هذه المسألة الخطيرة التي تمس العقيدة: **أن مجرد التحالف جائز ولو مع الكافرين،** وقد تحالف النبي ﷺ مع قبيلة خزاعة -على كفرهم- ضد قريش، واستعان بالكفار كما استعان بالمطعم بن عدي وبصفوان بن أمية ﷺ، وقبل ذلك استعان وتقوَّى بعمه أبي طالب. **ولكن يشترط في ذلك كله شرط أساسي وهو ألا يكون ذلك على حساب العقيدة،** أي لا يكون فيه أي تعديل وتصحيح للباطل؛ وذلك لأن الله تعالى ائتمنَنا على الدين الحق وجعلنا معياراً له في العالمين، قال تعالى: {**فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا**} [البقرة: 137]، فإن عدَّلْنا الباطل فقد خُنَّا الأمانة وحُرمنا الإمامة في الدين وخُذلنا وعُوقبنا في الدنيا والآخرة.

ولذلك جاء في الحديث عَنْ عَلِيّ ﷺ قَالَ: "**لَمَّا مَاتَ أَبُو طَالِبٍ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقُلْتُ: إِنَّ عَمَّكَ الشَّيْخَ الضَّالَّ قَدْ مَاتَ**"[1]، فبرغم كل ما قدمه للنبي ﷺ فإنه ﷺ كان واضحاً جداً في عقيدته، فلم يعدِّل عقيدته بل أخبر أنه كافر خالدٌ مخلد في نار جهنم وإن كان أقل أهلها عذاباً، فعَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: **يَا رَسُولَ اللهِ، عَمُّكَ أَبُو طَالِبٍ كَانَ يَحُوطُكَ، وَيَفْعَلُ،** قَالَ: "**إِنَّهُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ، وَلَوْلا أَنَا كَانَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ**"[2].

وكذلك لم يُثنِ ﷺ على المُطعم الذي أجاره وحماه لمَّا رجع ﷺ من الطائف ثناءً يُفهم منه تصحيح عقيدته أو تعديلها، بل هو كافر خالد مخلد في نار جهنم، لكنه أثنى عليه

([1]) مسند أحمد (708)، وسنن النسائي (2006).

([2]) متفق عليه: صحيح البخاري (3883)، وصحيح مسلم (209).

ثناءً دنيوياً يكافئ خدمته ونخوته، فعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **"لَوْ كَانَ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ حَيًّا فَكَلَّمَنِي فِي هَؤُلَاءِ النَّتْنَى أَطْلَقْتُهُمْ"**[1]، **(**يَعْنِي أُسَارَى بَدْرٍ**)، وهذا هو منتهى العدل و القسط والحكمة والتقوى والأمانة.**

وعليه فإنه **يجوز مجرد التحالف العسكري أو السياسي أو الاقتصادي ونحوه من الشؤون المادية الدنيوية مع الكفار، أو مع أهل البدع من باب أولى كالروافض (**وهم الشيعة الإمامية الإثنا عشرية الذين يُكفِّرون أغلب الصحابة وعلى رأسهم أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وإن كانوا يُظهرون خلاف ذلك من الترضي عنهم ونحوه عملاً بالتقية التي تُعد عندهم من أسس الدين ويتذرعون بها لنشر عقيدتهم وتصديرها، وتمثلهم اليوم إيران وأهم أذرعها كالحشد الشعبي وأحزاب الشيعة في العراق وحزب الله في لبنان والحوثيين في اليمن، فكلهم شيعة إمامية**)، بل ويجوز شكرهم أيضاً على صنائعهم ونخوتهم ومدحهم كذلك، ولا بأس في ذلك كله ولكن بشرط ألا يُفهم من ذلك تعديل عقيدتهم ومدح إيمانهم.**

فلا يجوز بحال أن نقول عن قائد من أهل البدع إنه **شهيد القدس؛** لأن القدس تقع في الصميم من عقيدتنا ولا يفتحها إلا أهل العقيدة الصحيحة والإيمان الخالص، فكأنه قال شهيد العقيدة الصحيحة، وهذا تعديل ومدح لعقيدته، والشهادة تزكية في ذاتها، فإذا أضيفت للعقيدة كانت تزكية لها.

ولا يجوز أن نقول كذلك إنهم من الجند الذين ورد ذكرهم في حديث ابْنِ حَوَالَةَ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **"سَيَصِيرُ الْأَمْرُ إِلَى أَنْ تَكُونُوا جُنُودًا مُجَنَّدَةً: جُنْدٌ بِالشَّامِ، وَجُنْدٌ بِالْيَمَنِ، وَجُنْدٌ بِالْعِرَاقِ"، قَالَ ابْنُ حَوَالَةَ: خِرْ لِي يَا رَسُولَ اللهِ إِنْ أَدْرَكْتُ ذَاكَ، قَالَ: "عَلَيْكَ بِالشَّامِ، فَإِنَّهُ خِيرَةُ اللهِ مِنْ أَرْضِهِ، يَجْتَبِي إِلَيْهِ خِيرَتَهُ مِنْ عِبَادِهِ، فَإِنْ أَبَيْتُمْ فَعَلَيْكُمْ بِيَمَنِكُمْ، وَاسْقُوا مِنْ غُدُرِكُمْ، فَإِنَّ اللهَ عز وجل قَدْ تَوَكَّلَ لِي بِالشَّامِ وَأَهْلِهِ"**[2]، لأن النبي ﷺ ذكرهم على سبيل التزكية وأنهم الذين يمثلون الإسلام ويرفعون راية الحق الخالص الذين يفتح الله تعالى على أيديهم.

([1]) صحيح البخاري (3139) و(4024).

([2]) مسند أحمد (17005)، وسنن أبي داود (2483).

ولا أن نقول مثلاً هؤلاء شرفاء هذه الأمة؛ لأن **شرفاء الأمة هم أكرمها وهم أتقياؤها** قال تعالى: **{إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}** [الحجرات: 13]. ونحو ذلك.

وهذا كله مع ما فيه فهو أيضاً يخالف منهج النبي ﷺ في الولاء والبراء والحب في الله والبغض في الله الذي يمثل أوثق عرى الإيمان، فقد كان ﷺ شديداً وواضحاً وحاسماً جداً مع أهل البدع كما ورد في الخوارج (الذين يكفِّرون بعض المسلمين ويقتلون أهل السنة بتأويلات باطلة)، فعن أَبَي أُمَامَةَ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "**كِلَابُ النَّارِ كِلَابُ النَّارِ – ثَلَاثًا–، شَرُّ قَتْلَى تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ، خَيْرُ قَتْلَى مَنْ قَتَلُوهُ**"[1]، مع كونهم مسلمين غير مخلدين في النار، بل أخبر ﷺ أننا نحقر صلاتنا إلى صلاتهم وصيامنا إلى صيامهم أي وجهادنا إلى جهادهم كذلك، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "**يَخْرُجُ فِيكُمْ قَوْمٌ تَحْقِرُونَ صَلَاتَكُمْ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَكُمْ مَعَ صِيَامِهِمْ، وَعَمَلَكُمْ مَعَ عَمَلِهِمْ**"[2]. ولكن مع ذلك وصفهم بهذا الوصف وغيره من الأوصاف الشنيعة في الأحاديث الصحيحة؛ لأن مسألة العقيدة ينبغي فيها الحسم وعدم التهاون مطلقاً لكن بالحكمة والقسطاس المستقيم الذي بيّناه سابقاً.

– ومن أعظم ما يبين أهمية وضوح راية الحق وتجردها ما دل عليه قول أحكم الحاكمين سبحانه: **{وَقالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِما قالُوا بَلْ يَداهُ مَبْسُوطَتانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْياناً وَكُفْراً وَأَلْقَيْنا بَيْنَهُمُ الْعَداوَةَ وَالْبَغْضاءَ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ كُلَّما أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَساداً وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ}** [المائدة: 64]، فقد وعد سبحانه أن يطفئ نار الحرب إن أوقدوها في وجه المؤمنين، فالحديث هنا عن الصراع مع المؤمنين خاصة لأن الآية ذُكرت في سياق خطاب المؤمنين بأخص خصائص الإيمان وهو الولاء والبراء ابتداءً من قوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصارى أَوْلِياءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}** [المائدة: 51]، وأخبر بأن أهم أسباب إطفاء الحرب يكون بإلقاء العداوة والبغضاء بينهم

([1]) مسند أحمد (22208)، وجامع الترمذي (3000).

([2]) متفق عليه: صحيح البخاري (5058)، وصحيح مسلم (1065).

فيفرق كلمتهم ويوهنها، وأخبر أن سبب هذا الإلقاء هو طغيانهم وكفرهم كما في قوله تعالى: **{فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنا بَيْنَهُمُ الْعَداوَةَ وَالْبَغْضاءَ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ}** [المائدة: 14].

فيتضح من السياق أن زيادة العداوة والبغضاء بينهم مرتبطة طردياً بزيادة طغيانهم وكفرهم، وبيّن سبحانه أن ما أنزله إلينا من الوحي والحق يزيدهم طغياناً وكفراً لأنه يبين لهم الحق الخالص فيعادونه ويصرّون على كفرهم وباطلهم فيزدادون بذلك طغياناً وكفراً.

إذن كلما كانت الراية التي تواجههم تمثل الحق الخالص والدين النقي كلما ازدادوا طغياناً وكفراً بمحاربتها فتزداد العداوة والبغضاء بينهم فتُطفأ نار حربهم بإذن الله، بخلاف ما لو كانت الراية مغبشة أو غير إسلامية فقد يطول إطفاؤها عندئذ أو لا تُطفأ وينتصرون كما حصل في حروب 1948 و1967م وغيرها.

ويؤيد ذلك قوله تعالى: **{كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ}** [آل عمران: 110]، ثم قال بعدها مباشرة عن اليهود: **{لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَاّ أَذىً وَإِنْ يُقاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ}** [آل عمران: 111]، فبيَّن تعالى أن هزيمتهم وانكسارهم هو بحفاظنا على مقام الخيرية والإمامة القائمة على أساس رفع كلمة الله تعالى وإظهار دينه.

– وهذه المسألة المهمة –أعني وضوح الراية وتمحضها للحق– ينبغي أيضاً ألا ننساها لأننا سنعود إليها عند الحديث عن الحلول بإذن الله تعالى.

أهم العوامل المضاعِفة للعقاب:

هناك عوامل خارجية تؤدي إلى مضاعَفة العقاب يجب معرفتها للنظر هل هي متحققة فينا أم لا، ومن أهمها عاملان:

الأول: علو الرتبة:

فكلما علت الرتبة تضاعف العقاب كما يتضاعف الأجر، قال تعالى عن يونس عليه السلام: **{فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**

(١٤٤)} [الصافات: 143-144]، وقال: **{وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا (٧٤) إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا (٧٥)}** [الإسراء: 74-75]، وقال لأزواجه رضي الله عنهن: **{يَانِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (٣٠) وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا (٣١)}** [الأحزاب: 30-31]، وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدرِيّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "**إِنَّ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَى اللهِ عز وجل يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَقْرَبَهُمْ مِنْهُ مَجْلِسًا إِمَامٌ عَادِلٌ، وَإِنَّ أَبْغَضَ النَّاسِ إِلَى اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَشَدَّهُ عَذَابًا إِمَامٌ جَائِرٌ**"[1].

وكذلك حملة لواء الدين من العلماء والمجاهدين وقد أخذ الله عليهم المواثيق الخاصة كما في قوله تعالى: **{وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ}** [آل عمران: 187]، فإنهم لن يقوموا بحق هذا اللواء إلا إذا أَعطوه حقه فأخذوه بقوة **{خُذُوا مَا آتَيْناكُمْ بِقُوَّةٍ}** [البقرة: 63]، وقال تعالى للحواريين: **{فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذاباً لَا أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ الْعالَمِينَ}** [المائدة: 115]، وكان أبو سعيدٍ وغيره من الصحابة ﷺ يقولون للتابعين: "**إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا لَهِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعْرِ، كُنَّا نَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ الْمُوبِقَاتِ**"[2].

ونحن في الشام قد أكرمنا الله تعالى بعلو المرتبة وجعلنا أمناء على دينه:

1_ **فعمود الكتاب بالشام،** فعن عَمْرو بْن الْعَاصِ ﷺ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: "**بَيْنَا أَنَا فِي مَنَامِي، أَتَتْنِي الْمَلَائِكَةُ فَحَمَلَتْ عَمُودَ الْكِتَابِ مِنْ تَحْتِ وِسَادَتِي، فَعَمَدَتْ بِهِ إِلَى الشَّامِ، أَلَا فَالْإِيمَانُ حَيْثُ تَقَعُ الْفِتَنُ بِالشَّامِ**"[3]، وفيه إشارة إلى أن الخلافة الراشدة الثانية التي **نحن وقودها** بإذن الله تعالى ستكون في الشام كما هو معروف عند أهل العلم.

([1]) مسند أحمد (11174)، وجامع الترمذي (1329).

([2]) صحيح البخاري (6492) من حديث أنس، ومسند أحمد (10995) من حديث أبي سعيد، ومسند الدارمي (2810) من حديث عبادة بن قُرْط، رضي الله عنهم.

([3]) مسند أحمد (17775) من حديث عمرو و(21733) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنهما.

2_ وجعلَنا كذلك **معيارَ الصلاح في الأمة**، فعن مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ عَنْ أَبِيهِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**إِذَا فَسَدَ أَهْلُ الشَّامِ فَلَا خَيْرَ فِيكُمْ**"[1]، وقد أكرمنا الله تعالى في غزة بالذات بشيء من التمكين والعزة ليبلوَ قيامنا بدينه سبحانه مع هذه الفسحة من التمكين، **وأُولى مهمات حملة اللواء عند أيّ تمكينٍ هي إقامة أمر الله تعالى وشرعه ورفع كلمته لتكون هي العليا**، لأن ذلك هو المقصد الأسمى من الجهاد وهو معنى الخلافة التي خُلق لها الإنسان كما مر معنا، وهي وإن كانت مهمة كل إنسان في نفسه إلا أنها **تتأكد على من نَصَّبوا أنفسهم لحمل لواء الدين**، فيستحقون العقاب بالتقصير، ويكون **العقاب الذي يجلبونه على أنفسهم والناس أشد من العقاب الذي يجلبه العوام**، ويشير إليه حديث ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "**لَا يَسْتَرْعِي اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَبْدًا رَعِيَّةً، قَلَّتْ أَوْ كَثُرَتْ، إِلَّا سَأَلَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَقَامَ فِيهِمْ أَمْرَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَمْ أَضَاعَهُ؟ حَتَّى يَسْأَلَهُ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ خَاصَّةً**"[2]، فيَعظُم السؤال والحساب كلما عظمت المسؤولية والأمانة.

ولذلك فإنه في غزوة أُحد لما رجع ثلث الجيش –أي حوالي 300 رجل– قبل بدء المعركة مع رأس المنافقين ابن سلول لم يعاقِب الله تعالى المسلمين؛ لأن هؤلاء كان بعضهم من المنافقين و أكثرهم من **العوام** الذين لم يرسخ الإيمان في قلوبهم بعد، ولكن لمَّا خالف أربعون رجلاً فقط من الرماة أمْرَ النبي ﷺ ونزلوا عن الجبل عُوقبوا وأصاب شؤمُ معصيتهم الجيش كله؛ لأن هؤلاء من **الصفوة** الذين أخذوا على عاتقهم حمل لواء الدين والجهاد، وعلى العكس من ذلك في قصة طالوت وجالوت حيث تخاذل أكثر بني إسرائيل وثبتت الصفوة القليلة وأدت ما عليها من حق اللواء فنُصروا ولم يعاقب الله تعالى بني إسرائيل؛ لأن **الصفوة تمثل القلب الذي هو محل نظر الله في الجسد**.

ولذلك أيضاً قال أبو بكر ﷺ لما دَخَلَ عَلَى امْرَأَةٍ عجوز مِنْ أَحْمَسَ يُقَالُ لَهَا زَيْنَبُ قَالَتْ: مَا بَقَاؤُنَا عَلَى هَذَا الْأَمْرِ الصَّالِحِ الَّذِي جَاءَ اللهُ بِهِ بَعْدَ الْجَاهِلِيَّةِ؟ قَالَ: "**بَقَاؤُكُمْ عَلَيْهِ**

([1]) مسند أحمد (15596)، وجامع الترمذي (2192).

([2]) مسند أحمد (4637).

مَا اسْتَقَامَتْ بِكُمْ أَئِمَّتُكُمْ"[1]، وهي **كلمة عظيمة خطيرة من صِدِّيق ملهَم**، وكان الإمام أحمد رحمه الله تعالى يقول: "لو كانت لي دعوة مستجابة لجعلتها للإمام"، لأنه بصلاحهم تصلح الرعية، **والشعوب على دين ملوكها** كما يقرر العلماء.

الثاني: الاستخفاف بالذنب:

وقد يحصل ذلك لسببين: **الأول: الاستهانة بمقام الله العظيم:**

وهذه كبيرة بذاتها قد تفضي إلى الكفر والعياذ بالله ولو كان الذنب نفسه صغيرة، فهو أمر خطير مستقل عن الذنب نفسه، وهو من أعظم ما يوجب العقوبة في ذاته ويضاعف العقوبة على الذنب المصاحب لها، فكيف إذا كان الذنب المقترَف كبيرة أو كفراً في ذاته أيضاً؟! ومن أعظم الأمثلة على ذلك سب الدين والذات الإلهية، **وقد تسرب هذا الداء العضال في مجتمعنا قبل الحرب بقوة بعد أن كاد يتعافى منه في السنوات السابقة، وذلك نتيجة تراخي قبضة السلطة الحاكمة عن هؤلاء المجرمين بشكل أساسي**، ولو تحقق تعظيم الله تعالى في القلوب لما تجرأت الألسنة على سب خالقها رب السماوات والأرض ولما توانت عن الضرب بيد من حديد على كل من يجرؤ على ذلك كما قال الإمام سفيان الثوري رحمه الله: إني لأرى المنكر فلا أستطيع أن أُغيِّره فأرجع إلى بيتي فأبول دماً، أي **من القهر وشدة الغيرة على دين الله تعالى.**

الثاني: الجهل بعظم الذنب وخطورته:

قال تعالى: {**وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ**} [النور: 15]، فيكون ذلك سبباً في مضاعفة العقوبة من حيث لا نعلم، وذلك إذا ضَعف العلم **بموازين الشريعة** وضَعف الحرص عليها وغلبت السياسة والنظرة المصلحية المادية، ولذلك لم نعد نركز ونستفرغ كل وسعنا وطاقتنا في إقامة شرع الله تعالى ورفع كلمته والأمر بالمعروف شرعاً والنهي عن المنكر شرعاً والقضاء على الظلم والفساد؛ مع أن مهمة الحاكم الأساسية هي: "حراسة الدين وسياسة الدنيا به" كما يُجمع العلماء، والتقصير في كل ذلك من أعظم ما يجلب العقوبة كما مر معنا، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ويظنون أن قيامنا بواجب الجهاد يكفينا

([1]) صحيح البخاري (3834)

وأن الأهم هو إطعام الناس للحفاظ على الحاضنة الشعبية، ونسوا أن القلوب ومقادير الأمور كلها بيد الرزاق ذي القوة المتين سبحانه، فعن عائشة رضي الله عنها ﵂ قالت: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "**مَنِ التَمَسَ رِضَاءَ اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللَّهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ، وَمَنِ التَمَسَ رِضَاءَ النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ**"[1]، فمَن أرضى الناس في سخط الله تعالى سخط الله عليه وأسخط عليه الناس، ومَن أسخطَ الناسَ في رضى الله أرضاهم عليه ورضي عنه، وإن أركان التمكين قائمة على إقامة شرع الله تعالى ومراعاة رضاه لا رضا الناس كما مر معنا.

ويكفي في ذلك قوله تعالى: **{وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقامُوا التَّوْراةَ وَالْإِنْجِيلَ وَما أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ ساءَ ما يَعْمَلُونَ}** [المائدة: 66]، أما بالنسبة لواجب الجهاد فنِعم العبادة هو، وهو ذروة سنام الإسلام بلا شك، ولكنه ليس مقصوداً لذاته بل هو وسيلة لإقامة أمر الله وتوحيدِه ورفعِ كلمته في الأرض تحقيقاً لمقصد الخلافة الذي خُلق الإنسان من أجلها، فإذا قُدمت الوسيلة على المقصد اختل المنهج والمسار كما مر.

– ولتوضيح ذلك أكثر نقول: لو أنا سألْنا: **ما حكم مَن ترك الجهاد في سبيل الله تعالى وهادن اليهود أو طبَّع معهم؟** فسرعان ما سيجيب العقلاء المؤمنون كلهم بصوت رجل واحد: هذه خيانة. فكيف إذا علمنا أن الجهاد وسيلة لإقامة شرع الله تبارك وتعالى ورفع كلمته بقدر الإمكان! فكيف بمن ترك المقصد من الجهاد مع الإمكان؟ **والمقاصد أثقل في ميزان الشرع والعقل من الوسائل،** وهذا خلل في أساس التربية يجب إصلاحه، حيث إننا نربي أبناءنا على حب الجهاد وتعظيمه دون التركيز على المقصد منه وبيان أهميته العظمى وخطورته وتعلُّقه الوثيق بالعقيدة والتوحيد، ومن أقوى الآيات المبينة لخطورة هذا الأمر قوله تعالى: **{قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتابِ لَسْتُمْ عَلى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْراةَ وَالْإِنْجِيلَ وَما أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ}** [المائدة: 68].

([1]) جامع الترمذي (2414).

– وقد يسأل سائل: **هل يحاسَب الأئمة أو الحكام إذا زاغ الواحد منهم أو زلّ بجهل دون سوء نية؟**

والجواب: إن الزلة والزلتان لا توجبان عقوبة إن كانت باجتهاد خاطئ، ولكن إن استمر على ذلك دون أوبةٍ فإن ذلك موجِبٌ للعقوبة لتقصيره في معرفة الحق والعمل به، وهذه من خصائص الإمامة في الدين، فعَنْ أَبِي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "**مَا بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبِيٍّ وَلَا اسْتَخْلَفَ بَعْدَهُ مِنْ خَلِيفَةٍ إِلَّا كَانَتْ لَهُ بِطَانَتَانِ: بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ وَتَنْهَاهُ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَبِطَانَةٌ لَا تَأْلُوهُ خَبَالًا تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، وَهُوَ مَعَ الَّتِي تَغْلِبُ عَلَيْهِ مِنْهُمَا، وَمَنْ وُقِيَ شَرَّ بِطَانَةِ السُّوءِ فَقَدْ وُقِيَ**"[1]، فدل على أن الله تعالى ييسّر له السداد ويقيم عليه الحجة فإن حادَ مع تسديد الله له دل ذلك على تقصيره وأنه ليس بأهلٍ.

ويدل عليه بشكل أوضح هذه الرواية الصحيحة: فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: "**مَنْ وَلِيَ مِنْكُمْ عَمَلًا فَأَرَادَ اللهُ بِهِ خَيْرًا جَعَلَ لَهُ وَزِيرًا صَالِحًا، إِنْ نَسِيَ ذَكَّرَهُ، وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ**"[2]، **والأمر نِسبيٌّ: فبطانة السوء للأمير في حركة إسلامية مجاهدة مثلاً لن تأمره بشرب الخمر ونحوه، ولكن تأمره بترك الأصلح أو ترك الواجب بأن تزيّن له أنه ليس بواجب،** وقد أجمع العلماء على أن الأمير يجب عليه فعل الأصلح لرعيته ولا يكفي فعل الصالح، فإن ترك الأصلح فقد قصر وأساء، فعن مَعْقِل بْن يَسَار ﷺ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "**مَا مِنْ أَمِيرٍ يَلِي أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ لَا يَجْهَدُ لَهُمْ وَيَنْصَحُ إِلَّا لَمْ يَدْخُلْ مَعَهُمُ الْجَنَّةَ**"[3]، قال الإمام النووي رحمه الله: "إما بتضييعه تعريفَهم ما يلزمهم من دينهم وأخذَهم به، وإما بالقيام بما يتعين عليه من حفظ شرائعهم والذب عنها لكل متصد لإدخال داخلة فيها أو تحريف لمعانيها، أو إهمال حدودهم، أو تضييع حقوقهم، أوترك حماية حوزتهم ومجاهدة عدوهم، أو ترك سيرة العدل فيهم"[4].

([1]) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (36/ 416).

([2]) سنن النسائي (4204)، وسنن أبي داود (2932).

([3]) صحيح مسلم (142).

([4]) شرح مسلم للنووي (2/ 166).

النظرة الثانية: التأصيل الشرعي لحرب طوفان الأقصى:

ومما تجب معرفته للبناء عليه –وهو مبني أيضا على ما سبق– هو التأصيل الشرعي لهذه الحرب، وذلك على النحو التالي:

مما لا شك فيه أن **سيرة النبي صلى الله عليه وسلم تستوعب كل الظروف والأحوال التي تمر بها الأمة في تاريخها؛ لأنه ﷺ أسوة للعالمين إلى يوم القيامة، وإنّ أقرب واقعة تشبه ما نحن فيه ويمكن أن نستخلص منها العبر والمخرج: هي غزوة أحد،** على نحو ما يلي:

1/ لَمَّا خالفوا أمر النبي ﷺ عاقبهم الله تعالى فأصابهم القتل والجراح ونزع منهم النصر، وهو من **عقاب التنبيه والتسديد** كما مرَ معنا، ونلاحظ في ذلك المعاني التالية (وهي تعزيز لما أسلفناه في النظرة الأولى):

– أن **عقاب التنبيه في الدنيا سُنَّةٌ إلهيةٌ لا تتخلَّف ولا يحابي فيها اللهُ تعالى أحداً،** ولو نبياً كيونس عليه السلام، ولذلك كان ما حدث مع الصحابة رضوان الله عليهم الذين هم خير الناس بعد الأنبياء في أُحدٍ عقاباً بالنص والإجماع، قال تعالى: **{أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ}** [آل عمران: 165]، وفي بدر قال لهم: {﴿**لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**} [الأنفال: 68]، وقال لهم لو تخلفوا عن أمرٍ واحدٍ فقط كالصدقة مثلاً: **{هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ... وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ}** [محمد: 38]، وهذا ما تعلّموه من أُحُدٍ حتى خاف الصِّدّيق رضي الله عنه –حين كلَّمَه الصحابةُ رضي الله عنهم أن يستبقيَ جيشَ أسامة رضي الله عنه– على نفسه الفتنة، مستشهداً بقوله تعالى: **{فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}** [النور: 63].

– لكن هذا العقاب بالنسبة للمؤمن إنما هو تكفير وتطهير إن صبر وتاب وارعوى؛ لأن المقصد منه الإيلام الذي يوقظ صاحبه ليحترس من الخلل والخطر الذي يضره، فهو

رحمة في حقيقته؛ ولذا قال تعالى في بيان الحِكمة منه: **{لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}** [الروم: 41]، **{لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ}** [الزمر: 28]، وقال ﷺ: "**إِذَا أَحَبَّ اللهُ قَوماً ابْتَلَاهُمْ**"[1].

– كما أن **العقاب يعمّ**، قال تعالى: **{وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً}** [الأنفال: 25]، ولذا عَمَّ شؤمُ العقابِ النبيَّ ﷺ وباقي المؤمنين الصادقين في أحد حتى شُجَّ رأسُه وكُسرت رَباعيتُه ﷺ، وهذه نقطة قرآنية مهمة.

فالمحصلة أن العقاب إذا أصاب المؤمنين فلا يعني ذلك أنهم جميعا فسقةٌ أو لا يستحقون الرحمة، بل على العكس هو عين الرحمة إن فقهوا مقصده، وكونه عقاباً بسبب المذنبين لا يعني أنه عقابٌ لغير المذنبين، بل شؤمه هو الذي يصيب غير المذنبين ليبتليهم الله تعالى وينظر كيف يعملون وهل يقومون بواجب الإصلاح أم لا.

وما أصابنا من مصائب عظيمة في هذه الحرب على كل المستويات –ومنها العسكري– هو عقوبة واضحة بما كسبت أيدينا، وقد سبق بيان علامات ذلك، فلابد من التفتيش عن السبب والخلل لإصلاحه؛ لأنه السبيل لرفع العقوبة والبلاء، **والسبب الواضح: هو عدم تطبيق الشريعة بقدر الإمكان**، بل السماح والترخيص للفساد أحياناً! وأننا لم نأخذ ديننا بقوة كما أمرنا الله تعالى، ونحن حملة لواء الدين، وحقُّه أن نأخذه بقوة، وإلا لم نكن أهلاً لرفعه وأصابتنا سنة الاستبدال والذي **نسأل الله أن يكون استبدالاً داخلياً لا استئصالاً**، وذلك الخلل عظيمٌ في ميزان الله تعالى كما بيّنّا لا كما يظن الأكثرون، ويضاعفه علوُّ الرتبة والأمانة كما سبق، وهذا لا يعفي العوام من المسؤولية أيضاً بانتشار الذنوب بل الكبائر أحياناً كسب الذات الإلهية والربا وغيره وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا من رحم الله، وهذه مسؤولية كل مسلم لا أُولِي الأمر فقط، ولكن الصفوة هم قلب الجسد والخلل فيه ليس كالذي في غيره كما مر.

ومع كل هذه المعاني الظاهرة فإننا للأسف نجد كثيراً من الإخوة المجاهدين وغيرهم من الصالحين يشمئزون عند سماع كلمة "عِقاب"، ولا يدركون معانيها ولا يستشعرون مدى الخلل الكبير الذي كنا فيه، ومدى الفساد الذي بدأ ينتشر ويزداد في الناس قبل الحرب

([1]) مسند أحمد (23461) من حديث محمود بن لبيد، وجامع الترمذي (2396) من حديث أنس.

ودلّت عليه أخلاقهم أثناء الحرب، **وهو ما حملني على إطالة النّفَس في توضيح هذه المعاني**، ولابد هنا من التنبيه على أهمية هذه المصطلحات والمعاني الربانية؛ لأنه بدون فهمها والتسليم بها لا يمكن لنا فهم واقعنا على حقيقته التي يعلمها الله تعالى، وإنما سنفهمه كما نريد نحن أن نفهمه؛ فنَضِلّ بذلك.

ولا مجال هنا للمجاملات، والتربية القرآنية هي خير تربية؛ فالله تعالى لم يجامل خير الناس بعد الأنبياء لمّا أخطأوا، فخاطبهم بأقسى العبارات في أحد وغيرها لمصلحتهم وهدايتهم كما مرّ معنا، فإن معرفة الخلل أول خطوة للإصلاح، ولا يمكن أن نعرف الخلل إذا لم نقرّ بوجوده أصلا بنفي حقيقة العقاب.

2/ من عِبَر غزوة أُحد كذلك: **أنه لمّا ثبت النبي ﷺ ومعه عصبة قليلة من المؤمنين في ميدان الجهاد كان ذلك هو السبب في عدم انكسار شوكتهم رغم العقاب**، وهذا من قبيل مدافعة السنن ومصارعة القدر بالقدر كما يذكر العلماء، وهو من دقائق الفهم في دين الله تعالى، فالمؤمن المتبصّر في دينه يدفع قدر العقاب بقدر الثبات ورفعِ لواء الله وكلمته، فهذا اللواء هو أعظم درع يُدفَع به العقاب، وقد كان ﷺ يقول للقلة الذين ثبتوا معه: "**مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَهُوَ رَفِيْقِي فِي الجَنَّةِ**"[1]، **ونحن نرجو لمن يرد اليهود في هذه الظروف الصعبة المشابهة أن يكون له مثل ذلك الأجر العظيم**؛ لأن هذا الثبات الصعب العظيم يمنع انكسار المسلمين واستباحة بيضتهم ودينهم ويُبقي لواء الحق مرفوعاً، وهذه سنّة إلهية عظيمة يجب الانتباه لها لدورها الجوهري في رفع البلاء.

3/ **حمراء الأسد** التي حدثت بعد أُحد ولم يقبل النبي ﷺ فيها أحداً للخروج معه إلا مَن قاتل في أُحدٍ، وردّ الآخرين ولم يقبلهم في هذه المعركة وقبِلهم فيما بعدها لمّا حسنت توبتُهم، يستفاد منها: أنه **بعد انسحاب اليهود بإذن الله تعالى ينبغي الاعتماد بشكل أساسي** –في المرحلة القادمة على الأقل– **على الذين شاركوا في الحرب والرباط دون غيرهم.**

([1]) صحيح مسلم (1789)، ومسند أحمد (14056).

4/ في آخر غزوة أُحد حاول النبي ﷺ وسلم **إخفاء عناصر قوّته**، فقد جاء في البخاري وغيره أن أبا سفيان رضي الله عنه نادى بعد المعركة: أفي القوم محمد؟ أفي القوم أبو بكر؟ أفي القوم عمر؟ فنهاهم النبي ﷺ في كل مرة أن يجيبوه، حتى ظن أبو سفيان رضي الله عنه أنهم قُتلوا؛ وذلك لأن النبي ﷺ **أراد ألا يستفز الكفار ويوهمهم بتحقق أهدافهم وتحقق النصر المطلق لدرء شرهم عن المسلمين، وهذا هو الأصل**؛ لأن درء المفاسد أولى من جلب المصالح، ولكن سيدنا عمر رضي الله عنه لم يتمالك نفسه، فأجاب أبا سفيان رضي الله عنه بأنهم جميعاً أحياء ليغيظه، فلما ظهرت قوةُ المسلمين وعدمُ انكسارهم خاف النبي ﷺ أن يكرّ المشركون على المدينة ليستأصلوا المؤمنين، فأمرهم بالخروج معه في غزوة حمراء الأسد لإخافة المشركين وثنيهم عن الرجوع إلى المدينة، فخرج كل من قاتل في أُحدٍ دون غيرهم، حتى خرج الجرحى محمولين لا يقوون على السير لتكثير عدد المسلمين، ومع ذلك أرسل النبي ﷺ إلى الكفار من يرهبهم ويصدهم عن قتاله ليردهم عنه دون قتال، **ويستفاد من ذلك كله أنه على القائد فِعل كل ما بوسعه لصد العدو وإيثار سلامة المسلمين إذا رأى فيهم ضعفاً أو عدم جاهزية، لأن حفظ أرواح المسلمين مقدَّمٌ على إزهاق أرواح الكافرين، ولكن إذا توجَّب القتال وجب على كل قادرٍ بما يستطيع، ولا يُعذر أَحدٌ في نصرة المجاهدين بما يطيق.**

فمعركة أُحُدٍ هي أقرب أصلٍ يمكن أن نقيس عليه معركة الطوفان؛ لما بينهما من نقاط الاتفاق الكثيرة، فهي **في مجملها العام اشتملت على نصرٍ وعِقابٍ وثباتٍ كان سبباً في عدم كسر المسلمين، وهو أشبه ما يكون بمعركة الطوفان**، ولا يوجد شيء في السيرة أشبه بها منه –بغض النظر عن التفاصيل الدقيقة فإنه يستحيل أن تتشابه الحوادث في تفاصيلها الدقيقة–، وإنما **المقصود هو الحِكَم والخطوط العريضة**، وإذا قام تأصيلنا لهذه الحرب على أساس غزوة أُحد أمكن الاستفادة من كل عِبرها وحِكمها السابقة والبناء عليها للخروج من هذا الابتلاء بعدم الانكسار على الأقل.

النظرة الثالثة: تعانق السنن:

إن من عجيب حكمة الله تعالى وقدرته البالغة تعانق سننه الكونية وتداخلها في إحكامٍ معجزٍ يحقق الحِكم جميعاً، وهذا التعانق له صور متعددة، منها:

تعانق التكميل والتعاضد: بحيث **تكمِّل كلُّ سُنَّةٍ مقاصدَ الأخرى دون تعطيلٍ،** أو تدعم وجودها وتحققها.

ومنها: **تعانق التداخل:** بحيث **تتعطل بعض خصائص هذه السنن لتحقيق مقاصدها جميعاً.**

ومما يمكن أن نلحظه من ذلك في هذه الحرب ما يلي:

أولاً: تعانق التكميل والتعاضد: ومن أمثلته:

(أ) تعانق سُنّة العقوبة مع سُنّة الاصطفاء والتمحيص والإعداد، ومع سُنّة العلوّ والإفساد الكبير لبني إسرائيل.

– العقوبة والمحبة قد لا يتعارضان؛ بل يتعانقان، **فإنه إذا زادت المحبة زاد الاهتمام والعناية، والعكس صحيح،** والصانع إذا رأى ما أمامه ذهباً نفيساً زاد من عرضه على النار لينقّيه أتم النقاء، والأب يقسو على ابنه أحياناً بقدر ما يحبه ويعظم فيه أمله ليربيه على الكمال، وقد أخبر النبي ﷺ أن الله تبارك وتعالى إذا أحب قوما ابتلاهم، وأن المرء يُبتلى بقدر دينه، وأشدُّ الناس ابتلاءً الأنبياءُ ثم الأمثلُ فالأمثلُ كما مَرَّ معنا، وذلك لأنه كلما زادت محبة الله تعالى للعبد زادت عنايته به؛ لتطهيره من الشوائب حتى يصير خالصاً لله تعالى.

– وهنا تتعانق معها أيضاً **سنة العلو والإفساد الكبير الثاني لبني إسرائيل، وهو المتحقق في زماننا هذا** على الأرجح كما سيأتي بإذن الله تعالى، **وسنة الخلافة الراشدة الثانية التي نحن على أعتابها،** فقد أخبر الصاق المصدوق ﷺ أنه ستكون بعد النبوة خلافة على منهاج النبوة (وهي الخلافة الراشدة الأولى)، ثم يكون بعدها ملك عاض ورحمة، أي ملك إسلامي لكنه عاض أي متوارث أو مشتمل على شيء من الظلم مع غلبة الرحمة، وهذه الفترة امتدت من الخلافة الأموية إلى نهاية الخلافة العثمانية في القرن

الماضي، ثم يكون بعد ذلك حكم جبري أي دكتاتوري وهو الواقع الذي نعيشه اليوم، **ثم تكون بعده خلافة على منهاج النبوة أي خلافة راشدة على منهج الخلافة الأولى، وهذه قريبة جدا منا الآن ونحن على أعتابها بإذن الله، ويدل على ذلك أمران:**

الأول: أن تنحية الإسلام عن الحكم هو أمر استثنائي؛ لأن الله تعالى أنزله ليُتِمَّ به نورَه ويظهرَه على الدين كله، والاستثناء لا يطول لأنه لا يقوى طويلا على معارضة السنن الثابتة التي هي الأصل.

الثاني: معجزة الربيع العربي، الذي كان معجزة إلهية بحتة دون أي تدخل أو تدبير بشري كما شاهده الجميع عيانا، خلافا لما يدعيه أعداء الربيع دون أي دليل حقيقي، **والمعجزة تدل على قرب تحقق الموعود الإلهي،** فهي بشرى للمؤمنين وإنذار للكافرين والجاحدين، قال تعالى: **{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ}** [الروم: 47] هي قريبة بإذن الله تعالى، وأما **الثورات المضادة فهي إلى زوال** ويتحقق فيها قوله تعالى: **{فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ}** [الأنعام: 44].

وبتعانق هذه السنن الأربعة تتكامل مقاصدهم جميعاً:

- فالعقاب يتحقق به مقصد الزجر والجبر.
- وبهما يتحقق التمحيص والتطهير والاصطفاء اللازمة للإعداد لمهمة أهل الشام العظيمة الجليلة في هذا الزمان وهي مهمة التمهيد للخلافة الراشدة الثانية؛ لأن الشام هي مهد هذه الخلافة ومستقرّها كما نصت على ذلك الأحاديث الصحاح.
- وهذا الإعداد لازم لإنهاء العلو والإفساد الكبير لليهود وتحقق وعد الله بإساءة وجوههم وتحرير الأقصى من دنسهم.

وهكذا نرى كيف تتعانق هذه السنن جميعاً وتتعاضد فيما بينها فتتجلى لنا بعض الحِكَم البالغة الخفية التي لا تظهر لمن لا يلحظ هذا التعانق ولا يرى إلا التناقض الظاهر

أحياناً كما بين العقاب والاصطفاء، وهذه الحِكَم تتجلى بها الإجابات الشافية عن بعض الأسئلة التي تحير البعض مثل:

لماذا يحصل هذا البلاء العظيم معنا نحن بالذات؟

وهل ذنوبنا تستوجب كل هذا البلاء الشديد في حين أن الفساد في البلاد الأخرى أكثر بكثير؟

وقد سبقت الإبانة عن جانب من جواب هذه الأسئلة من ناحية علو المرتبة وعلاقته بمضاعفة العقاب مع بيان عظمة ذنب ترك إقامة شرع الله لتكون كلمته هي العليا عند الإمكان في ميزان الله تعالى، والآن نُلقي بشيء من الضوء على **جانب آخر** من الجواب يجلّيه أكثر، وهو ما بيَّناه من تعانق السنن المذكورة، **فالإعداد العظيم يستلزم تربيةً وتمحيصاً خاصاً وهو مما يفسر شدة البلاء وطوله عندنا بالذات.**

ويؤيد ذلك سنة العلو والإفساد الكبير الذي يفسر كذلك شدة هذا البلاء، فهو بلاء عظيم تلهبه سنن متعاضدة، هي: العقاب، والإعداد العظيم، والإفساد الكبير الثاني لليهود. **ولكن هذا البلاء يؤول إلى خيرٍ عظيمٍ وخلافة راشدة بإذن الله تعالى،** والمهم هو الفهم عن الله تبارك وتعالى، **ففهم مراد الله عز وجل هو المقصود من دراسة السنن لنحدد المسار الذي يريده سبحانه** لأنه لن يكون إلا ما يريده عز وجل وهو ما يوصلنا إلى الخير والعزة والهداية والطهر الذي يريده الله بنا في نهاية المطاف، قال تعالى: **{يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}** [النساء: 26]، وقال: **{مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}** [المائدة: 6]، وقال: **{لَقَدْ أَنْزَلْنا إِلَيْكُمْ كِتاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلا تَعْقِلُونَ}** [الأنبياء: 10]، فإذا عرفنا مثلاً أن الأمة بعد الحكم الجبري اللاإسلامي هي على موعدٍ **مباشرٍ** مع الخلافة التي على منهاج النبوة فهمنا أنه **لن تكون هناك مرحلة انتقالية** بينهما –كمرحلة الملك الإسلامي التي كانت بعد الخلافة الراشدة الأولى–.

وهذا يعني أن كل منهج يخالف منهج القوة في الدين الذي كان يميز الخلافة الأولى لن يجدي شيئاً ولو كان إسلامياً في إطاره العام ولو زيَّنه لنا كثير من العلماء والدعاة، بل

اتباعه هو مجرد إضاعة للوقت وتطويل للأمد، والعقلاء والراسخون في العلم والإيمان إنما يصارعون القدر بالقدر كما علّمنا عمر الفاروق رضي الله عنه، ولا يصارعون القدر بالعقل أو الرأي والهوى، فإنَّ قدَر علام الغيوب لا يُغلَب، وبالتالي لن نحقق قدَر الخلافة إلا بتحقيق قدَر أسبابها، وهو اتباع منهج الخلافة الأولى التي هي الأصل للنسخة الثانية، ومنهجها الذي قامت عليه هو القوة في دين الله عز وجل كما أَمَرَ في قوله: **{خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ}** [البقرة: 63]، وقد تحدثنا عن جانب مهم من جوانب هذه القوة عندما تحدثنا عن وضوح الراية وإقامة شرع الله تعالى ونشر نوره جنباً إلى جنب مع الجهاد في سبيله ورفع لوائه.

(ب) سنة اتخاذ الشهداء واصطفائهم مع سنة الاستبقاء:

وهذا أمر ينبغي التفطن له، فإن كثيراً من الشباب الطيب المتحمس المتعطش للشهادة قد يحزن ويصيبه شيء من اليأس وجَلد الذات إذا طالت المدة ولم يتخذه الله شهيداً، لا سيما إذا رأى إخوانه وأحبابه مِن حوله يصطفون للشهادة تترا، ولاحظ –كما يلاحظ الجميع– أن الله تعالى يصطفي للشهادة مَن هم مِن خير الناس وأطهرهم، ولكنه يغفل عن سنة أخرى موازية كفيلة بأن تقضي على بذور القنوط و تشعل فيه لهيب الحماسة والعمل، وهي: **سنة الاستبقاء:**

فإن **الله تعالى كما يصطفي لنفسه الشهداء يستبقي لنفسه ولدينه الصلحاء الذين هم غرْسُه الذي غَرَسَه على عينه ليرفع به لواءه ويعز به دينه**، كما قال الله تعالى لنبيه وصفيه موسى عليه السلام: **{وَلِتُصْنَعَ عَلى عَيْنِي}** [طه: 39]، **{وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي}** [طه: 41]، والله عز وجل لم يسْتَبْقِ إلى ما بعد التمكين أبا بكر وعمر وعثمان وعلي وخالد وأبا عبيدة ومعاذاً وسعداً وغيرهم رضي الله عنهم لأن إخوانهم من الشهداء خير منهم؛ بل اصطفاهم للاستبقاء ليقيم بهم دينه علماً وجهاداً كما اصطفى إخوانهم للشهادة قبل التمكين، ثم إن منهم من استشهد بعد ذلك ومنهم من مات على فراشه ومع ذلك نال مرتبة الشهادة بإذن الله بصدقه في طلبها كما وعد الصادق المصدوق ﷺ، فعن سَهْل بْن أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "**مَنْ سَأَلَ اللهَ**

الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ مِنْ قَلْبِهِ، بَلَّغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ"[1]، ومِثْلُ ذلك مَن يطلب الجهاد، فإن ناله نشط وإن حُرمه كسل واستكان، وهذا كله في حقيقته نوع من الهوى والاقتراح والاشتراط على الله تعالى يخالِف التسليم التام والعبودية الخالصة لرب العالمين.

وهذه المعاني الرفيعة لا يتذوقها إلا من وهب حياته لدين الله وباع نفسه لمن هو أرحم بها منه وعرف معنىً وعملاً مفهوم الحياة في سبيل الله كما علم معنى الموت في سبيل الله، فعبدُ الله حقاً هو الذي يُسْلِم روحه لله تعالى في حياته لا في مماته، وهو الذي يعيش في سبيل الله كما يموت في سبيله، فتكون كل حياته وحركاته وسكناته خالصة لله تعالى حيثما أقامه الله قد فني في مراد الله عن مراد نفسه ودار معه حيث دار، ثم هو مع ذلك يسأل الله تعالى أن يختم له بالشهادة بصدق، فلا تفوته بإذن الله ولو مات على فراشه، فهذا هو نِعْم العبد الخالص البصير.

(ج) سنة العقوبة العامة مع الابتلاء والتمحيص الخاص:

فقد اقتضت حكمة الله تعالى أن العقوبة لا تختص بصاحبها فقط، بل يمتد أثرها وشؤمها إلى مَن حوله كذلك، قال تعالى: {**وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**} [الأنفال: 25]، وليس في ذلك ظلم من الله تعالى للآخرين من ناحيتين:

الأولى: أن هذا هو من طبيعة الذنب وشؤمه، فكأن ما أصاب الآخرين هو مِن فعل المذنب ذاته، فهو الذي ظلم نفسه ومَن حوله في الحقيقة {**وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ**} [فصلت: 46]، وذلك لأن **الذنب في حقيقته إفساد في الأرض** ولو كان مقتصراً على نفْس صاحبه، وبيان ذلك أن المخلوق بطبعه مفتقر في وجوده وبقائه إلى غيره، فالكون كله مرتبط ببعضه ارتباط افتقار، وهذا من آيات وحدانيته سبحانه، فهو وحده الغَنِيّ الغِنَى المطلق، فإذا حصل فسادٌ في جانبٍ فإن أثره يسري بالضرورة إلى ما حوله مما يرتبط به كالجسد الواحد، وهذا ينطبق على الأرواح أيضاً فإنها مرتبطة يؤثّر بعضها في بعض بحسب قوة

([1]) صحيح مسلم (1909)، وسنن ابن ماجه (2797) واللفظ له.

الارتباط، ففساد الفرد يؤثر في صاحبه، وفساد الراعي يؤثر في رعيته كلِّهم كَرَبِّ البيت والحاكم، والفرد هو لبنة الأسرة، والأسرة لبنة المجتمع، وكذلك فساد الروح يؤدي إلى فساد سائر المخلوقات من حولها، قال تعالى: **{وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْواءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّماواتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْناهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ}** [المؤمنون: 71]، وذلك لوجود الرابط بين الإنسان وسائر المخلوقات وهو رابط التسخير قال تعالى: **{أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ}** [لقمان: 20].

وكما أن المخلوقات تسير في ذاتها وفق نظام مُحكم فإن هذا التسخير الباطن يسير وفق نظام باطن وسنة كونية محكمة أيضاً تشبه نظام التشغيل الخاص بأي جهاز مخترَع، فإذا استخدم الإنسان هذا الجهاز المحكَم استخداماً خاطئاً يخالف نظام التشغيل فإنه سيؤدي إلى فساد الجهاز.

وكذلك الخالق سبحانه في مخلوقاته التي سخَّرَها للإنسان ولله المثل الأعلى، وهذا النظام الذي سَنَّه الله تعالى هنا خاضع لمعيار الإباحة والمعصية، فإذا استخدم الإنسان الشيء استخداماً مباحاً كان في دائرة الصلاح، بل إن هذا الاستخدام يزيد في صلاح تلك الأشياء إذا استُخدمت في الطاعة، **وهذا ما يوضح حقيقة البركة الباطنة ويقربها للعقول،** قال تعالى: **{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَرَكاتٍ مِنَ السَّماءِ وَالْأَرْضِ وَلكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْناهُمْ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ}** [الأعراف: 96].

والعكس صحيح، فإنه إذا استخدم هذه الأشياء في المعصية أدى ذلك إلى فسادها ثم يستشري الفساد إلى ما حولها كما بينت، وهو **معنى الشؤم الباطن للمعاصي،** قال تعالى: **{ظَهَرَ الْفَسادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِما كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}** [الروم: 41]، وظهور الفساد هذا في الأموال والأنفُس والأجساد والثمرات وغيرها هو نفسه العقاب كما بينت الآية، فيكون المذنب هو في الحقيقة الظالم لمن حوله المتسبب في لحوق الفساد والأذى بهم.

أما **الناحية الثانية لعدم الظلم الإلهي: فهي أن ما يصيب غير المذنب ليس عقاباً في الحقيقة، بل هو شؤم العقاب** كما بينت، وبالتالي فهو في حقيقته ابتلاءٌ خاصٌّ

بالنسبة إليه يمحصه الله به ويطهره إن صبر ورضي كسائر الابتلاءات، فهو عطاءٌ ومِنحَةٌ ربانيةٌ في الحقيقة، ولكن من الناس من يقبلها فترفعه في عليين، ومنهم من يتسخط ويردها فلا يرفع بها رأساً ويكون هو الخاسر الظالم لنفسه ولن يضر اللهَ شيئاً، ولذلك جاء في حديث عائشة رضي الله عَنْ نَافِعِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قَالَ: حَدَّثَتْنِي عَائِشَةُ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: "**يَغْزُو جَيْشٌ الْكَعْبَةَ، فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ**". قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ وَفِيهِمْ أَسْوَاقُهُمْ وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ؟ قَالَ: "**يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ**"[1].

وهكذا تتعانق السنن مرة أخرى في تناغم معجز بديع، فسبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

(د) سنة التمكين للخلافة والتجديد مع سنة الدخول الثاني للمسجد الأقصى:

فإن الدخول الثاني للمسجد الأقصى في وعد الآخرة سيكون على يد أهل الإيمان الذين هم الورثةُ الشرعيون لهذا المسجدِ وأهلُه وعُمَّارُه الحقيقيون، ونحن على أبواب ذلك لأننا على أعتاب الخلافة الثانية بإذن الله تعالى كما سبق بيانه، وسيأتي مزيد من التفصيل عند التأمل في آيات سورة الإسراء إن شاء الله تعالى، **فالخلافة ودخول المسجد متعانقان متصاحبان، والخلافة ستكون أقرب قليلاً، أي أنها ستقوم في بلاد الشام ثم تنزل إلى بيت المقدس ويتحرر الأقصى وتصير القدس عاصمتها**، وهو ما يدل عليه قوله ﷺ: "**يَا ابْنَ حَوَالَةَ: إِذَا رَأَيْتَ الْخِلَافَةَ قَدْ نَزَلَتِ الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ فَقَدْ دَنَتِ الزَّلَازِلُ وَالْبَلَايَا وَالْأُمُورُ الْعِظَامُ، وَالسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ إِلَى النَّاسِ مِنْ يَدِي هَذِهِ مِنْ رَأْسِكَ**"[2]، والخلافة هنا هي الخلافة الراشدة الثانية كما ذكر الشُرّاح، لأن الخلافة الأولى كان مقرها في المدينة ثم في الكوفة ولم يكن في بيت المقدس، وفي الشام عمود الكتاب كما مَرَّ، وعن سَلَمَةَ بْن نُفَيْلٍ ﷺ قال: قال ﷺ: "**أَلَا إِنَّ عُقْرَ دَارِ الْمُؤْمِنِينَ الشَّامُ**"[3]، وقال ﷺ لابْنِ حَوَالَةَ ﷺ: "**عَلَيْكَ بِالشَّامِ، فَإِنَّهُ خِيرَةُ اللهِ مِنْ أَرْضِهِ، يَجْتَبِي إِلَيْهِ خِيرَتَهُ مِنْ عِبَادِهِ، فَإِنْ أَبَيْتُمْ فَعَلَيْكُمْ بِيَمَنِكُمْ،**

([1]) متفق عليه: صحيح البخاري (2118) واللفظ له، وصحيح مسلم (2884).

([2]) مسند أحمد (22487)، وسنن أبي داود (2535).

([3]) مسند أحمد (16965)، وسنن النسائي (3561).

وَاسْقُوا مِنْ غُدُرِكُمْ، فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ تَوَكَّلَ لِي بِالشَّامِ وَأَهْلِهِ"[1]، فذكر النبي ﷺ خيرية أرض الشام ورعايته عزو جل لهذه الأرض وأهلها.

وعليه فإن **الخلافة الراشدة الثانية ستقوم في الشام، وهي المُعَدَّة لذلك منذ الأزل، وهذه الخلافة هي التي ستسوء وجوه اليهود وتقضي على علوهم وإفسادهم الثاني وتدخل المسجد الأقصى لتعيده إلى رحاب الإيمان بإذن الله، فلابد إذن من التمكين لهذه الخلافة وتهيئة أسبابها**، وهو ما سيكون قريباً بإذن الله كما بيّنّا سابقاً، وما ذلك على الله بعزيز، وقد أرانا مولانا سبحانه آية الربيع العربي وأنه إذا أراد شيئاً فإنه يقول له كن فيكون، ليثبّتنا ويذهب عنا وساوس الشيطان وتخذيله.

وها هي فلسطين وسوريا تتهيّآن بالجهاد المبارك، ولبنان والأردن على الطريق بإذن الله.

وهذا يعني من ناحية أخرى أيضاً أن **دَور المجاهدين في فلسطين ليس هو التحرير المباشر للمسجد الأقصى، وإنما التمهيد لذلك بإبقاء شعلة الجهاد مشتعلةً ومشاغَلةُ اليهود والتجهيزُ والإعدادُ للوقت المناسب للانقضاض مع صلحاء الأمة وجندها الأخيار** كما ذكر ذلك شيخ المجاهدين الإمام أحمد ياسين رحمه الله.

ومن الممكن أن نقول أيضاً أنه **كما استدللنا على قرب تحرير المسجد الأقصى بقرب الخلافة فإننا يمكن أن نستدل بالعكس أيضاً، فنستدل على قرب الخلافة بقرب تحرير المسجد الأقصى، وذلك أن العلو والإفساد الكبير الثاني قد وصل بإذن الله تعالى إلى نقطة النهاية، وبدأ العد التنازلي للانهيار**، وذلك أنه ما ارتفع شيء في هذه الدنيا إلا وضعه الله كما أخبر النبي ﷺ، فهي إلى زوالٍ، **وأُولى علامات الضعف والزوال أن تبلغ القوةُ ذروتها**، فإنه ليس بعد ذلك إلا الضعف، قال تعالى: **{ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَشَيْبَةً}** [الروم: 54]، **{حَتَّى إِذا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً}** [الأحقاف: 15]، قال العلماء: بعد سِنِّ الأربعين يبدأ الضعف لأنها منتهى الأشُدِّ، ولذلك يبدأ ضعفُ المصارِع وانكسارُه إذا استفرغ قوته وطاقته كلها فلم يقْدِر أن يكسر خصمه وبقي عند خصمه

([1]) مسند أحمد (17005)، وسنن أبي داود (2483).

مخزونُ قوةٍ، وهذا ما حصل مع اليهود في هذه الحرب، فهم يبذلون كل **قوتهم فلم يستطيعوا كسرنا ولن يستطيعوا** كما سأبين ذلك بالأدلة الكثيرة لاحقاً إن شاء الله تعالى، **وما زال عندنا وعند أمتنا مخزونٌ عظيمٌ من القوة لم يبرز بعد، وسيُبرزه الدِّينُ والإيمانُ والرجوعُ إلى الله تعالى والاستمساكُ بحبله إن شاء الله.**

وهذه **سُنَّةٌ ثانيةٌ عظيمةٌ** تُضاف إلى السنن التي تم ذكرها وتعانقها أيضاً: وهي **سُنَّةُ التجديد التي بينها النبي ﷺ**، فعن أبي هريرةَ ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: "**إِنَّ اللَّهَ عز وجل يَبْعَثُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا**"[1]، **وقد آن الأوان لذلك.**

وهذا يعني أنه **يجب أن يحصل مراجعات وتجديد عند الحركات الإسلامية، لاسيما في الشام، وينبغي أن تتفق كلمتهم ويكونوا على قلب رجل واحد،** وهذا يحتاج إلى جهد مضن من المخلصين الصاقين؛ لأن التغيير غالباً ما يُقابَل بالإنكار والممانعة لأنه يدافع الإلف والعادة وكثيراً من الأهواء التي من الطبيعي أن تتسرب إلى الأفراد والجماعات وطول الأمد، ولذا تحتاج إلى سنة التجديد، وهذا التغيير والتجديد يجب أن يكون باتجاه القوة في الدين على منهج الخلافة الأولى كما بَيَّنتُ سابقاً.

ويعانق ذلك كله أيضاً: **سنة إساءة الوجه التي وعد الله عز وجل بها اليهود المفسدين،** حيث إن نهضة الحركة الإسلامية والتمكين للخلافة من أعظم ما يسيء وجه اليهود ويغيظهم، **فإساءة وجوههم بدأت فيما أُرَجِّحُ في 7 أكتوبر، وهي مستمرة وصورها متعددة حتى دخول الأقصى فاتحين بإذن الله،** وسيأتي بيان ذلك إن شاء الله تعالى.

– وهنا يبرز سؤال مهم، وهو: **هل هذه الخلافة الثانية هي خلافة المهدي؟**

والجواب من شقين:

الشق الأول: أنه على فرض أنها خلافة المهدي فلا يعني ذلك مطلقاً الجلوس والانتظار والاستكانة؛ بل يجب بذل منتهى الجهد لنكون من السابقين العاملين المُمَهِّدين

([1]) سنن أبي داود (4291)، ومستدرك الحاكم (8592).

لهذه الخلافة على كل حال بغض النظر عن الشخص الذي سيكون على رأسها، فهذا هو الفوز العظيم، **ومن خسر هذه الفرصة فهو المغبون المُغَرَّرُ به حقاً.**

الشق الثاني: أن الظاهر أن هذه الخلافة ليست هي خلافة المهدي، بل هي قبله، وذلك لعدة اعتبارات:

(أ) أن **المهدي يسبقه اقتتال ثلاثةٍ على كنزٍ كلهم ابن خليفة،** فعَنْ ثَوْبَانَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "**يَقْتَتِلُ عِنْدَ كَنْزِكُمْ ثَلَاثَةٌ، كُلُّهُمُ ابْنُ خَلِيفَةٍ، ثُمَّ لَا يَصِيرُ إِلَى وَاحِدٍ مِنْهُمْ، ثُمَّ تَطْلُعُ الرَّايَاتُ السُّودُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، فَيَقْتُلُونَكُمْ قَتْلًا لَمْ يُقْتَلْهُ قَوْمٌ**"، ثُمَّ ذَكَرَ شَيْئًا لَا أَحْفَظُهُ، فَقَالَ: "**فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَبَايِعُوهُ وَلَوْ حَبْوًا عَلَى الثَّلْجِ، فَإِنَّهُ خَلِيفَةُ اللَّهِ الْمَهْدِيُّ**"[1]، أي أنه ستكون الخلافة قَبله ثم يصير خلافٌ وفسادٌ كبيرٌ يَخرج على إثره المهدي رضي الله عنه.

(ب) أن **الدجال يخرج في زمان المهدي ومعه سبعون ألفاً من يهود أصبهان** (مدينة في إيران)، **ولو كان اليهود في فلسطين وهي مقرهم لَذَكَرَهم النبي** ﷺ، فإن قيل: لعل المهدي هو الذي يُخرجهم في البداية فيستقرون في أصبهان قبل الدجال؟ فيجاب: بأن النبي ﷺ ذكر حروب المهدي وبيَّنها حتى لا يلتبس الأمر على الناس لكثرة الفتن في ذلك الزمان، فذكر الجيش الشاميّ الذي يهاجمه فيُخسَف به في البيداء، وذكر الرايات السود التي تمهد له في المشرق، ثم حِلْفَه وصُلْحَه مع الروم وقتالَهم معاً لعدوٍ من ورائهم، ثم قتاله للروم في الملحمة الكبرى، ولم يذكر مطلقاً قتالاً مع اليهود مع كونه أهم قتالٍ لأن مِحوره المسجد الأقصى.

ثانياً: تعانق التداخل: ومن أمثلته:

(أ) سنة إطفاء الحرب مع سُنَّتَيِ العقاب والإفساد الكبير:

إطفاء الحرب التي يوقدها اليهود ضد المؤمنين سنة إلهية قرّرَها ربنا سبحانه في قوله: {**وَقالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِما قالُوا بَلْ يَداهُ مَبْسُوطَتانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْياناً وَكُفْراً وَأَلْقَيْنا بَيْنَهُمُ الْعَداوَةَ**

([1]) سنن ابن ماجه (4084)، ومسند ابن أبي شيبة (308)، ومستدرك الحاكم (8432).

وَالْبَغْضاءَ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ كُلَّما أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَساداً وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ} [المائدة: 64]، وهذه آية عجيبة عميقة جداً تشتمل على **خارطة طريق للتعاملِ مع اليهود والغلبةِ عليهم**، وقد تعرضنا لها سابقا.

– جاء في تفسير التحرير والتنوير: "شبّه حال انحلال عزمهم وانهزامهم وسرعة ارتدادهم عن الحرب وإحجامهم عن مصابحة أعدائهم بحال من انطفأت ناره التي أوقدها، والمعنى أنه لا يلتئم لهم أمر حرب ولا يستطيعون نكاية عدو، ولو حاربوا أو حوربوا انهزموا"[1].

– وقال صاحب الأساس في التفسير: "كلما أرادوا حرب الإسلام وأهله غُلبوا وقُهروا، أو كلما أرادوا إشعال نار حرب على الإسلام وأهله أطفأ الله كيدهم وشرهم، وما غَلَبوا في عصرنا في بعض المعارك إلا لأنهم يحاربون رايات لم تقم على تقوى ولم تنتصب لإسلام"[2].

فالآية تشتمل على أمرين:

الأول: أنهم لا يكيدون كيداً ولا يخططون مخططاً ضد المؤمنين (كمخطط التهجير مثلاً) إلا أوهن الله كيدهم وأبطله.

الثاني: أنهم لو حاربوا المؤمنين فسرعان ما ينهزمون، لأن قَرْن الإطفاء بمجرد الإيقاد يُشعر **بسرعة الإطفاء**، فلم يقل ربنا مثلاً: (كلما أوقدوا ناراً للحرب وأُضرمت أطفأها الله)، ولكن **هذا الوعد إنما هو ممنوح للمؤمنين الخُلَّص** كما مر سابقا، وقد ذكرنا أن الآية يُستنبط منها أنه **كلما كانت الراية التي تحاربهم إسلاميةً خالصةً وتمثل الإسلام التمثيل الأكمل كلما ازدادوا طغياناً وكفراً بمعاداتها ومحاربتها؛ فتزداد العداوة والبغضاء بينهم؛ فسرعان ما تُطفأ حربهم.**

– ويؤيد ذلك قوله تعالى: **{لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ (١١١) ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ**

([1]) التحرير والتنوير (6/ 251).

([2]) الأساس في التفسير (3/ 1437).

وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (١١٢)} [آل عمران: 111-112].

ولكنّ كمال ذلتهم وسرعة نصرنا عليهم بكمال تحقيق الشروط التي ذكرَتها الآية التي قبلها، وهي قوله تعالى: **{كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ}** [آل عمران: 110]، **فشرط النصر التام:** اكتمال شروط الخيرية التي تقتضي السيادة والزعامة على الأمم، وشروطها هي: التمثيل التام للإسلام ورفع كلمته في الأرض أيضاً باطناً مع الإيمان الصحيح النقي وظاهراً بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو يؤيد ما ذكرناه سابقاً.

- وهذا التأصيل يجيب مسبقاً على جانب من سؤال مهم يترد كثيراً حول **طول مدة هذه الحرب وثبات اليهود الغريب على غير عادتهم وطبعهم!؟** والإجابة من شقين:

الأول: بعض الغبش الذي أصاب رايتنا وعدم تحقق شروط النصر والتمكين بكمالها كما ذَكَرْت، ويتمثل ذلك في:

- بعض التساهلات العقدية في الولاء والبراء وغيره، وهي ناشئة عن جهل أو تأويل خاطئ بحسن نية.

- وكبعض التساهلات في التطبيق ورفع كلمة الله ولوائه: كالتقصير في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتطبيق الشريعة.

- وكبعض الغموض في الأهداف التي ينبغي أن يكون على رأسها أن تكون كلمة الله هي العليا في الأرض وهي غاية الجهاد ومقصده، فعَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ**"[1].

- وبالمجمل: عدم القيام بحق اللواء كما ينبغي، وحقه أن يؤخذ بقوة كما قال تعالى: **{خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ}** [البقرة: 63]، كما مر معنا.

([1]) متفق عليه: صحيح البخاري (123)، وصحيح مسلم (1924).

الثاني: تداخل بعض السنن مع سنة إطفاء الحرب كسنتي العقاب والإفساد الكبير لليهود واللتين ذكرتهما سابقاً، فالعقاب والتأديب والتطهير يقتضي طولاً وشدة في البلاء أحياناً، وكذلك الإفساد الكبير، **فصبر اليهود وطول نفسهم المستغرب في هذه الحرب هو في الحقيقة استدراج ليحقق الله به هذه السنن معاً**، كما استدرج فرعون وثبته ليخوض البحر خلف موسى عليه السلام ليكون هلاكه وحتفه فيه.

ولكن ينبغي التنويه على أن ذلك كله لا يلغي سنة إطفاء نار اليهود؛ وإنما **يعطلها جزئياً** فتطول قليلاً فقط ثم ستطفأ بإذن الله تعالى، وذلك لأن السنن لا يلغي بعضها بعضاً إذا لم تكن متناقضة؛ بل تتداخل، وقد يتعطل بعضها جزئياً نتيجةً لذلك لتتحقق مقاصدُها جميعاً بقدْر الإمكان، لأن الأصل في سنن الله أنها لا تقبل التبديل ولا التحويل، قال تعالى: {**فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً**} [فاطر: 43].

كما أنَّ رايتَنا وإن أصابها بعضُ الغبش فهي في المجمَل الغالب إسلاميةٌ وُجْهتُها الأقصى المبارك، والغالب سلامة العقيدة وسلامة النية وصدقها الذي تُظهره التضحيات الجسام في سبيل الله التي يُقَدمها الجند والقادة، وما موقف الشهيد بإذن الله تعالى القائد البطل المغوار يحيى السنوار عنا ببعيد، ويوجد فيهم أصل الاتباع والانقياد لله تعالى وشرعه، فهذا –وإن كان يشتمل على التقصير الذي يستوجب العقاب لِعلو الرتبة ولا يستجلب نصراً وتمكيناً كاملاً لعدم تحقق كمال الشروط كما ذكرت– إلا أنه كافٍ لإطفاء الحرب بإذن الله تعالى كما رأينا في الحروب السابقة، ونرجوه في هذه الحرب أيضاً ثقةً بفضل الله تعالى ورحمته.

ولذلك فإن **هذه الحرب لن تستمر حتى دخول المسجد الأقصى كما يظن البعض؛** لأن هذا بعد الخلافة كما سبق، ولذلك فإني على يقين بإذن الله أن نار هذه الحرب ستُطفأ قريباً بإذن الله، وسيَخِيبُ كيدُهم ولن يحققوا أهدافهم ولن يكسروا راية الجهاد، بل **ستكون هذه الحرب هي بداية انكسارهم بإذن الله تعالى.**

(ب) سنة التمكين الخاصة والعامة المتعلقة بفتح بيت المقدس:

- إن **المسجد الأقصى يمثل تيرمومتر الأمة**، حيث جعله الله تعالى معيار صلاحها؛ لأنه من أهم مقدساتها التي استُحفظَتْ عليها وكُلِّفت بحمايتها، فإن كان الأقصى بخيرٍ دلَّ ذلك على أنَّ الأمة بخيرٍ وعافيةٍ، والعكس صحيح، ولذلك فإن المسجد الأقصى لن يُحَرَّرَ من دنس المحتلين إلا إذا أفاقت الأمة وعادت إلى رُشْدها ودينها، والتاريخ يشهد بذلك بلا ريب، وهذه السنة العامة تتداخل مع سنة التمكين لأي جماعة خاصة، فلا يبلغ تمكينُها أنْ تُحَرِّرَ الأقصى قبل أن تكون هناك نهضة في الأمة لاسيما في الشام، فالشام عقر دار المؤمنين كما أخبر النبي ﷺ، إنْ قامت وصلحت قامت وصلحت الأمة، فعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ عَنْ أَبِيهِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**إِذَا فَسَدَ أَهْلُ الشَّامِ فَلَا خَيْرَ فِيكُمْ**"[1]، **فأهل الشام هم معيار الصلاح في أهل الإسلام**، وفَهم هذه السنن يجعلنا نحدد مسارنا ومهامنا حتى لا تضيع الجهود سدى.

فمهمتنا في فلسطين هي: الإعدادُ والتجهيزُ للجهاد، والتمهيدُ لتحرير الأقصى، والإبقاءُ على شعلة الجهاد متَّقِدَةً بمشاغلة اليهود؛ حتى إذا آن الأوان كانت الأرضية جاهزة وممهَّدة، وهذا تماماً هو الذي ذكره شيخ المجاهدين الإمام أحمد ياسين رحمه الله تعالى وعَلِمَه ورَآهُ بحِكمته ونور بصيرته وبركةِ اتباعه لنور الوحي، ولا يعني هذا الاستكانة والخمول والانتظار، بل هو فرصة لا تُعَوَّض عند العقلاء تلهبهم حماساً للسبق إلى الله تعالى، فإنَّ العبد يكون أقرب زلفى وأعظم أجراً وأشد صدقاً وسبْقاً كلما قَدَّم وضحَّى وجاهد في سبيل الله في حال الضعف والتمهيد وعدم الشوكة، وكلَّما كان الضعفُ أكثرَ والصعوباتُ والتضحياتُ والعوائقُ أكبرَ كلما زاد الأجر والسَّبْق، قال تعالى: **{لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنى وَاللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}** [الحديد: 10][2].

([1]) مسند أحمد (15596)، وجامع الترمذي (2192).

([2]) نهاية الجزء الأول من رسالة "بعد عام من الطوفان"، صدر بتاريخ 3/ 11/ 2024م.

النظرة الرابعة: تصحيح بعض المفاهيم والتصورات في البناء الفكري:

إن التعبئة الفكرية المنبثقة من العقيدة الصحيحة والفهم الإسلامي السليم أساسٌ من أُسس التعبئة وركنٌ من أركانها بجانب التعبئة الإيمانية الروحية والتعبئة الجهادية، وتكاد تكون **التعبئة الفكرية هي الأهم؛ لأنه ينبني عليها الإيمان الصحيح**، وأي خلل فيها يترتب عليه خلل في الفهم والتصور والمعرفة الذي يحرف الإيمان أو يُضعفه، ولنا في الخوارج عبرة إذ إن الخلل عندهم ليس في قوة الإيمان إذ نحقر صلاتنا إلى صلاتهم وجهادنا إلى جهادهم كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن الخلل في الفهم والفكر والتأويل حتى إنهم ليقرؤون القرآن فلا يجاوز حناجرهم، فصاروا بذلك كلاب النار كما بيَّنَت ذلك الروايات الصحيحة لتحذرنا من خطورة هذا الخلل وضرورة التركيز على تصحيح الفكر والفهم بناءً على التصورات الإيمانية الشرعية الصحيحة، لاسيما عند المجاهدين ورافعي لواء الحق.

فهذا الفهم هو بمثابة الموجِّه الذي يوجه المجاهد إلى الطريق الصحيح، والوقود الذي يدفعه ويستفرغ جهده في العمل النافع والاتجاه الصحيح؛ فمن لم يدرك مثلاً أثر الذنوب في الهزيمة وعدم الثبات لن يندفع إلى التوبة والطاعة بالقدْر المطلوب، ومن لم يعرف ويفهم سائر سنن الله تعالى في النصر والتمكين لن يؤمن بها الإيمان الصحيح الكافي للاندفاع لتحقيقها والتلبس التام بها، وكذلك سائر التصورات الإيمانية الأساسية؛ كمعرفة الخالق سبحانه وصفاته وأفعاله، ومعرفة سائر أركان الإيمان، ثم معرفة التصورات الإيمانية التي تشمل جميع مناحي الحياة.

وهذا الأساس الفكري العقائدي يوجد فيه بعض القصور بشكل أكبر من غيره عندنا في غزة حتى عند المجاهدين وأبناء الحركة الإسلامية وهم المقصودون أساسا لأهمية ذلك في سلامة جهادهم واستقامته وصلابته كما مضى.

أما **الأساس الثاني وهو التعبئة الإيمانية:** فبرغم وجود بعض القصور فيه أيضاً إلا أن الأمر فيه واضح لا خلاف فيه، ولا يشتبه أمره كالأول، فلا يحتاج إلى مزيد بيان، ولكن نشير فيه إلى الخريطة العامة فقط لعلها تفيد أو تُذكِّر، والمقصود به تقوية الإيمان

وتنوير القلوب به، فهو يركز على الجانب الشعوري العاطفي ليذوق به المجاهد حلاوة الإيمان فيصير الدين أحب إليه من نفسه وأهله وماله ويضحي بذلك جميعاً في سبيله.

وطريق ذلك يكون بالتخلية والتحلية:

أما التخلية؛ فبالتخلي عن الذنوب وكل منهج أو فكر يخالف الإسلام، **وعن الغفلة** والتعلق بالدنيا.

وأما التحلية فمنها علمي ومنها عملي:

أما العلمي: فبرسوخ العقيدة والأساس الفكري السابق ذكره، **وبالتزود بالعلم** المنبثق عن الوحي وعلى رأسه القرآن والسنة، وما يستند إليهما وما يستمد منهما من مصنفات أهل العلم لاسيما الكتب التي تتحدث عن أسماء الله تعالى وصفاته وعن أعمال القلوب وعلم السلوك والأخلاق، **ودراسة سير القدوات** وعلى رأسهم سيد المرسلين وإمام المتقين صلى الله عليه وسلم، **وبحضور مجالس العلم** ونيل بركتها وفضلها بقدر الإمكان اليوم ولو باجتماع عدد قليل لمدارسة كتاب ونحوه ولو في أثناء الرباط.

أما العملي: فبالاستقامة أولاً على الحق وحمل النفس والأهل على الشرع، بحيث يتعود المجاهد أن تكون حياته كلها لأجل أن تكون كلمة الله تعالى هي العليا في نفسه وأهله ثم في الأرض كلها، **ثم بالإكثار من العبادات والنوافل وتلاوة القرآن**، فلا يزال العبد يتقرب بها حتى يحبه مولاه عز وجل، وكل عبادة لها أثر خاص في تنوير القلب ولا تغني عبادة عن أخرى فليحرص على التنويع، ولكن ينبغي **التركيز على أفضلها وهي العلم والجهاد والصلاة** لا سيما صلاة الليل مع تلاوة القرآن كما ذكر العلماء، **وكذلك بالتخلق بأخلاق الإيمان والقرآن**، فإنما الصبر بالتصبر، **ومجاهدة النفس على ذلك كله، وعلى البقاء على ذكر الله** ومرابطة القلب على بابه فإنه من أنفع الأمور للقلب.

وينبغي التنبيه هنا إلى أنه لا عذر للفرد ولا للقيادة في ترك التعبئة الإيمانية بحجة الانشغال في أعباء الجهاد الثقيلة الكثيرة؛ لأنه لا فلاح بدون هذا الأساس، قال تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}** [الأنفال: 45]، **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}** [آل عمران: 200].

وكذلك لا حجة في ترك التعبئة العقائدية الفكرية من باب أَولى؛ لأن هدف الجهاد ومقصده أن تكون كلمة الله هي العليا في الدنيا مطلقاً، كما أن مهمة الإنسان الأساسية هي الخلافة أي توحيد الله تعالى وإقامة أمره وشرعه في الأرض، فلابد من فهم مراد الله تعالى وتصوره في كل شأن من الشؤون أولاً لا سيما فيما يتعلق بالفرائض كالجهاد وغيره؛ للقيام بهذه المهام الأساسية العظمى وهي مهمة كل مسلم قبل أن يكون مجاهداً أو غيره، **وسيُسأل كل واحد عن دينه كيف نصره بما يستطيع في نفسه وأهله ودنياه.**

هذا المفهوم للأسف غائب عن كثير من أبنائنا المجاهدين حتى صار الواحد منهم لا تكاد تجد له همة أو التفاتة إلى هذا الأمر الأساسي العظيم بقدر التفاته واهتمامه بالدور الوظيفي والمهمة المحددة والتخصص المنوط به في الجهاد، وقد يقدّم هذه المهمة الجزئية على تلك المعاني الأساسية فلا يشعر بالمسؤولية تجاهها كمسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مثلاً.

ومن أهم الأمثلة على الخلل أيضا: أن كثيرا منهم تربى على أنّهم على الحق المطلق وأنّهم يمثلون الإسلامَ والإسلامُ لا يخطئ وأنّ القادة ملهَمون وأنهم الطائفة المنصورة قطعا..، إلى درجة أنني سمعت بنفسي أحد القادة يقول في مهرجان الانطلاقة 2018م: "أظن أنا قد تجاوزنا مرحلة الاستبدال"! وينشأ عن ذلك داء العُجب وما يسمى بالثقة التامة بالقيادة حتى إذا أخطأت القيادة –وهي غير معصومة بالتأكيد– تقبلوا ذلك بحجة أنها أدرى وأعلم بخفايا الأمور ولعلها تعلم ما لا نعلم! وهذه أعظم وصفة للتبرير والتعظيم المطلق والاستبداد بالرأي.

وهذا في الحقيقة غلوّ في التعظيم وثقة عمياء غريبة عن المفهوم الإسلامي الذي يسمي هذه العلاقة بالمناصحة كما قال صلى الله عليه وسلم: "**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**"، قلنا: لِمَنْ؟ قَالَ: "**لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**"[1]، وجعل الله تعالى الرد عند التنازع –حتى بين الجند والأمراء– إلى الله ورسوله لا إلى الأمراء، فقال: {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ**

([1]) صحيح مسلم (55)، وسنن أبي داود (4944).

آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} [النساء: 59].

فالسيادة المطلقة في الجماعة المسلمة للشرع، والكل محكوم له جندا وقادة، وعلى الجندي إذا رأى من أميره شيئا يخالف الشرع أن يناصحه ليرده إليه وعلى الأمير أن يبيّن أو يستجيب، قال أبو بكر في خطبة الخلافة: "**أما بعد؛ أيها الناس، فاني قد وُليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوّموني، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم**"[1].

وهذا كله يقربنا من اغترار اليهود والنصارى كما في قوله تعالى: **{وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ}** [المائدة: 18]، وقد حذر منه الله تعالى فقال: **{وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ}** [التوبة: 25]، وحذَّر منه النبي صلى الله عليه وسلم حين تحدث عنه كأساس من أُسس انحراف الخوارج، فقال فيهم: "**إِنَّ فِيكُمْ قَوْمًا يَعْبُدُونَ وَيَدْأَبُونَ، تُعْجِبُهُمْ أَنْفُسُهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ**"[2].

وهذا من أخطر التصورات على أبنائنا المجاهدين وقادتهم؛ لأنه يفقدهم سمة الافتقار وحسن التوكل على الله تعالى وهو أساس التأييد الإلهي، كما أن هذا التصور أساس لكثير من التصورات الخاطئة الخطيرة المترتبة عليها نتيجة الصدمة التي ستصيبهم من الواقع الصادم نتيجةً لبعض الأخطاء التي برروها أو لم يدركوا –بسبب الثقة العمياء– أنها أخطاء أصلا، كما حصل في هذه الحرب من عقابٍ من أسبابه الأساسية التقصير في إقامة حكم الله تعالى بقدر الإمكان –كما سبق–، **فلما لم يعلموا الخلل تاهت عقول بعضهم وتوجه الشك إلى منهجهم وفكرهم.**

وهذا كله بحاجة ماسة إلى التعديل والتصحيح، فإن سنن الله غالبة، وهو سبحانه لا يحابي أحداً من خلقه، والعقوبة تَنال كلَّ مَن حادَ ولو كان نبياً كيونس عليه السلام أو

([1]) البداية والنهاية لابن كثير (5/ 248) وقال: هذا إسناد صحيح.

([2]) مسند أحمد (12886) وصححه الأرنؤوط.

صحابيًّا كما في أُحد وحُنين، ونحن لا يوحَى إلينا فنكون نحن الإسلام، بل إن الحركة الإسلامية جماعة من المسلمين تجتهد لتمثِّل الإسلام فيما ترى أنه يوافق الإسلام وقد تخطئ وقد تصيب لأنها غير معصومة؛ ولذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم الأمراء أن يقولوا للناس ننزلكم على حكم الله ورسوله، فقال: "**وَإِنْ حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ فَلَا تُنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ، وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ؛ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتُصِيبُ حُكْمَ اللهِ فِيهِمْ أَمْ لَا**"[1]، وهذه كلها من المسلَّمات العقدية والفكرية ولكنَّ وجود خللٍ في رسوخها عند البعض يجعلهم لا يتقبلونها ولا تستقيم في عقولهم وعواطفهم.

ومما يترتب على ذلك: الخللُ في مسألة فهم وتأصيل هذه الحرب شرعاً وما يترتب عليه من معاني إيمانية كبيرة تقدَّم بعضها، ورأينا كيف أن القرآن الكريم ركز كثيراً على تأصيل ما حدث في معركة أُحُد وبيَّن لهم الخلل بياناً شافياً واضحاً لا لبس فيه، ولم يراع خصوصية الصحابة رضي الله عنهم وفضلهم العظيم ولم يجاملهم بل خاطبهم بأقسى العبارات و أصرحها؛ رحمةً بهم ليوقظهم وينبههم على خطورة الأمر وأنه لا مجال للمجاملات وذلك بالرغم من استمرار معركتهم مع قريش فهي لم تنته بعد، فلم يفتّ ذلك في عضد المجاهدين ويضعف عزمهم بل أيقظهم وزادهم إيمانا وهمة وانتباها واستقامة ومضاءً، وقد قال ابن مسعود رضي الله عنه: "ما كنت أرى أن أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا حتى نزل فينا ما نزل يوم أُحُد"، وهو قوله تعالى: **{مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ}** [آل عمران: 152]، وذلك لأنهم خضعوا لمنهج مولاهم عز وجل فلم يقدموا عليه عقلاً ولا رأياً، فعلَّمهم ربهم أن المبادئ الراسخة والفهم الصحيح مقدَّم على العواطف والآراء البشرية القاصرة وعلى العمل ذاته، وهذا هو الفارق بيننا وبينهم والذي يجب علينا تضييقه بقدر الإمكان لتحقيق موعود الخلافة الراشدة الثانية التي لن تكون إلا على منهج الأولى، وهذا الفارق هو القوة في الدين لا سيما قوة اليقين والتسليم.

([1]) صحيح مسلم (1731)، وجامع الترمذي (1617).

ولذلك تجد كثيراً من الإخوة الأفاضل إذا قلنا لهم مثلا إن هذه الحرب داخلة ضمن معنى العقوبة بمفهومها الإيماني العميق الذي يعني الرحمة في المحصلة –كما مر– تجدهم ينفرون، وذلك لسببين:

الأول: التأسيس الفكري الخاطئ، لا سيما في مسألة تعظيم الذات كما مر.

الثاني: أن بعض القادة يقول إن هذا الكلام الفكري عن العقوبة مثلاً يُضعف عزم الجنود **ولا يناسب مرحلة الحرب وأنه ليس من مهمة القائد أو المجاهد أصلاً،** وقد أجبنا عن ذلك، وإنَّ الجنود إذا لم يدركوا مِثل هذه الحقيقة مثلاً فإنهم لن يدركوا مكمن الخلل فمعرفة الخلل هي أُولى خطوات الإصلاح، ولن يدركوا خطورة أمر الذنوب أو عدم تطبيق الشريعة، وكل ذلك يطيل فترة العقاب وأمر النصر.

كما أن التصورات والحقائق العقائدية الإيمانية والمنهج الرباني لا يمكن أن تأتي إلا بالخير؛ لأنها من الله تعالى، وإن كان يترتب عليها بعض المفاسد من قِبَل المكلَّفين فإن الغلبة فيها للمصالح، فمن رسخت في قلبه تلك الحقائق وشعر بالمسؤولية الشخصية تجاه الدين واتضح عنده مفهوم الولاء والبراء ثبت ولو استسلمت القيادة أو قُتلت، كما حصل مع أنس بن النضر رضي الله عنه في أُحُد فقال: "اللهم إني أبرأ إليك مما فعل هؤلاء (أي الكفار)، وأعتذر إليك مما فعل هؤلاء (أي إخوانه المؤمنون الذين فرُّوا أو تقاعدوا عن القتال)"، ثم أقبل بنفسه حتى قُتل.

كما أن العقل والقلب لا ينفكان عن التفكر والتصور، **فإن لم تملأ قلب المجاهد بالتصورات الصحيحة ملأه الشيطان بالوساوس الضارة والمهلكة،** فالتعبئة الفكرية تقوم بدور التخلية والتحلية معاً، ولذلك نجد كثيراً من الإخوة لديهم تصورات خاطئة نحو الآخرين كحركة فتح مثلاً حيث يظنون أن خلافنا معهم هو مجرد خلاف سياسي لا عقدي، ولا يدرك معنى العلمانية وخطورتها، وكالروافض حيث لا يفرق البعض بين جواز التحالف معهم وبين ضرورة التبرؤ من بدعهم وضلالهم، **والأخطر من ذلك كله وصول بعض المجاهدين إلى الشك للأسف الشديد في هذه الحرب،** فبعضهم يعترض على الله

تعالى، وبعضهم يشككه طولُ الحرب في صحة دينه وإيمانه ومنهجه أو في نصر الله تعالى للمؤمنين، **وهم قلة بحمد الله ولكن ذلك يدق ناقوس الخطر.**

وأنوه أخيراً أن هذا الإصلاح يحتاج إلى صبر ومتابعة من القيادة وبدء القيادة بنفسها لتكون قدوة حسنة، فإن كثيراً من الإخوة لن يتقبلوا بعض الكلام والحقائق التي تنتقدهم من غير قيادتهم، وبعضهم سيَفهم نقد الغير ونصحه بطريقة خاطئة؛ وذلك بسبب التصورات الخاطئة المسبقة عندهم لا سيما تعظيم الذات كما سلف، فيجب الصبر على ذلك ومداواته بالعلم والحلم والمتابعة والإصرار حتى يأذن الله تعالى بالطهر وتمام العافية، **وقد تكفلت الحرب وما فيها من بلاء عظيم بكثير من العلاج الذاتي بفضل الله، ولكن لا غنى عن توجيه المصلحين ومتابعة القيادة بعد فضل الله وتأييده.**

النظرة الخامسة: حكم الجهاد في غزة في معركة الطوفان:

كنت أريد أن أفصِّل في هذا الحكم والرد على الشبهات التي تُثار حوله، ولكن كفاني بيان العلماء الذي صدر بتاريخ: 18/ 11/ 2024م **وكتبه جماعة من أهل العلم في غزة** ووقّع عليه ثلة مباركة من كبار علماء الأمة بعنوان: **(الرد على مقال "أيها الساسة أقفوا هذا المد")**[1].

وخلاصة ذلك أن الجهاد ذروة سنام الإسلام، وهو ينقسم إلى جهاد طلب وجهاد دفع، وكثير من الناس يخلط بين أحكام الجهادَين ولا يميز بينهما، والسبب في ذلك أن أغلب كلام الفقهاء في أحكام الجهاد وشروطه العامة هو في جهاد الطلب؛ لعزة الإسلام في تلك الأوقات، فيظن غير الخبير أن هذه أحكام وشروط عامة تشمل النوعين.

والجهاد في غزة اليوم جهاد دفع يجب على كل قادر بقدر الإمكان، ولا يشترط فيه أي شرط آخر سوى الإمكان، **ويجب ذلك أيضا وجوبا عينيا على كل من يجاور غزة من المسلمين لا سيما الحكومات والدول لأنها تملك القوة والقدرة حتى يندفع العدوان، وكل لحظة يتأخرون فيها عن نصرة إخوانهم فإنها تكون عليهم إثما ووبالا عند الله تعالى؛** لأن المقاومة في غزة غير قادرة لوحدها على دفع العدوان مباشرة، وكل لحظة تمر يسقط فيها من الأرواح ويحل من الدمار والخراب والآلام والمعاناة على المسلمين ما لا يعلمه إلا الله عز وجل.

ولكن **المقاومة وكل من يمكنه الجهاد ويُحتاج إليه لا يعذرون برغم ذلك أمام الله إن تركوا الجهاد ولو كانوا لوحدهم، ولا يجوز لهم الاستسلام مطلقا طالما أن فيهم قدرة على الصمود حتى لو ترتب على ذلك أي قدْر من الخسائر الروحية والمادية**، والواقع يشهد أن المقاومة لديها القدرة على الصمود بفضل الله تعالى، وقد أثبتت ذلك على مدار أكثر من سنة كاملة لم يستطع العدو تحقيق أي هدف له فيها، والأهم من ذلك ما وعد الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم به أهل الشام عموما والمرابطين في غزة خصوصا من النصر والتمكين والفضل العظيم، ويكفينا قوله صلى الله عليه وسلم: "**إِنَّ اللهَ تَكَفَّلَ لِي**

([1]) رابط البحث على قناة التلجرام/ https://t.me/ramydaly/5674.

بِالشَّامِ وَأَهْلِهِ"[1]، أي إن صبروا وصدَقوا، وقوله صلى الله عليه وسلم: "**وَّإِنَّ أَفضَلَ رِبَاطِكُمْ عَسْقَلَانُ**"[2]، **وغزة من قضائها وحدودِها.**

أما **الخسائر فهي ضريبة لا بد من دفعها** حتى في عرف الكافرين، فأي بلد تحرَّرَ من أيدي الغاصبين دون دفع هذه الضريبة؟ ومن يطالع أخبار الكفار في فيتنام ولينين غراد في الاتحاد السوفيتي والمقاومة الفرنسية والبريطانية في الحرب العالمية الثانية وغير ذلك من قصص الصمود الأسطوري في بعض الأحيان يعلم ذلك **ويجعل المسلم يخجل من نفسه إذا فكَّر بالاستسلام مجردَ تفكيرٍ طالما معه رصاصة يمكن أن يدفع بها عن نفسه وعن الإسلام وهو يطالع أخبار هؤلاء الكفار وهم على الباطل وهو على الحق ويرجو من الله تعالى ما لا يرجون.**

وأصل ذلك أن المسلم يقاتل في الأساس لتكون كلمة الله هي العليا، فهو يقاتل لأجل الدين أساسا، **ودِينه أغلى عليه من روحه،** وهو ما خُلق إلا لأجل هذا الدين ليَتَعبَّد الله تعالى بإقامته ورفع رايته والجهاد في سبيله في نفسه وفي الأرض، وهي المهمة التي خُلق لها واشترى خالقُه منه روحَه لأجلها بجنة الخلد، **فلا شيء يُقَدَّم على الدين،** وهو أجَلُّ المقاصد الخمسة التي يُقصد صلاحها والحفاظ عليها، وهي بالترتيب: الدين والنفس والعقل والنسل أو العِرض والمال، **فالنفوس تُزهق من أجل الدين، ولا يمكن لمسلم أن يقبل أن ترفع راية فوق راية الإسلام ويجب عليه أن يبذل روحه دون ذلك لو كان في ذلك مصلحة للدين ولذلك شرع الله الجهاد كما قال العلماء، وكل مؤمن لا يشك في ذلك ولا يتردد فيه مطلقا ولا يخضع لوساوس الشيطان وتخويفه، {إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}** [آل عمران: 175]، **فعلى المجاهدين الإقدام بكل طمأنينة وثقة ورجاء في أعظم الدرجات عند الله عز وجل دون التفات أبدا إلى هذه الوساوس والشبهات.**

وقد قال تعالى مبينا سنة البلاء والامتحان: **{وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ}** [البقرة: 155]، **{أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ**

([1]) مسند أحمد (20356).

([2]) المعجم الكبير للطبراني (11138).

تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ} [البقرة: 214]، **{أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ}** [آل عمران: 142]، **{أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣)}** [العنكبوت: 2-3]، **{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ (١٠) وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ(١١)}** [العنكبوت: 10-11]، **{وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ}** [محمد: 31]، وغيرها من الآيات.

وإنما كان موقف المؤمنين إذا رأوا ما أَخبر به الله من البلاء والامتحان هو ما قال فيهم ربهم عز وجل: **{وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا}** [الأحزاب: 22].

والله تعالى لم يعذر المتخلفين والقاعدين والفارين في أُحد والخندق مع كون الكفار أكثر من ضِعفهم؛ لأن القتال فيها كان قتال دفع عن الدين والنفس، وحتى في جهاد الطلب كان المسلمون أقل من نصف الكفار في كثير من الأحيان وفي معارك كبرى حاسمة، وكان النصر حليفهم لأنهم لم يُسقطوا من حساباتهم **عامل اليقين والتوكل على القوي العزيز سبحانه،** وهو أهم عامل على الإطلاق، **وكثير من المثبطين عن الجهاد يُسقطه ولا يلتفت إليه بادعاء الواقعية، ولكن السبب الحقيقي هو ضعف اليقين، ولو كان السلف على واقعية المعاصرين المزعومة لما خرج الإسلام من جزيرة العرب، ولكن الواقعية الحقيقية هي التي لا تُسقط أعظم حقيقةٍ واقعيةٍ: وهي أن القوة والعزة لله جميعا،** وأنه **{وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ}** [الطلاق: 3]، مع الإعداد والأخذ بالأسباب بقدر المستطاع.

وقد قرر أبو بكر رضي الله عنه أن يقاتل المرتدين **ولو بقي وحده لأنه لا يقبل أبدا أن ينقص الدين وهو حي،** وأبَى أيضا إلا أن يُنفذَ جيش أسامة رغم معارضة الصحابة أجمعين تقريبا؛ يقينا منه بأن الخير والفلاح بالاتباع، والنبي صلى الله عليه وسلم قد أمر

بإنفاذه، فكان الله له عند حسن ظنه وكفاه؛ **ليضرب للأمة إلى يوم القيامة هذا المَثَل العظيم في اليقين والتوكل والاتباع، وأن ذلك أهم عوامل النصر التي يجب أن تكون على رأس الحسابات.**

وأترك التفصيل في حكم جهاد الدفع وأقوال العلماء والرد على **الشبهات** للمقال الذي ذكرته، ولكن أنقل طرفا يسيرا مما جاء في أجر المجاهدين والمرابطين وهو كثير جدا، **وأستغرب واللهِ أشدّ الاستغراب ممن يثبطون الناس ويفتنون المجاهدين ويحبطونهم في هذه الظروف الصعبة** –مع كونهم أشد ما يكونون حاجة إلى ضرباتهم وصمودهم لحمايتهم من أذى اليهود واستعبادهم– ويجتهدون في إيراد الشبهات لتشويه الجهاد، ثم لا يذكرون في المقابل الأحاديث التي تبين فضل من يجاهد العدو برغم القلة ولو كان وحده ومن يرابط في الخوف والأجر العظيم الذي وُعدوا به ليربطوا على قلوب مجاهدينا أُوْلِي البأس الشديد الذين ضربوا أروع الأمثلة في التضحية والفداء والتي كانت كفيلة بإسلام كثير من كفار الغرب، وأكتفي هنا بذكر ثلاثة أحاديث فقط تكفي لمن كان له قلب:

الأول: أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم **أَيُّ الشُّهَدَاءِ أَفْضَلُ؟** قَالَ: "**الَّذِينَ إِنْ يُلْقَوْا فِي الصَّفِّ لَا يَلْفِتُونَ وُجُوهَهُمْ حَتَّى يُقْتَلُوا، أُولَئِكَ يَتَلَبَّطُونَ فِي الْغُرَفِ الْعُلَى مِنَ الْجَنَّةِ، وَيَضْحَكُ إِلَيْهِمْ رَبُّكَ، وَإِذَا ضَحِكَ رَبُّكَ إِلَى عَبْدٍ فِي الدُّنْيَا فَلَا حِسَابَ عَلَيْهِ**"[1].

الثاني: قوله صلى الله عليه وسلم: "**عَجِبَ ربُّنا مِنْ رَجُلَيْنِ: رَجُلٍ ثَارَ مِنْ وِطائِهِ وَلِحَافِهِ مِنْ بَيْنِ حِبِّهِ وَأَهْلِهِ إِلَى الصَّلَاةِ، فَيَقُولُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي، ثَارَ مِنْ فِرَاشِهِ وَوِطَائِهِ مِنْ بَيْنَ حِبِّهِ وَأَهْلِهِ إِلَى صَلَاتِهِ رَغْبَةً فِيمَا عِنْدِي وَشَفَقَةً مِمَّا عِنْدِي، وَرَجُلٍ غَزَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَانْهَزَمَ النَّاسُ وعَلِمَ مَا عَلَيْهِ فِي الِانْهِزَامِ وَمَا لَهُ فِي الرُّجُوعِ فَرَجَعَ حَتَّى أُهريق دَمُهُ، فَيَقُولُ اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ: انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي، رَجَعَ رَجَاءَ فِيمَا عِنْدِي وَشَفَقَةً مِمَّا عِنْدِي حَتَّى أُهْرِيقَ دَمُهُ**"[2].

([1]) مسند أحمد (58253) وقواه الأرنؤوط.

([2]) صحيح ابن حبان (2557) وقواه الأرنؤوط.

الثالث: عَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ كَانَ فِي الرِّبَاطِ، فَفَزِعُوا إِلَى السَّاحِلِ، ثُمَّ قِيلَ: لَا بَأْسَ، فَانْصَرَفَ النَّاسُ وَأَبُو هُرَيْرَةَ وَاقِفٌ، فَمَرَّ بِهِ إِنْسَانٌ فَقَالَ: مَا يُوقِفُكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "**مَوْقِفُ سَاعَةٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْ قِيَامِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ عِنْدَ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ**"[1]. **فكيف بمن وقف أكثر من سنة كاملة بنية الرباط في سبيل الله في خير الرباط؟ وهذا ينطبق على كل من نوى الرباط بصدق من أهل غزة جميعا.**

هذا بالنسبة للجهاد.

أما السياسة: فإن القيادة السياسية وضعت ثلاثة خطوط حمر للمفاوضات، وهي: الوقف التام للحرب، والانسحاب الكامل من كل القطاع مع رجوع النازحين، وصفقة تبادل للأسرى.

فأما الشرطان الأولان فلا جدال فيهما ولا يجوز للساسة شرعا أن يتنازلوا أو يفرطوا في واحد منهما؛ لأن **عدم إنهاء الحرب** يعني عودتها بضراوة أكبر مع إسقاط ورقة القوة التي بأيدينا وهي الأسرى دون جدوى، وهذا لا يقول به عاقل، ويترتب عليه فساد أعظم مما نحن فيه، **وأما الأرض** فلا يجوز التنازل عن شبر منها والسماح لراية الكفر أن تُرفع فيه **ما دام في صمودنا ومقاومتنا عرق ينبض بالقوة والحياة.**

وأما الشرط الثالث فهو محل نظر، وأرى عدم التشدد فيه حتى ولو أدى الأمر إلى التخلي عنه في نهاية المطاف؛ لأن **إبقاء النفوس والحفاظ على الأرواح التي تُزهق كل يوم أَولى من إخراج الأسرى، فحفظ أصل النفس أولى من حفظ فرعها وكمالِها** –أي الحرية هنا–، والضرورات مقدَّمة على الحاجيات، كما أن أعداد الأسرى تزداد كل يوم بسبب الحرب فلا يُعقل أن نحرر الأسرى بمزيد من الأسرى، كما أن الأسرى يمكن رجوعهم بأي سبب يقدِّره الله ويمكن العمل على هذه الأسباب، بخلاف الشهداء والمعاقين إعاقات دائمة (مع كل احترامنا وتقديرنا للأسرى الأبطال وقولنا بوجوب تحريرهم على الأمة

([1]) صحيح ابن حبان (4603) وصححه الألباني والأرنؤوط.

كلها ولو أَنفقت كل ما بيدها من بيت المال كما قال الفقهاء، وذلك واجب في أعناقنا جميعا، ولكنَّ الخطب عظيمٌ جللٌ أكبرُ من الخيال ولا بد فيه من الحكمة والتضحيات).

وعليه فإني أناشد القيادة السياسية أن تعتبر هذا الأمر الشرعي، وأن تعمل كل جهدها لإنهاء الحرب ومعاناة الناس **مع عدم التفريط والتمسك بخطوط الشرع الحمراء التي لا يجوز تجاوزها دون غيرها من الشروط**، وأن يقدموا المصلحة العامة على الخاصة، وفَّقهم الله تعالى لما يحب ويرضى وأَجرى على أيديهم النصر وكشف البلاء.

النظرة السادسة: تأملات في سورة الإسراء:

1- قال تعالى: {وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا} [الإسراء: 4].

وقد اختلف العلماء في هاتين المرتين، وأكثر المفسرين السابقين قالوا بوقوعهما وانقضائهما؛ لأنهم لم يكونوا يتصورون في ظل عز الإسلام أن اليهود الذين هم أخس الناس وأذلهم سيتمكنون من احتلال الأقصى وانتزاعه من المسلمين، **ولكنّ الصحيح أن المرة الثانية هي التي نحن فيها الآن، وذلك لسبب بسيط وواضح وهو الواقع التاريخي، فإن اليهود لم تجتمع فيهم العلامتان معا اللتان ذكرهما الله تعالى -وهما العلو الكبير مع الإفساد- عبر تاريخهم إلا مرتان فقط:**

المرة الأولى: بعد مملكة داود ثم سليمان -عليهما السلام- العظيمة، حيث فسد الملوك من ذريتهما بعدهما فحصل إفساد عظيم مع عُلوهم فسلط الله تعالى عليهم "نبوخذ نصَّر" أو "بختنصَّر" ملك بابل في العراق.

المرة الثانية: هي هذه المرة التي نعاصرها.

وكل ما ذكره العلماء سوى ذلك فإنه لا تجتمع فيه العلامتان معا، بل **إما أن يكون علوا كبيرا دون إفساد** كما حصل مع داود وسليمان عليهما السلام، **أو إفساد دون علو كبير** وهو ما لازَمَهم عبر تاريخهم بعد الانهيار الأول إلى هذا العصر، وإذا كان الأمر كذلك فإن هذا يعني أن **الحكمة من ذِكر الله تعالى لذلك في كتابه أن يبيّن لنا طبيعة الصراع الذي سيكون بيننا وبين اليهود في المرة الثانية لنستنير ونأخذ أهبتنا،** فعلينا أن نلتقط هذه الإشارات القرآنية ونستهدي بها.

2- قال تعالى: {فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا} [الإسراء: 7].

ضمير الغائب في كلمة {لِيَسُوءُوا} وما بعدها يعود على العباد في قوله تعالى: {فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ

وَعْدًا مَفْعُولًا} [الإسراء: 5]، **فيكون التقدير: "فإذا جاء وعد الآخرة بعثناهم عليكم ليسوءوا وجوهكم و.."**.

ويؤكد ذلك قوله تعالى: **{ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ}** [الإسراء: 6]، وقوله: **{وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ}** [الإسراء: 7]، والأصل في الضمير أن يمثِّل الاسمَ المذكور قبله العائد عليه نفسه وذاته؛ فإنْ تعذَّر وجب أن يمثل حقيقته على أتم وجهٍ ممكنٍ حسًّا ومعنى؛ لأن الضمير يقوم مقام الاسم في الأصل، **وذواتهم هنا غير مرادة قطعا، فننتقل إلى أقرب حقيقة تمثلهم وهي حقيقة مادية وأخرى معنوية:**

أما المادية: فهي نسلهم وذريتهم فإنهم منهم.

وأما المعنوية: فهي دِينهم وإيمانهم.

وبعضهم رجَّح المعنوية؛ لقوله تعالى: **{عِبَادًا لَنَا}**، فظن أن هذا التركيب يقتضي الاصطفاء والإيمان لأن اللام في **{لَنَا}** تقتضي الاختصاص، ولذا حَمل هذه المرة على فتح الصحابة لبيت المقدس ودخولهم المسجد بعد النبي صلى الله عليه وسلم، **وهذا القول مجانب للصواب؛** لأنه لم يكن لليهود في ذلك الوقت أي علو أو تمكين في الأرض، والأمر كان للروم النصارى دونهم، كما أن هذا التركيب يقتضي الملك؛ لأن الأصل في اللام أن تفيد الملك لمن يقبله والاختصاص لمن لا يقبله، كقولنا: "أخ لزيد" أو "سرج لفَرس"، وكُل العباد ملك للملك سبحانه.

ولكني أرى الجمع بين الأمرين: أي إن الأصل في هذا التركيب الملك الذي يدل على عدم اختصاصهم بالله تعالى واصطفائه لهم، ولو أراد الله تعالى الاختصاص التام لأضافهم إلى نفسه الكريمة إضافةَ تشريفٍ فقال: "عبادنا" كما قال في أول السورة عن حبيبه ومصطفاه: **{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ}** [الإسراء: 1]، ولكن التركيب يشير أيضا إلى نوع اختصاصٍ ضعيفٍ من وجهٍ ما؛ لأنه لو لم يُرد الاختصاص مطلقا لاكتفى بقوله: "عبادا أولي بأس شديد"، لأن العبودية في ذاتها تقتضي الملك فلا داعي للام الملك، وهذا الاختصاص الضعيف هو ما رأيته للعلامة محمد أبي زهرة رحمه الله في تفسيره زهرة التفاسير حيث قال: "أضافهم له سبحانه وتعالى بما يفيد الاختصاص، ومؤدى ذلك أن الله

جعلهم له لا لأجل العبودية والطاعة، بل ليكونوا آلة تأديب وتهذيب لمن يخرجون عن الهداية ويقعون في الفساد"[1].

وهذا الجمع الذي ذكرته يوضح المقصود من التركيب والحكمةَ من اختياره على أكمل وجه والله تعالى أعلم، وهذا يتلاءم مع اختيارنا أن القضاء على إفسادهم وعلوهم الأول كان على يد بختنصر، فهو وجنوده كانوا من المشركين الكافرين لكنهم أولو بأس شديد جعلهم الله تعالى **مجرد آلة تأديب لبني إسرائيل، ولم يكن انتصارهم أو دخولهم للمسجد مقصودا لذاته؛** لشِركهم وعدم استحقاقهم التكريم وعدم أهليتهم لإعمار بيت الله، **ولذلك لم يذكر المسجد في وعد الأولى بخلاف وعد الآخرة** كما سيأتي بتفصيل أكثر إن شاء الله.

إذن أقرب الحقائق للذات هنا هي الذرية والدين، والدين ليس مقصودا كما مر ولكنَّ **أقرب الحقائق المعنوية الممكنة إليه هي العداوة لليهود التي كانت تَجمع بختنصر وأحلافه جميعا، فهذه حقيقة معتبَرة،** وقد لحظ بعض المفسرين –كابن كثير وغيره– مأخذها فاعتمدوها وقالوا إن الضمير في **{لِيَسُوءُوا}** وما بعدها يعود إلى الأعداء، أي بعث الله عليهم أعداءهم ليسوءوا وجوههم.

وأما القول بأن المقصود الذرية: فهو بعيد كذلك، لأن الذين حاربوهم في الوعد الأول اندثروا وبادوا أو على الأقل لم يعودوا معروفين أو قلة لا أثر لهم، وهم الكلدانيون قوم نبوخذ نصَّر وكذلك غيرهم من القوميات التي حاربتهم أيضا كالأراميين والمؤابيين وبني عمّون وغيرهم كما جاء في التوراة.

ولكن أقرب حقيقة ممكنة إلى الذرية هي الوراثة، وهي حقيقة معتبرة كذلك، أي هم ورثة أرضهم وديارهم من **أهل الشام وما جاورها من العراق،** فأعداؤهم الحقيقيون كانوا في هذه المنطقة بالتحديد، وأرض الشام هي الأرض المباركة الموعودة لهم في التوراة والقرآن لمّا كانوا على الحق والهُدى ثم سلبت منهم لما زاغوا وكفروا وأفسدوا.

([1]) محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير (8/ 4335).

ولذلك **ذهب بعض المفسرين** إلى أن المقصود بالأرض في قوله تعالى: **{وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا}** [الإسراء: 4] هي **أرض الميعاد** هذه. **وذهب آخرون** إلى أن المقصود **عموم الأرض**، ويؤيد ذلك قوله تعالى في آخر السورة: **{وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا}** [الإسراء: 104]، فالأرض هنا المقصود بها العموم وفاقا لقوله تعالى: **{وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا}** [الأعراف: 168]. **والأَولى تفسير القرآن بالقرآن**، ودليل الفريق الأول قوله تعالى: **{فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا}** أي جئنا بكم مجتمعين من أنحاء الأرض إلى حيث وعد الآخرة، والمقصود به هنا الأرض المباركة الموعودة، فيكون هو المقصود أيضا بالأرض في الآية الأولى لأنها هي **مكان الإفسادين**.

والذي أرجحه: الجمع بين القولين، فهم يفسدون في الأرض عموما وفي أرض الميعاد خصوصا، وهذا التفسير هو الذي يؤكده الواقع المعاصر الذي يشهد إفساد اليهود في فلسطين خصوصا وفي كل الأرض عموما، وتؤكده حقيقة اليهود أنفسهم فهم أعداء البشرية والإنسانية جمعاء كما سيأتي قريبا عند ذِكر بعض عقائدهم ونصوصهم في التوراة والتلمود.

وعليه فإن اجتماع هاتين الحقيقتين المعنوية والمادية وهما: العداوة ووراثة الأرض يمثل أقرب نقطة ممكنة من الحقيقة التامة، وهي الذات كما مَرَّ، فيكون المقصود بعباد وعد الآخرة الذين سينهون طغيان اليهود في عصرنا وينتزعون الأقصى من أيديهم بإذن الله هم **أعداء اليهود من أهل الشام والعراق تحديدا والله تعالى أعلم**.

ويؤكد ذلك أن الله تعالى أشار إلى ذلك في قوله: **{ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ}**، **والخطاب هنا لليهود** وهو الظاهر كما في كل الضمائر السابقة، ولا أعلم في ذلك خلافا بين المفسرين إلا خلافا شاذا للعلامة محمد أبي زهرة –وتبعه بعض العلماء اللاحقين– حيث ذكر في تفسيره "زهرة التفاسير" أن الخطاب هنا فيه التفات للمسلمين وليس هو لليهود، ويترتب عليه أن الخطاب في قوله تعالى: **{لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا}** هو للمسلمين أيضا، أي أن اليهود هم الذين سيسيئون

وجوه المسلمين ويدخلون المسجد، **ولا أعلم سلفا له في ذلك، وهو خلاف الظاهر من نَسَق الضمائر، وينقضه:**

أولاً/ جملة {رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ} في الآية –وهي مكية–، والتي تعني وجود مرة سابقة من الحرب، وهو ما حصل في وعد الأُولى بين اليهود وأولي البأس، **ولم تكن للمسلمين أي حرب سابقة لا مع اليهود ولا مع العباد أولي البأس المذكورين،** فلا كَرّة لهم، ولكن الكرة إنما هي لليهود على الذين هزموهم من أولي البأس كما هو واضح جدا من ظاهر السياق.

ثانياً/ كما أن المسلمين لم يكونوا قط أكثر نفيرا من أعدائهم لا حسا ولا معنى، وأما اليهود فهم الآن أكثر نفيرا من أعدائهم المسلمين؛ لأن النفير هم الرجال الذين ينفرون للقتال ويشتمل على معنى الدعوة للقتال والحث عليها وهي بالمعنى المعاصر تعني الدعاية والإعلام والتي يملك اليهود ناصيتها ويعتلون صهوتها اليوم، فالأمر متحقق فيهم لا في المسلمين.

ثالثاً/ كما أن الحكمة من السياق من أول السورة إلى منتهى المقطع الذي يذكر بني إسرائيل: بيانُ وراثةِ النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين –الذين هم عباد الله حقا– **للمسجد الأقصى وإمامةِ الدين** بعد بني إسرائيل بعد تفريطهم وفسادهم، **وبيان عاقبة اليهود الوخيمة وعقابهم الأليم على هذين الإفسادين** كما هو متفَق عليه في وعد الأولى، **فلا يناسب أن يكون الخطاب في وعد الآخرة للمسلمين** لأنه يعني أن اليهود هم الذين سيسيئون وجوه المسلمين ويدخلون المسجد كما صرح الشيخ، **وهذا فيه إعزاز لليهود وليس عقابا لهم وفيه إذلال للمسلمين وليس إعزازا لهم،** فلا يناسب السياق أبدا بل يضاد مقصده.

رابعاً/ كما أنهم لم يدخلوا المسجد الأقصى على المسلمين من قبل ليقال: {وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ}.

إذا ثبت أن الخطاب في الآية لليهود: فهذه إشارة إلى العداوة المتأصلة بين اليهود وأولئك العباد على تباعد الزمان، وهو ما يؤكد الحقيقة الأولى وهي العداوة، ثم إن اليهود

عنصريون بكل معنى الكلمة ومِلَّتُهم قائمة على أساس العنصرية وهي قطب رحاها، فيُميِّزون بين العنصر اليهودي الذي يمثل شعب الله تعالى وبين غيره من سائر الأمم التي لم يخلقها الله تعالى في عقيدتهم إلا لخدمة اليهود، ويميزون كذلك بين عنصر الأرض الموعودة وغيرها وهي لهم ومحرمة على غيرهم من البشر وهي جنتهم وارتباطهم بها أكبر بكثير من ارتباطهم بجنة الخلد كما يعلم ذلك كل من طالع توراتهم، وذلك لقسوة قلوبهم وغلبة الدنيا والمادة عليها فهي غُلفٌ مطبوعٌ عليها لشدة كفرهم وافترائهم على الله وملائكته ورسله، فملّتهم قائمة على العلو العنصري القومي والوطني، وعدوهم الحقيقي هو من ينازعهم هذا العلو في الجنس والمكان.

– **فأعداؤهم في الوعد الأول هم سكان الأرض الموعودة وجيرانها الأصليون؛** لأنهم كانوا يكفرون بملتهم وتَميّزِهم العنصري ويقاومون علوهم وتوسعهم واغتصابهم لأرضهم.

– **وكذلك عدوهم في الوعد الثاني هم سكان هذه الأرض نفسها لكنِ المسلمون منهم دون غيرهم؛** لأنهم هم وحدهم الذين ينازعونهم منازعةً حقيقيةً اليوم في التميز العنصري والعلوّ على هذه الأرض؛ لأن الإسلام يأمر أهله ألا يحكم الأرض إلا القرآن وأن تكون كلمة الله تعالى هي العليا، كما أن الإسلام هو الذي يفضح بالوحي الإلهي حقيقة اليهود وأنهم بخلاف زعمهم أنهم أبناء الله وأحباؤه هم المغضوب عليهم وأحفاد القردة والخنازير وأعداء الرسل والملائكة، ولذا فإن المسلمين هم أعدى أعداء اليهود كما قال تعالى: **{لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا}** [المائدة: 82]، ولذلك **كلما ازداد المسلمون تمسكا بدينهم كلما ازدادت عداوة اليهود لهم؛ لأنهم سيكونون أشد منازعة لليهود في شعبتَي عنصريتهم كلتيهما: القومية والوطن،** بل جعل الله ذلك علامة من علامات الإيمان، حيث قال: **{وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ}** [البقرة: 120]، فعداوة اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم أكمل عداوة وكلما اقترب المسلم من النبي صلى الله عليه وسلم كلما ازدادت عداوة اليهود له والعكس صحيح.

هذا هو أساس العداء عند اليهود، عنصري بحت قائم على القومية والوطن، أما الدين فلا وزن ولا قيمة حقيقية له عندهم، بل هو تبع وأداة يعززون بها عنصريتهم

وعلوهم المذكور المقصود أساسا، ولذا فهم يحرّفون دينهم ليخدم هذه العنصرية، وعداؤهم للرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم قائم على العنصرية والحسد أنْ خرج من غيرهم، وهم أشد عداوة للإسلام لأنه ينسف عنصريتهم كما مر، فإذا استسلم المسلم لعلوهم في هذه الأرض فلا تبقى لهم معه مشكلة كبيرة سوى أنه ليس من نسل بني إسرائيل المميز، قال تعالى: **{وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ}** [البقرة: 120].

فملة اليهود قائمة على هوى العلو والعنصرية فلن يرضوا عن المسلم حتى يكون كلبا لهم، ولا يرضون بأقل من ذلك لأن هذا هو أصل خِلقة غير اليهود في عقيدتهم، فهم يزعمون أنهم أولياء الله وأحباؤه، وأنهم وحدهم أهل الجنة والمستحقون لرضا الله ورحمته، ويسمون غيرهم من النصارى والمسلمين وسواهم "الأمميين" أو "الأميين"؛ لذلك هم يستبيحون أموال الآخرين ودماءهم وأعراضهم، بل يرون أنهم كالأنعام مسخَّرة لليهود، وذكر الله عنهم بأنهم يقولون: **{لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ}** [آل عمران: 75] أي: ليس علينا حرج إذا أخذنا أموالهم واغتصبنا حقوقهم وجعلناهم فريسة لنا، لأنهم يرون كل من سواهم وثنيين وكفرة وبهائم وأنجاس.

وقد ساعدهم على ذلك ما أمرَتهم به كتبهم من قتل وإذلال واحتقار لغيرهم، ففي سِفر الخروج في التوراة ما نصه: "حين تقترب من مدينة لكى تحاربها استدعِها إلى الصلح، فإذا أجابتك فكلّ الشعب الموجود فيها يكون للتسخير ويُستعبَد لك، وإن لم تسالمك بل عملَت معك حربا فحاصرها، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف، هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جداً، وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إياها فلا تستبْق منها نسمة ما".

ومن تعاليم التلمود (الذي هو أقدس من التوراة عندهم) أن أرواح اليهود تتميز عن باقي الأرواح بأنها جزء من الله كما أن الابن جزء من والده، ومن ثم كانت أرواح اليهود عزيزة عند الله بالنسبة لباقي الأرواح، لأن الأرواح غير اليهودية هي أرواح شيطانية وشبيهة بأرواح الحيوانات، وفيه: أن سوى اليهود من باقي الناس حيوانات في صورة

إنسان، هم حمير وكلاب وخنازير يلزم بُغضهم سرًّا، وأن الفَرق بين درجة الإنسان والحيوان هو بقدر الفرق الموجود بين اليهود وباقي الشعوب، وأن النطفة المخلوق منها باقي الشعوب الخارجين عن الديانة اليهودية هي نطفة حصان، وأن اليهودي يتنجس إذا لمس القبور وفاقاً للتوراة ما خلا قبور مَن عداهم من الأمم، إذ كانوا يعدونهم بهائم لا أبناء آدم، وأن الأجانب بصفة كلاب، لأنه مذكور في سِفر الخروج (12،16) أن الأعياد المقدَّسة لم تُجعل للأجانب ولا للكلاب، بل قال بعضهم: إن الكلب أفضل من الأجانب، لأنه غير مصرح لليهودي أن يعطيهم لحماً، بل يعطيه للكلب لأنه أفضل منهم، والأمم الخارجة عن دين اليهود ليست فقط كلاباً بل حميرا أيضاً، قال الحاخام (أباربانيل): "الشعب المختار (أي اليهود) فقط يستحق الحياة الأبدية، وأما باقي الشعوب فمثلهم مثل الحمير"، وقال: "خَلَق الله الأجنبي على هيئة الإنسان ليكون لائقاً لخدمة اليهود الذين خُلقت الدنيا لأجلهم، لأنه لا يناسب لأمير أن يخدمه ليلاً ونهاراً حيوانٌ وهو على صورته الحيوانية، كلا ثم كلا، فإن ذلك مُنابذ للذوق والإنسانية كل المنابذة، فإذا مات خادمٌ ليهودي أو خادمةٌ وكانا من المسيحيين مثلا فلا يلزمك أن تقدم له التعازي بصفة كونه فَقد إنساناً، ولكن بصفة كونه فَقد حيواناً من الحيوانات المُسخَّرة له"، وكان رأي الحاخام (اريل) أن الخارجين عن دين اليهود خنازير نجسة، والخارج عن دين اليهود حيوان على العموم، فسَمِّهِ كلباً أو حماراً أو خنزيراً، والنطفة التي هو منها هي نطفة حيوان[1]. وقد سمعنا تصريحات حاخامهم الأكبر عوفاديا يوسيف –الذي أطلق عليه المجرم نتنياهو لقب عملاق التوراة– في أوائل هذه الألفية الثانية حين وصف العرب والمسلمين بأنهم صراصير وثعابين وديدان، وتصريحاته منشورة على الإنترنت، فهم أعداء الإنسانية حقا.

وهذا الذي يفسر حربهم الطويلة مع غزة والتصميم على القضاء على المقاومة فيها دون غيرها، وذلك لأنها تمثل التهديد الأكبر الوجودي لهم ولعلوهم في هذه الأرض، ويفسر رضاهم الكبير نسبيا على المنَسِّقين والمطبِّعين الخونة، وتحالفَهم مع العالم

([1]) انظر: موسوعة الملل والأديان لمجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف على موقع الدرر السنية (1/ 164)، التفسير الوسيط لمحمد سيد طنطاوي (421/5)، الكنز المرصود في قواعد التلمود: ترجمة يوسف نصر الله (ص 43 وما بعدها).

المسيحي مع تكفيرهم لبعضهم البعض؛ إذ إنهم لا ينازعونهم العلو في هذه الأرض بل يدعمونهم لتحقيق ذلك؛ لاعتقاد المسيحيين بعودة المسيح عليه السلام في آخر الزمان وأن إعادة هيكل اليهود شرط لعودته فيلتقيان في هذا الهدف.

وإذا كان العباد في وعد الآخرة الذين سينهون طغيان اليهود هم أعداؤهم من مسلمي الشام وما جاورها من العراق فلا يمنع ذلك من أن الأمة الإسلامية بأسرها ستكون من خلفهم دعما وإسنادا؛ بل إن نهوض الأمة أساس في تحرير الأقصى كما مَرَّ في النظرة الثالثة "تعانق السنن".

وأود التنويه في نهاية هذه الفقرة إلى بشارة عظيمة نستشِفُّها من قوله تعالى: {**وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ**} [الإسراء: 7]: وهي أن **الأقصى سيكون مسجدا عند فتحه بأيدي المؤمنين في هذه المرة** وليس هيكلا أو كنيسا، وهذا يعني أن اليهود لن يستطيعوا هدمه أو تغييره بحمد الله وفضله.

3- آية وعد الآخرة تدل على وجود مراحل للفتح فيها، بخلاف الأُولى:

ففي الأولى قال تعالى: {**فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ**} [الإسراء: 5] ولم يزد على ذلك، وأما في الآخرة فذكر ثلاث مراحل: الأولى: {**لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُم**}، والثانية: {**وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ**}، والثالثة: {**وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا**}، وكل واحدة مقصودة لذاتها بدليل تكرر اللام سواء قلنا هي لام الأمر أو لام التعليل -وهو الأرجح- والله أعلم.

*** أما مرحلة إساءة وجوههم: فأظنها بدأت بطوفان غزة، وذلك لثلاثة أسباب:**

الأول: أن الإساءة حصلت حقيقةً بوطء رؤوسهم ووجوههم بأرجل المجاهدين.

الثاني: أنها حصلت معنى، إذ كانت هذه الحادثة هي أعظم حادثة يُمنى فيها اليهود بخسائر فادحة منذ قيام كيانهم المسخ، فهي أعظم مصيبة أصابتهم وأساءت وجوههم على الإطلاق.

الثالث: أنها كذلك الحادثة الأولى التي ترتب عليها إساءة وجوه اليهود في المحافل الدولية وفضحت إجرامهم وأبانت سوءتهم أمام العالم.

فكان كل ذلك إشارة إلهية واضحة ببدء مرحلة الإساءة والله أعلم.

– تشير الآية إلى أن مرحلة الإساءة ستستمر حتى مرحلة دخول المسجد الأقصى وفتحه؛ لأن الله تعالى لم يذكر مرحلة وسيطة، ومن مظاهر ذلك: ما يحصل من عمليات بطولية تسيء وجوههم وتكسر أنوفهم، وصمود عظيم في وجه طغيانهم، وكسر لإرادتهم بعدم تحقيق أهدافهم التي أعلنوها في الحرب لا سيما القضاء على المقاومة وتحرير أسراهم، وصواريخ تمطرهم من هنا وهناك، وأزمة في اقتصادهم وسياستهم الداخلية والخارجية، وغير ذلك مما يحصل وسيحصل إن شاء الله.

وفي ذلك بشارة عظيمة جدا أننا في غزة لن ننكسر في هذه الحرب؛ بل سنبقى نَسوء وجوههم وشوكةً في حلوقهم حتى فتح الأقصى بإذن الله تعالى.

– مرحلة إساءة الوجوه لا تعني استمرار الحرب حتى فتح الأقصى وإن كانت مرحلة قصيرة في ذاتها، وذلك لثلاثة أسباب:

الأول: ما ذكرتُه في النظرة الثالثة –وهي تعانق السنن– من أن **هذه الحرب ستُطفأ ولن تطول أكثر بإذن الله،** لقوله تعالى: **{كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ}** [المائدة: 64] وأن طولها الحاصل بسبب تداخل سنن أخرى مع هذه السنة كما بيَّنتُ.

الثاني: أن ذكر المراحل الثلاثة في سياق واحد وكأنها حدث واحد –كما يسبق إلى الذهن– **وربطها معا بلحظة تاريخية واحدة وهي حينونة الوعد الإلهي يدل على تقاربها في الزمن،** بخلاف التعبير بـ **{ثُمَّ}** مثلا في قوله تعالى: **{ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ}** التي تفيد التراخي والبُعد.

الثالث: أن الإساءة لها صور كثيرة وليست محصورة في الحرب كما مر، **والصورة الأقرب التي أراها بعد انطفاء الحرب هي صعود الإسلام وصحوته وعلو رايته في الشام خصوصا وفي الأمة عموما،** لأن ذلك هو الذي يلائم السنن جميعا ويجمع بينها فتتحقق به إساءة وجوه اليهود والتمهيد للخلافة الراشدة الثانية الموعودة والتمهيد للمرحلة الثانية وهي فتح الأقصى وغير ذلك من السنن، **وقد يكون ذلك بصعود الجهاد واجتماع كلمته في الشام لا سيما في سوريا وبموجة ثانية من الربيع العربي في البلاد العربية، وهو**

الأرجح عندي؛ لأن الموجة الأُولى كانت مثالا وكانت مفاجئةً ومعجزةً أراد الله تعالى بها أن يُطَمئن قلوبنا إلى قرب تحقق الموعود وأن الأمر بيده إذا أراده فإنما يقول له كن فيكون، وهذا الكَون قد يحصل بأقرب مما نتخيل ونتصور كما حصل في المرة الأولى، والله تعالى هو الذي يبدئ ويعيد، والعَود أهون، وقد بينتُ ذلك بتفصيل أكثر في النظرة الثالثة "تعانق السنن".

– مرحلة الإساءة لا يشترط فيها الإيمان بشكل أساسي، وإنما يشترط فيه فقط مجرد العداء لليهود ممن يسكن هذه الأرض كما بينتُ سابقا عند تحديد هوية العباد أولي البأس الشديد في وعد الآخرة، فهذا هو الأصل الذي لا صارف له هنا، وهو ما أشار إليه النص القرآني وذلك في قوله تعالى: **{عِبَادًا لَنَا}**، فلم يُضف العباد إلى نفسه إضافة التشريف، فدل على أنهم من سائر العباد ولا ميزة لهم تجعلهم مختصين بالله تعالى على جهة الكمال –فكل الناس عباد لله عز وجل– سوى أنهم أداة لتنفيذ قدر الله تعالى في اليهود، فكان هذا التعبير مقصودا للإشارة إلى هذا المعنى كما بينت سابقا، وكما يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم: **"إِنَّ اللهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ"**[1].

ويؤكد ذلك الحقيقة التاريخية من شِرك بختنصر وجنده، والأصل في عباد وعد الآخرة أن يكونوا كأصلهم وأقرب إلى حقيقتهم كما مر معنا –أعني من حيث إنه لا يشترط فيهم الإيمان والعقيدة السليمة القوية، فقد يكونون من المؤمنين الصالحين ومن غيرهم–، **وهذا ما يفسر حصول إساءة وجوه اليهود من قبل أهل البدع والضلال من المسلمين كالروافض في لبنان مثلا على أني أستبعد أن تحصل إساءة حقيقية مستمرة من قبل إيران أو اليمن** –سوى بعض الضربات الاستثنائية المحدودة–؛ لأنهم ليسوا من أهل الأرض الموعودة وما جاورها التي هي مسكن عباد الأولى والآخرة –كما مر–، بل يغلب على ظني أن **هذه الحرب ستضعف الفريقين معا أي: اليهود والروافض؛ وذلك تمهيدا للخلافة الراشدة التي هي قدر الله الغالب بإذن الله.** والله تعالى أعلم.

([1]) متفق عليه: صحيح البخاري (3062)، وصحيح مسلم (111).

*** وأما المرحلة الثانية: وهي دخول المسجد الأقصى وفتحه: فيشترط فيها الإيمان والعقيدة السليمة القوية؛** لقرائن أخرى سوى أصل السياق، وهي **إشارات ثلاثة** أشار إليها النص القرآني ثنتان في الإسراء وأخرى خارجها:

الإشارة الأولى: قوله تعالى في وعد الآخرة: **{وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ}**، ولم يذكر ذلك في الأولى مع أنهم دخلوه في الأولى أيضا، فقد قال تعالى: **{كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ}**، فدل ذلك على أن **دخول المسجد أول مرة لم يكن مقصودا لذاته لأنه حصل من قوم مشركين،** والله تعالى يقول: **{مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ}** [التوبة: 17]، فدخول المشركين للأقصى لم يكن مقصودا لله تعالى أصالة وإنما كان لمجرد العقاب لليهود؛ وذلك لأن اليهود في ذلك الوقت على شدة فسادهم وإفسادهم إلا أنهم كانوا أَولى بالمسجد من المشركين؛ لأنهم كانوا على الدين الحق في الأصل، **أما في وعد الآخرة فدخول المسجد الأقصى مقصود لذاته من الله تعالى ولذلك ذكره معلَّلًا باللام، وهذا يعني:**

أولًا: أن من يدخله ويفتحه هم أحق به من اليهود وهم المسلمون الذين ورثوا إمامة الدين من بني إسرائيل كما تدل عليه حادثة الإسراء نفسها.

وثانيا: أنهم ينبغي أن تتحقق فيهم الأوصاف التي ذكرها الله تعالى فيمن يستحق عمارة المساجد وفي قلبها الأقصى: **{إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ}** [التوبة: 18].

الإشارة الثانية: وهي ما ذكره الله تعالى في أول السورة وتمثل محورها الأساسي، وهي قوله تعالى: **{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ..}** [الإسراء: 1]، **وفيها إشارة إلى انتقال الخلافة وإمامة الدين من بني إسرائيل إلى المسلمين،** وقد صلى النبي صلى الله عليه وسلم في الأقصى إماما بجميع الأنبياء والمرسلين تأكيدا لهذا المعنى وصار الأقصى من أعظم مساجد المسلمين ومقدساتهم، فما استحققناه إلا بوراثة الخلافة الدينية وبالإمامة في الدين، وصار **الأقصى**

تيرومتر الأمة –كما مر في تعانق السنن– لأنه محل نزاع بين الديانات الثلاثة، **فلا تستحقه أمة الإسلام إلا إذا استوفت شروط الإمامة في الدين مِن أخذ الكتاب بقوة** وإلا وكَلهم الله إلى أنفسهم وتخلفت معية الله تعالى فغلب الأقوى "وهم أقوى بكثرة عددهم وعتادهم" وكان ذلك عقابا للمسلمين لتقصيرهم في أداء أمانة الإمامة والخيرية، فكلما قوي دين الأمة واستقامت واستمسكت بكتاب ربها وسنة نبيها صلى الله عليه وسلم كلما حازت الأقصى، والعكس صحيح، وهو ما يؤيده شاهد التاريخ، فلن يعيد الأقصى ويفتحه إلا المؤمنون الصادقون المستحقون لعمارته.

ومن العجيب في هذا السياق أن الله تعالى اختار لنبيه صلى الله عليه وسلم في أشرف مقام وهو مقام الإسراء والمعراج أشرف وصف، وهو العبودية لله تعالى، وأضافه إليه إضافة تشريف ليبين لنا أن **الطريق إلى الأقصى واستحقاقه يكون من خلال العبودية التامة لله تعالى**، وكلما كنا أقرب إلى النبي صلى الله عليه وسلم في تسليمه وقيامه بأمر الله تعالى وعبوديته كلما كنا أئمة الأمم وسادتهم كما كان نبينا إمام أنبيائهم، فنكون أحق الناس بالأقصى ويعيننا الله ويشرفنا به، ثم بين الله تعالى لنا **طريق هذه العبودية** وهي باتباع القرآن وإقامة شرائعه، فقال تعالى بعد ذلك: **{إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ}** [الإسراء: 9]، وقريب من هذا قوله تعالى: **{كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ}** [آل عمران: 110]، فالخيرية تقتضي السيادة والإمامة، وهي تقتضي النصر والتمكين لكن بالشروط المذكورة التي هي من أهم مظاهر العبودية لله، **وأعظم التمكين هو التمكين من المقدسات.**

الإشارة الثالثة: قوله تعالى في سورة النور: **{وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا..}** [النور: 55]، وقوله في سورة محمد: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ}** [محمد: 7].

ونحو ذلك مما يدل على أن **الاستخلاف والتمكين وعلى رأسه فتح الأقصى شرطه الأساسي الإيمان الحق والعبودية التامة من العمل الصالح ونصرة الدين**، ويضاف إلى ذلك أن **فتح الأقصى سيكون تمهيدا للخلافة الراشدة الثانية أو عملا من أعمالها** كما مر

معنا، وهي خلافة على منهاج النبوة كما نص النبي صلى الله عليه وسلم، فلهذه الأدلة والقرائن قلنا بأن **من يفتح الأقصى هم الخلص من أهل السنة والإيمان والاستقامة.**

* **وأما المرحلة الثالثة: فهي مرحلة التتبير:** أي الإهلاك والتدمير لِمَا يظهر عليه المؤمنون، وهي تفيد في **استراتيجية القتال في الفتح وأن مقصده الأعظم هو فتح الأقصى وأنه ينبغي أن يُبدأ به أولا ويكون هو هدف الحرب المباشر**، ثم بعد فتحه يتم تطهير باقي الأرض من رجس اليهود، فالله تعالى لم يترك حتى تفصيل استراتيجية المعركة؛ ليبين لنا طريق النصر على هذا الكيان المجرم، وفي ذلك ما فيه من العناية الإلهية واللطف بالمؤمنين والبغض والغضب على اليهود.

4- قوله تعالى في أول السورة: {فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ ...} [الإسراء: 7]، **وفي آخرها: {فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا}** [الإسراء: 104].

يدل تكرار المضاف إلى الظرف المستقبل ذاته في الآيتين على حصول متعلَّقَي الظرف في زمن واحد، أي أنه إذا جاء وعد الآخرة سيحصل أمران معا هما إساءة وجوه اليهود وحشرهم في أرض الميعاد، وهذا يدل على حصولهما في زمن واحد أو متقارب جدا؛ لأنهما متعلقان بلحظة زمنية واحدة وهي مجيء وعد الإفسادة الآخرة.

وتقديم الإساءة على الحشر مع أن المنطق يقتضي العكس -وهو الواقع- يدل على التأكيد على هذا المعنى والله أعلم، وهذا ما وقع بالفعل، فبمجرد حصول وعد الآخرة وعلو اليهود في فلسطين وغلبتهم وإفسادهم فيها جاؤوا إليها من أنحاء الأرض لفيفا وذلك في سنة 1948م، وبيْن ذلك وبيْن إساءة وجوههم في أكتوبر 2023م 75 عاما فقط، وهي كاللحظة في عمر الأمم، وفي ذلك بشارة لنا أن عمر هذا الكيان الغاصب لن يطول بإذن الله.

ويؤكد هذا التقارب قوله تعالى: **{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ}** [البقرة: 114]، وهذه الآية من البقرة في اليهود على

الأرجح؛ لأن الله ذكر قبلها اليهود والنصارى والوثنيين، ثم ذكر على الترتيب ما تميزت به كل طائفة من الانحراف والفساد ليبين ضلالهم وأنهم جميعا من أصحاب الجحيم:

فذكر هذه الآية عن اليهود والتي تبين تميزهم بالإفساد في الأرض، وشدة عداوتهم لله تعالى ولأوليائه من المؤمنين بمحاربة بيوت الله تعالى ومنابع النور في الأرض، ومحاربتهم لأنبيائهم وصلحائهم وقتلهم، وصدهم لهم عن المسجد الأقصى ومنعهم لهم من الصدع بالحق فيه، وسعيهم في خرابه بفسادهم وإفسادهم كما أخبر الله عنهم في سورة الإسراء، **ثم ذكر ما تميزت به النصارى** من نسبتهم لله تعالى ولدا، **ثم ذكر ما تميز به المشركون** من الجحود والعناد والجهل، **ثم قال: {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ}** [البقرة: 119].

واليهود في هذه الحرب قد فعلوا ذلك على أبشع وجه، وتعمدوا تدمير المساجد وتدنيسها، ولم يسلم منهم الأقصى الحبيب، وهؤلاء الظلمة لا يحق لهم أن يدخلوا هذه البقاع الطاهرة إلا في حال الخوف من المؤمنين والخزي والذل، فإن الظالم لا يكون له أن يدخل بيت الملك العادل القهار إلا خائفا ذليلا، **وهذا يشتمل على معنيين أساسيين ذكرهما العلماء:**

الأول: أن هذا خبر بمعنى الطلب، أي هو أمر للمسلين بحراسة هذه المساجد وحمايتها ومنعها من الظلمة فلا يدخلوها إلا وهم خائفون، فإن دخلوها آمنين كان ذلك تقصيرا من المؤمنين ووجب عليهم دفعهم حتى يستخلصوها من أيديهم.

والثاني: أنها بشارة للمؤمنين بأن أولئك الظلمة إن سيطروا على مساجد الله تعالى فإن الله سيخلصها من أيديهم؛ لأنها بيوته، وقد قدر الملك سبحانه ألا يدخلوها إلا خائفين أذلة وأن لهم الخزي في الدنيا.

والأَولى: الجمع بين القولين: بأنه على المسلمين قتال الظلمة لمنعهم من مساجد الله تعالى ولتحريرها إذا احتلوها، مع البشارة لهم بأنهم إن فعلوا ما بوسعهم وقاتلوا لأجل دين الله ومقدساته فإن الله تعالى سينصرهم ويعيد إليهم بيوته وعلى رأسها الأقصى؛ لأنهم أحق بها وأهلها، ولكنّ شرْطَ ذلك مع الجهاد في سبيل الله أن تتحقق فيهم **العبودية**

المتأسية بعبودية النبي صلى الله عليه وسلم التي ذكرها الله في أول الإسراء، **والأهلية** التي ذكرها الله تعالى في قوله: **{إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ}** [التوبة: 18]، ونحن نحسب أن **هذه الصفات والشروط متحققة في المجاهدين في غزة في الغالب** –مع حاجتها إلى تكميل وترسيخ–، **ومتحققة في غيرهم من صالحي الأمة ومجاهديها كذلك،** وأن هذه الجذوة تزداد اتقادا في الأمة بفضل الله، مما يجعلنا مستبشرين موقنين بقرب موعود الله بالنصر ودخول المسجد الأقصى فاتحين بإذن الله تعالى.

5- قوله تعالى في أول قصة بني إسرائيل في السورة: {وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا (٢) ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا (٣)} [الإسراء: 3].

فالله تعالى امتنَّ على بني إسرائيل أن آتاهم الكتاب والهدى، وأمرهم أن يشكروه باتباع الهدى وألا يتخذوا من دونه وكيلا أسوة بأبي البشر الثاني نوح عليه السلام ومن اقتدى به من أهله الصالحين الذين هم آباؤهم فإنه كان عبدا شكورا، وقال لهم كما في سورة إبراهيم: **{وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ}** [إبراهيم: 7]، وبيَّن لهم أن هذا هو الإحسان، وعلَّق فلاح أنفسهم ونجاتهم عليه فقال في ثنايا الكلام بين وعد الأولى والآخرة: **{إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا}** [الإسراء: 7].

وفي ذلك إشارة إلهية إلى **أن أساس الإفسادين الكبيرين الذين تحدث الله عنهما بعد قائم على سببين:**

الأول: عدم اتباعهم للهدى الذي أُنزل عليهم في كتابهم بتحريفهم له وافترائهم على الله وعلى أنبيائهم الكذب.

والثاني: **اتخاذهم وكلاء من دون الله** وهو حبل الناس الذي تمسكوا به من دون حبل الله، قال عز وجل: **{ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ}** [آل عمران: 112].

جاء في التفسير الوسيط لسيد طنطاوي: "والذلة: المراد بها الصَّغار والهوان والحقارة، والمسكنة من السكون، ومنها أُخذ لفظ المسكين، لأن الهمّ قد أثقله فجعله قليل الحركة والنهوض لِما به من الفاقة والفقر، والمراد بها في الآية: الضعف النفسي والفقر القلبي الذي يستولي على الشخص، فيجعله يحس بالهوان مهما يكن لديه من أسباب القوة، والفرق بينها وبين الذلة: أن **الذلة هوان تجيء أسبابه من الخارج**، كأن يغلب المرء على أمره نتيجة انتصار عدوه عليه فيذل لهذا العدو، أما **المسكنة فهي هوان ينشأ من داخل النفس** نتيجة بُعدها عن الحق واستيلاء المطامع والشهوات عليها"[1].

ويلفت الشيخ الشعراوي رحمه الله وجزاه خيرا نظرنا هنا إلى أمر جميل مهم في حربنا مع اليهود وتعاملنا معهم، فيقول رحمه الله في تفسيره: "ولنا أن نلاحظ أن **الذلة في الآية لها استثناء**، فهم ينالون العزة لو كانوا بجانب حبل من الله أو حبل من الناس، **أما المسكنة فلا استثناء فيها**، لأن المسكنة أمر ذاتي في النفس، إنهم مساكين بأمر من الله، أما الذلة فقد يأتي لهم من ينصرهم ويقف بجانبهم؛ فالذلة أمر من خارج، أما المسكنة فهي في ذاتيتهم، وعندما تكون المسكنة ذاتية فلا إنقاذ لهم منها؛ لأنه لا حبل من الله يأتيهم فينجيهم منها، ولا حبل من الناس يعصمهم من آثارها"[2].

وعليه فإنهم كلما ازدادوا بُعدا عن الهدى وإيغالا في الشرك واتخاذ الأولياء من دون الله والتمسك بحبل الناس دون حبله تعالى كلما ازدادوا فسادا وإفسادا وقَرب زوالهم، وهم قد وصلوا في ذلك الآن إلى أقصى الدرجات والله أعلم، فكفرهم وإجرامهم وبُعدهم عن الهدى اليوم أوضح ما يكون في إجرامهم بحق المسلمين أهل الحق في غزة، والله تعالى يقول: **{وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا}** [المائدة: 64]، فكلما عادوا أهل الحق ازدادوا طغيانا وكفرا، ومن عجيب قدر الله تعالى واستدراجه لهم أن تكون حكومتهم في هذه الحرب أكثر حكوماتهم يمينية وتطرفا على الإطلاق؛ ليزداد إجرامهم ويبلغ مداه.

وأما تمسكهم بحبل الناس واتخاذهم لهم أولياء ووكلاء دون الله تعالى: فيظهر اليوم على أتم وجه بتوكلهم على أمريكا –المسيحية الكافرة المشركة في نظرهم– من دون الله

([1]) التفسير الوسيط لطنطاوي (1/ 153) "بتصرف يسير".

([2]) تفسير الشعراوي (3/ 1684).

تعالى، **والله يستدرجهم بانتخاب المجرم ترامب ليتكامل شركهم بتوكلهم الكامل عليه ليحق عليهم الزوال بإذن الله تعالى.**

وفي ذلك إشارة لنا أنا إذا أردنا أن نحافظ على الأقصى أو نسترده أو ندفع عن أنفسنا البلاء والاستبدال أن نستمسك بهذين الأمرين: كتاب الله، وأوثق عرى الإيمان (الولاء والبراء)، لأنا لسنا بمنأى عن السنن الإلهية، وإنما قص الله علينا قصص بني إسرائيل لنتعظ ونجتنب إساءتهم ونعرف كيف نعاملهم.

ومما هو قريب من هذا المعنى ويجليه أكثر قوله تعالى: {**إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**} [المائدة: 44]، فنهى سبحانه أن نترك الحُكم بالكتاب واتباع هديه إيثارا لمتاع الدنيا أو خشية الناس واتخاذ الظالمين أولياء من دون الله لأجل ذلك، **فهذان أعظم سببين للضلال عن الهدى: حب الدنيا وخشية الناس**، وقد بين الله تعالى ضدهما وعلاجهما في قوله: {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٥٤) إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (٥٦)**} [المائدة: 54-56].

ويقتضي ذلك أنه علينا لأجل رفع البلاء والنصر واسترداد الأقصى المبارك: إقامة كتاب الله تعالى وشرعه في أنفسنا وفي الناس، ورفع الظلم وكل ما يخالف شرع الله وألا يلفتنا عن ذلك متاع الدنيا وحبها، والجهاد في سبيل الله تعالى لتكون كلمته هي العليا متوكلين عليه وحده سبحانه وألا نخاف في ذلك لومة لائم، وذلك يقتضي أيضا تنقية الراية ووضوحها دون غبش لتكون خالصة تمثل الدين على هدي الكتاب والسنة على أكمل وجه لتستحق أكمل النصر، وعدم اتخاذ أولياء من الظالمين نركن إليهم كالروافض والنظام

السوري فنخسر ولاية الله تعالى وتأييده {**وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ**} [هود: 113].

وأنا أحمد الله تعالى أن تخلّى عنا حزب الله الرافضي في لبنان، وأرى ذلك من فضل الله تعالى علينا ولطفه بنا أن محّضنا للتوكل عليه وحده، وظني بالكريم اللطيف سبحانه أنه ما فعل بنا ذلك إلا وهو يريد أن يَردَّنا إليه ويطهَّرنا ويخلِّصنا من الشوائب؛ لينصرنا ويعزّنا، بعكس ما يظن كثير من الناس بعد ما بلغت القلوب الحناجر، ولا يعني ذلك أنا لا نشكر الحزب على ما قدمه لنا، فالله يحب الشاكرين، ولا يعني عدم التحالف العسكري إن احتجنا لذلك؛ لكن ليس على حساب الدين وعقيدة الولاء والبراء، وقد فصّلت في ذلك كله وبينته في النظرة الأولى عند الحديث عن نقاء الراية فليرجع إليه[1].

([1]) نهاية الجزء الثاني من رسالة "بعد عام من الطوفان"، صدر بتاريخ 30/ 11/ 2024م.

النظرة السابعة: سقوط نظام الأسد في سوريا:

بعد كتابتي للطوفان 2 حدث نصر المجاهدين المجيد المعجز في سوريا، فكان لا بد من الاستفادة من هذه الآية، وحتى تكتمل الفائدة والصورة لا بد من **عمل مقارنة بين حماس والإخوان من جهة وهيئة تحرير الشام وطالبان من جهة أخرى.**

ولكن قبل ذلك لا بد من التذكير والتأكيد على ما ذكرته سابقا في هذا البحث عند الحديث عن وضوح الراية ونقائها من خطر العلاقة مع الروافض، وقد حذرنا إخواننا في قيادة حركة حماس مرارا وتكرارا وعلى مدار سنوات طويلة من خطورة الانغماس في المحور الإيراني الرافضي والركون إليه والتطبيع مع النظام السوري المجرم[1]، وقلنا لهم إن القرآن يقول وهو أصدق القائلين: **{وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ}** [هود: 113]، وقال: **{إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ}** [الأعراف: 152] وقال العلماء إن الروافض من أشد الناس افتراء على الله وكتابه ورسوله وأوليائه فمآلهم إلى ذلة وهوان ولا بد فلا تربطوا أنفسكم بهم، وقد رأوا شيئا من ذلك الآن في تخلي إيران وحزب الله وأحزاب العراق الرافضية عن غزة وفي سقوط نظام الأسد، فأرجو أن يكون ذلك كافيا عندهم للاعتبار وعدم تغليب السياسة على الشرع والإيمان، أسأل الله لنا ولهم الهداية والتوفيق والسداد.

أما بالنسبة للمقارنة بين الفريقين المذكورين:

فكلهم متفقون في: أن رايتهم التي يرفعونها دينية سنية، ويتبنون الوسطية في الجملة –وإن اختلفوا في فهمها وتحديدها– لا سيما بعد الاعتدال الذي اتجهت إليه طالبان وتحرير الشام، **ويحملون مشروع إقامة الدين وإحيائه** وضحوا كثيرا في سبيل ذلك.

([1]) وذلك على مدار السنوات الأخيرة في كثير من الدروس العلمية والمقالات العامة على وسائل التواصل والرسائل الخاصة لأصحاب الشأن، انظر مثلا "في قناة التلجرام": التعليق على عملية ردع العدوان، والتعليق على وصف قاسم سليماني بشهيد القدس، وفتح بيت عزاء لسليماني في غزة، ومقالات ودروس عن عودة العلاقة مع نظام بشار..

والفارق الجوهري بينهما هو: أن تحرير الشام وأفغانستان أحسنتا في تحقيق ركني الإمامة في الدين بخلاف الفريق الآخر، وهذا هو سر نجاح هذا الفريق دون الآخر، فالإمامة في الدين لها ركنان وساقان لا تقوم بدونها معا، وهما قوة العلم واليقين وقوة الإرادة والعمل، أي **القوة العلمية** التي تشمل معرفة الله تعالى ومعرفة أمره وشرعه ووضوح الراية ونقاءها، **والقوة العملية** التي تشمل الحزم والعزم في تطبيق الدين الحق والاستمساك به والجهاد في سبيله وتحكيم شريعته دون خشية أو ركون إلى الدنيا، قال تعالى: **{خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ}** [البقرة: 63]، وقال عن المرسلين: **{أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ}** [ص: 45] أي أصحاب القوة والبصيرة التي تشمل العلم واليقين، وقال عن أئمة الهدى عموما: **{وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ}** [السجدة: 24]، وقال آمرا لأوليائه: **{فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ}** [المائدة: 44].

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن المخرج في هذا الزمان من الحكم الجبري الواقع علينا يكون بالقوة والجهاد فقال: "**ثُمَّ يَتَكادَمُونَ عَلَيْهِ تَكادُمَ الْحُمُرِ، فَعَلَيْكُمْ بِالْجِهَادِ، وَإِنَّ أَفْضَلَ جهادِكُمُ الرِّبَاطُ، وَإِنَّ أَفْضَلَ رباطِكُمْ عَسْقَلانُ**"[1]، والمعنى أنه في فترة الحكم الجبري الذي نحن فيه يعض الحكام على الحكم والملك والسلطة عضا شديدا كعض الحمار المعروف بقوة عضته وإصراره فيها فلا يستخلص منهم الحكم إلا بالجهاد والقوة.

والقوة في الدين هي أساس المنهج الذي كانت عليه الخلافة الراشدة الأولى، قال أنس رضي الله عنه: "**إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالا هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعْرِ إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ النّبيّ صلى الله عليه وسلم من الْمُوبِقَاتُ**"[2] أي المهلكات، وستكون الثانية على منهجها كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم فكلما أخذنا بمنهجها وسايرنا القدر كلما اقتربنا منها، والعكس صحيح.

وأنا بحثت وقرأت طويلا لأعرف أين مكمن الخلل عند الفريق الأول، فوجدته ينحصر في فقد ركني الإمامة في الدين الذين تجمعهما كلمة "القوة في الدين"، ومن

([1]) المعجم الكبير للطبراني (11138)، وصححه الألباني.

([2]) صحيح البخاري (6492).

فقدهما أو فقد أحدهما فإنه لا يستحق هذا المقام حتى يُصلح الخلل أو يُستبدل بمن هو أحق منه لحمل اللواء.

ووجدت أن جذور هذا الخلل ممتدة من البدايات إلى اليوم:

– ففي جانب القوة العلمية ظهر الخلل من ثلاث نواح:

الأولى: عدم وجود مرجعية شرعية راسخة ملزمة، فهم لا يحتكمون إلى رأي الشرع احتكاما ملزما وإنما يستأنسون به فقط أو يحتكمون إلى الرأي الذي يوافقهم إن وجد ولو كان شاذا أو ضعيفا، فاللجان العلمية الشرعية عندهم لا تضم كبار العلماء ولا تضم علماء من غيرهم مما يجعلهم يميلون نحو رأي ساسة الجماعة وأمرائها تلقائيا، كما أن قولها شوري غير ملزم، فهم لا يقدمون العلم لا في حقيقته ولا في صورته بتقديم العلماء.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "فصل [فقهاء الإسلام ومنزلتهم]: القسم الثاني: فقهاء الإسلام ومن دارت الفتيا على أقوالهم بين الأنام، الذين خصّوا باستنباط الأحكام وعنوا بضبط قواعد الحلال والحرام؛ فهم في الأرض بمنزلة النجوم في السماء، بهم يهتدي الحيران في الظلماء، وحاجة الناس إليهم أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب، وطاعتهم أفرض عليهم من طاعة الأمهات والآباء بنص الكتاب، قال الله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا}** [النساء: 59]، قال عبد الله بن عباس في إحدى الروايتين عنه: أولو الأمر هم العلماء، وهو إحدى الروايتين عن الإمام أحمد، وقال ابن عباس في الرواية الأخرى: هم الأمراء، وهو الرواية الثانية عن أحمد، **والتحقيق أن الأمراء إنما يطاعون إذا أمروا بمقتضى العلم؛** فطاعتهم تبع لطاعة العلماء، فإن الطاعة إنما تكون في المعروف وما أوجبه العلم، فكما أن طاعة العلماء تبع لطاعة الرسول فطاعة الأمراء تبع لطاعة العلماء"[1].

الثانية: ضعف العلم الشرعي عند كثير من مفكريهم وقادتهم مما أدى إلى تمييعه وتحريفه أحيانا إرضاء للغرب أو الشعب، وجعلهم يميلون **جهة العاطفة** كالجناح المصري

([1]) ابن القيم، إعلام الموقعين عن رب العالمين (2/ 14، وما بعدها).

حتى انخدعوا بعبد الناصر والسيسي، أو **الجانب العقلي المادي** كما في الجناح المغربي حتى طبَّعوا مع اليهود، وحتى أدى إلى **التميع العقدي** أحيانا.

وأدى ضعف اهتمامهم بالعلم الشرعي أيضا إلى ضعف مستواه بل تدنيه جدا عند أفرادهم بل وكثير من قياداتهم وضعف بثِّه في الناس أيضا، وعلى سبيل المثال طوال فترة حكم حماس عندنا في غزة لم تُقِم مدرسة شرعية واحدة في القطاع وحاول إخواننا في التبليغ والدعوة سد الثَّغرة بإنشاء بعض المدارس القليلة وبدعم ذاتي.

الثالثة: أدى ما سبق إلى ضعف في وضوح الراية ونقائها فهي تميل مع العلمانيين ومع الشيعة وغيرهم حيثما كانت **المصلحة الحزبية.**

- وفي جانب القوة العملية ظهر الخلل من ناحيتين:

الأولى: ضعف الولاء والبراء وتميعه، وظهر ذلك في التعامل مع الحكام والجماعات الأخرى منذ الملك فاروق حتى مبارك وجعْل مصلحة الجماعة هي معيار الحكم والتعامل.

الثانية: الضعف والتميع في تطبيق الشريعة عند الإمكان، وعلى سبيل المثال فإنه طوال فترة حماس للقطاع لم تقم بتطبيق الشريعة مع أن المجلس التشريعي الذي تسيطر عليه كان قد أعدّ مسوَّدة لقوانين شرعية على مستوى رفيع قابلة للتنفيذ ولكنها لم تنفذ، وفي الوقت الذي تنتشر فيه المحاكم الشرعية في إدلب مثلا لم تقم محكمة شرعية واحدة لها كامل الصلاحيات وتبتّ في جميع أمور الناس في غزة، وكذلك ظهر الخلل في ضعف تقديم الإخوان للشريعة على السياسة والمصلحة الحزبية والاحتجاج بالكثير من الحجج والتبريرات الواهية للتفلت من قيد الشريعة.

وبعض هذه الحجج يظنونها شرعية ولكنها في الحقيقة من التميع في الإرادة وهو ناشئ عن التميع في العلم الذي ذكرناه سابقا، فصار الحكم والسلطة والجهاد مقصودا لذاته بدلا من أن يكون ذلك كله وسيلة لإقامة أمر الله وشرعه وإعلاء كلمته وتابعا له، واختلاط المقاصد بالوسائل يؤدي إلى تشوه في المنهج وخلل في المسار فصار العمل لتثبيت الحكم ولو على حساب الشرع، وصرت إذا طالبتهم بإقامة شرع الله قالوا نحن نقيم الجهاد وكفى فهو ذروة سنام الإسلام ونسوا أن السنام بلا سائر الجسد لا يجسد جملا، وصار التعظيم

والتقديم للسياسة وأهلها من السياسيين وما يسمى بالمفكرين على حساب العلم الشرعي وأهله، مع أن السياسة بإقرارهم هي من الدين ويجب أن تكون سياسة شرعية والسياسة الشرعية أولى أولوياتها تقديم مصلحة الدين؛ لأنها مقدمة على جميع المصالح بالإجماع ومهمة الحاكم الرئيسية هي مراعاة هذه المصالح أولا، فقد قال العلماء إن مهمته هي حراسة الدين وسياسة الدنيا به، ومصالح الدين لا يستطيع أن يدركها ويعلمها إلا علماء الدين لذلك هم أمراء الأمراء كما مر معنا من قول الإمام ابن القيم رحمه الله، وقد قال تعالى: **{وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ}** [النساء: 83]، فأمر بالرد أولا في النوائب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وعلماء الشريعة هم ورثته فالرد ينبغي أن يكون إليهم أولا ويستعينون هم بالساسة لتكتمل الصورة لديهم ويصدروا الرأي والقرار الشرعي بناء عليه، هذا هو الأصل ولكن للأسف فإن فريقا كبيرا من علمائهم المتنفذين أفتوهم بأن أمر السياسة لا علاقة للشرع ولا لعلمائه به! فأي فرق إذن بين هذا القول وبين العلمانية سوى الشعار؟

وقد ظهر الآن قطعا خطأ هذا المنهج والمسار بعد هذه الحرب الكاشفة وما فيها من معنى العقاب التأديبي كما مرّ.

وهذا بخلاف طالبان في مسيرتها وجهادها وحكمها لأفغانستان وتحرير الشام في جهادها وحكمها لإدلب، فإنهما انتهجتا القوة في الدين واعتمدتا على العلم الشرعي ونشره بين جنودهما وبين الناس وتقديمهم للعلماء واتّباعهم وتحكيمهم للشريعة ونشر المحاكم الشرعية في أراضيهم، وكانتا تُعدّلان مسارهما في هذا الاتجاه فوصلتا إلى الهدف بفضل الله تعالى، بخلاف الفريق الآخر الذي غلبت عليه السياسة والسياسيون وأصبحت الكلمة العليا لهم، والفرق بين القوة في الدين الممدوحة المشروطة للإمامة والتشدد أو الغُلوّ المذموم: أن القوة لا تخرج عن إطار الشرع والسُنة بخلاف التشدد، فالأمر يحتاج إلى رسوخ العلم وقوة العمل به، **وطالبان وتحرير الشام دارتا معه والتزمتا به بقوة ولذلك وصلتا.**

وأصل ذلك قصة أسرى بدر حين اختار النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة رضي الله عنهم الفداء وقدموه على الأصلح للدين وهو تثبيت عقيدة الولاء والبراء وإعلاء كلمة الله تعالى لا سيما في مرحلة البناء فعُرض على النبي صلى الله عليها وسلم عذابهم دانياً قريباً، وقال الله تعالى لهم مؤدباً ومربياً: {**مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٧) لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** (٦٨)} [الأنفال: 67-68] مع أنهم أرادوا الفداء لمصلحة المسلمين؛ لكن لما قدّموا هذه المصلحة على ما هو أصلح للدين كانوا أقرب من إرادة الدنيا فقال لهم مولاهم: {**تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا**}، **فكيف بمن يغيّر معاني الشرع أو يترك بعضه من أجل مصالح دنيوية بحتة ومكاسب سياسية ضيقة لا تعود على الدين بنفع أصلاً** فضلا عن أن تكون هي الأصلح للدين إلا في وهْم من يختزل الدين والوطن في حزبه فيرى أن مصلحة حزبه هي مصلحة الدين والوطن، ثم إن **أكبر حججهم التدرج في تطبيق الشرع** ونسوا أن التدرج لا يعني تغيير الشرع وحقائقه ومفاهيمه وتحريف معانيه كنفي حد الردة مثلا بتحريف معناه، كما أن التدرج يعني الزيادة في الدين واستغلال الفرص والتخطيط للزيادة في التطبيق بقدر الإمكان لا التراجع وتفويت الفرص ولا حتى التوقف.

وفي الواقع لا أحد ينكر التدرج ولكن إذا كان هناك **نية وقرار حقيقي** للوصول إلى الهدف وهو تطبيق الشرع وإعلاء كلمته وإزالة الظلم والمنكرات، وآية ذلك وجود **خطة منهجية واضحة متدرجة محددة الخطوات والزمن**، وهي غير موجودة للأسف بإقرارهم لعدم القناعة أصلا بأهمية هذه المسألة ووجوبها وخطورتها، والسبب في ذلك اتكاؤهم على بعض المبررات العلمية الضعيفة التي سأتطرق إلى شيء منها بعد قليل.

وقد ضرب الله لنا مثلاً في أول تجربة للحكم مع الصديق رضي الله عنه حين ثبت على الشرع وجعله المقصد وقدمه على الحكم والسلطة ولم يقبل من مانعي الزكاة وأبى إلا إنفاذ جيش أسامة رضي الله عنه الذي أوصى به النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه رغم معارضة المصالح السياسية وأكثر الصحابة رضي الله عنهم، فأعزه الله ليكون قدوة لنا إلى يوم الدين.

والأمة الآن في مفرق تاريخي مصيري لا تصلح فيه المجاملات، ويعلم الله تعالى أني أقول هذا الكلام وما في قلبي تجاه الحركة الإسلامية الأم إلا كل الحب والعرفان بفضلها وتضحياتها ودورها العظيم في نهوض الأمة، كيف لا وهي صاحبة الفضل علينا وقد ترعرعنا ورَبِينا في رحابها الوارفة وأحب لها من كل قلبي كل توفيق وعز، ولكنّها الحقيقة وأمانة العلم والنصيحة والشفقة الكبيرة عليها، **فالأمر خطير والخطب جلل**، وهي إن لم تراجع مسارها وتصلح نفسها في هذا المنحنى بالغ الخطورة فإني أخشى عليها **الاستبدال** وهو صعب كاسر، **والسنن لا تحابي أحداً**.

وهناك أمارات كثيرة واضحة تدل على هذا الخلل من أوضحها ضعف التأييد الإلهي ولفظ كثير من الشعوب لها، فهم قد تناحروا وفقدوا قوتهم في **أفغانستان** مما أدى إلى تحرك طالبان وسيطرتها، وكذلك في **لبنان والعراق واليمن ومصر وليبيا وتونس والمغرب والسودان** وسرقها منهم العلمانيون والروافض والشيعة الحوثيون، وفقدوا وجودهم في **سوريا** فلا أثر لهم في ثورتها ونصرها، وانقسموا على أنفسهم في **الأردن**، مع طول مكثهم وتاريخهم وإخلاصهم ونصاعة تضحياتهم في البلدان كلها ولكن **الإخلاص وحده لا يكفي**.

وأظن ذلك طبيعيا من جهتين:

الأولى: أن الله تعالى لم يقدر لها أن تكون في ذلك الوقت الجماعة التي تقيم الخلافة الراشدة التي لم يكن حان أوانها بعد، وإنما كان دور الجماعة الإبقاء على الراية لا النصر والتمكين، ومتطلبات التمكين أعظم كما مر معنا، ولذلك لم تكن أيّ جماعة تخلو من خلل ما متفاوت فيما بينها وذلك لأنا عرفنا أنها جميعا لم يكن مقدّرا لها أن تقيم الخلافة فعرفنا أنها لم تكتمل مؤهلاتها عندها، **أما الآن وقد اقترب أوانها فإنه ينبغي على الحركة الإسلامية أن تكمل النقص لتكون مؤهلة لهذه المهمة الكبرى**.

الثانية: سنة التجديد المئوية التي أخبر بها النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: "**إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا**"[1]، فالحركة بحاجة

([1]) سنن أبي داود (4291)، وصححه الألباني.

إلى تجديد وتقوية وسد للخلل والثغرات بعد مائة عام تقريبا على ولادتها وتأسيسها على يد الإمام البنا الذي نعتقد أنه كان من أهم مجددي القرن الماضي –رحمه الله–.

وهناك أمثلة كثيرة على تساهلهم وضعفهم في الدين (أقصد الضعف النسبي، أي بالنسبة لما يجب أن يكون عليه حملة لواء الدين وأئمته) ذكرت بعضها، ويظهر بعضها جليا في **الطابع العام**؛ إذ إن قادة الإخوان هم في الغالب الأعم بعيدون عن العلم الشرعي والتعمق فيه ويغلب عليهم الجانب السياسي، والإخوان في العموم من أكثر أبناء الجماعات الإسلامية –تقريبا– تتبعا للرخص، والعلماء يقولون: "**من تتبع الرخص فقد رقّ دينه**"، ولا يعني ذلك نفي وجود خلاصة وازنة فيهم تشفي الصدور.

ولكني سأركز قليلا على ما أعُدُّه من **أخطر مظاهر الضعف عندهم، وهو الضعف والتميع العلمي فيما يؤدي إلى تغيير معاني الشريعة وأحكامها** لعدم التزامهم فهْم السَّلف الذين هم خير الأمة وقدواتها علما وعملا مما يترتب عليه ضعف وانحراف خطير في العمل والسلوك والولاء والبراء، وسأذكر بعضا من تصريحات المعاصرين فقط وأقوالهم بهذا الخصوص على سبيل المثال لا الحصر ومنها:

أ. صرح **الدكتور الرئيس محمد مرسي رحمه الله** في عدة مقابلات تلفزيونية (موجودة كلها على النت) بما يلي:

– "لا يوجد خلاف بين العقيدة الإسلامية والمسيحية، الخلاف فقط في الآليات والوسائل وليس في الأصول الكلية".

– "هناك مفهوم خاطئ عن موضوع المرتدّ وأنه يقام عليه الحدّ، المرتدّ ما لم يجاهر ويصبح مصدر خطر على المجتمع لا يقام عليه الحدّ". وهو خلاف الإجماع والنص الذي يربط إقامة الحدّ بمجرد الرِّدّة بغض النظر عن المجاهرة وتشكيل الخطر العلني، قال صلى الله عليه وسلم: "**مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ**"[1] وعليه إجماع الأمة.

([1]) صحيح البخاري (3017) و(6922).

– "يوجد رقاصة مشهورة وهي تمارس دور الرقص كانت توصل رسالة وقد مثَّلت في مسلسل وكانت توصل أيضا رسالة والناس الذين عندهم جانب أخلاقي يحبون المسلسل لكن قد لا يحبون الرقص ... وكان المسرح يؤدي دورا عظيما جدا"، وذكر بعض الأسماء الهابطة مادحا وممجدا لها.

– عندما سئل هل سيطبق أحكام الشريعة كالحدود أجاب: "الحدود ليست من أحكام الشريعة بل هي أحكام فقهية، ومبادئ الشريعة الإسلامية ليس معناها أحكام الفقه، ومبادئ الشريعة هي التي نصَّ عليها الدستور لا الشريعة نفسها، ومعنى المبادئ أي: الإطار العام للشريعة والثوابت التي لا تتغير وهي قليلة جدا كالحرية والعدل والمساواة"، وهذا فهم لا أعلم قائلاً به من السلف أو الخلف وهو ينسف مفهوم تطبيق الشريعة من الأساس ويُفرغه من محتواه ويجعل الشريعة الإسلامية والدستور الفرنسي أو الإنجليزي أو أي دستور علماني بلا فوارق تقريبا.

ب. صرح **الشهيد بإذن الله الشيخ صالح العاروري رحمه الله نائب رئيس حركة حماس** في مقابلة تلفزيونية موجودة على النت بأن الخميني في هذا العصر يشبه الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رحمه الله في زمانه.

وهناك الكثير من التصريحات المعروفة لقادة من حماس فيها تزكية وتعديل للمجرمين من الروافض والنظام البعثي النصيري المجرم البائد في سوريا، وقد تطرّقت لذلك في هذا البحث عندما تكلمت عن التعامل مع الروافض.

وهناك بعض الحجج الضعيفة التي كانوا يعتمدون عليها في **عدم تطبيق الشريعة في غزة** –وقد بيَّنّا لهم ضعفها وعدم صلاحيتها– مسوِّغا لترك الواجب، وعلى سبيل المثال لا الحصر:

– كانوا يقولون: "لا تقام الحدود في الثغور"، فقلنا لهم: بل تقام فيها بإجماع العلماء، وإنما لا تقام في أرض العدو والحرب وهذا هو الوارد خوفا من افتتان المسلم الذي سيقام عليه الحد وهروبه إلى الكفار وضعف الجيش المسلم وهلكته إذا دل عليه، وهذا لا ينسحب على الثغر الذي له حدود محروسة ويستتب فيه الأمن كغزة، فقد روى الترمذي في سننه

عن بُسْرِ بْنِ أَرْطَاةَ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "**لاَ تُقْطَعُ الأَيْدِي فِي الغَزْوِ**". ثم قال: "هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ ... وَالعَمَلُ عَلَى هَذَا عِنْدَ بَعْضِ أَهْلِ العِلْمِ، لاَ يَرَوْنَ أَنْ يُقَامَ الحَدُّ فِي الغَزْوِ بِحَضْرَةِ العَدُوِّ مَخَافَةَ أَنْ يَلْحَقَ مَنْ يُقَامُ عَلَيْهِ الحَدُّ بِالعَدُوِّ، فَإِذَا خَرَجَ الإِمَامُ مِنْ أَرْضِ الحَرْبِ وَرَجَعَ إِلَى دَارِ الإِسْلاَمِ أَقَامَ الحَدَّ عَلَى مَنْ أَصَابَهُ"[1].

ولذلك قال ابن قدامة رحمه الله: "قال: (ولا يقام الحدّ على مسلم في أرض العدو)، وجملته أن من أتى حدّاً من الغزاة أو ما يوجب قِصاصاً في أرض الحرب لم يُقم عليه حتى يَقفُل فيُقام عليه حدُّه، وبهذا قال الأوزاعي وإسحاق، وقال مالك والشافعي وأبو ثور وابن المنذر: يقام الحدّ في كل موضع لأنّ أمر الله تعالى بإقامته مطْلق في كل مكان وزمان"[2]، ثم قال: "فصل: وتقام الحدود في الثغور بغير خلاف نعلمه؛ لأنها من بلاد الإسلام والحاجة داعية الى زجر أهلها كالحاجة الى زجر غيرهم، وقد كتب عمر إلى أبي عبيدة أن يجلد من شرب الخمر ثمانين وهو بالشام وهو من الثُّغور"[3].

– وقالوا: إنّ عمر رضي الله عنه أوقف حدّ السرقة في عام الرمادة لمّا احتاج الناس. فقلنا: إنما أوقفه –إن صحّ– لانتشار الشبهة وكثرتها وهي شبهة الحاجة والحدّ يُدرأ بالشبهة، وهذا بخلاف من ثبت غناه فإنه يُقطع حتما، ولم يُنقل عن عمر رضي الله عنه أنه لم يقطع الغني وإنما قال رضي الله عنه: "**لَا يُقْطَعُ فِي عِذْقٍ وَلَا عَامِ السَّنَةِ**"[4]، وهذه قاعدة عامّة تُراعى لكثرة الشُّبهة كما ذكرت ولكنها لا تُلغي أصل القطع إن ثبت الغِنى؛ لأنه لا يملك أحد تعطيل الحدّ، وقد سئل الإمام أحمد بن حنبل عن هذا الحديث فقال: "العِذق: النخلة، وعام سَنَة: المجاعة"، فقيل له: إن سرق في مجاعة لا تقطعه؟ فقال: "لا، إذا حملته الحاجة على ذلك والناس في مجاعة وشدة"[5]، وقال ابن القيم رحمه الله: "وَعَامُ الْمَجَاعَةِ يَكْثُرُ فِيهِ الْمَحَاوِيجُ وَالْمُضْطَرُّونَ، وَلَا يَتَمَيَّزُ الْمُسْتَغْنِي مِنْهُمْ وَالسَّارِقُ لِغَيْرِ حَاجَةٍ

([1]) جامع الترمذي (1450)، وصححه الألباني.

([2]) ابن قدامة المقدسي، الشرح الكبير (10/ 150).

([3]) ابن قدامة المقدسي، الشرح الكبير (10/ 153).

([4]) مصنف عبد الرزاق (18990) موقوفا.

([5]) ابن القيم، إعلام الموقعين عن رب العالمين (4/ 351).

مِنْ غَيْرِهِ، فَاشْتَبَهَ مَنْ يَجِبُ عَلَيْهِ الْحَدُّ بِمَنْ لَا يَجِبُ عَلَيْهِ، فَدُرِئَ. نَعَمْ إِذَا بَانَ أَنَّ السَّارِقَ لَا حَاجَةَ بِهِ وَهُوَ مُسْتَغْنٍ عَنْ السَّرِقَةِ قُطِعَ"[1].

– ومن أغرب ما سمعت تنظير أحد فضلائهم بأن "العلاقة بين الحاكم والمحكوم علاقة تعاقدية، فإن أدى الحاكم حق المحكوم في كرامة العيش ووفر له سبل الاستغناء عن المعصية أدى له المحكوم حقه في إقامة الحدود"، وقد تبنوا هذه النظرية كأنها قطعية، وهو قول لم أعلم قائلا به مطلقا في مذاهب الإسلام، ووالله إني لأستغرب أن يصدر عن واحد من أهل العلم أصلا، إذ إن كل طالب علم يعلم أن إقامة الشرع حق من حقوق الله تعالى واجب على العباد كوجوب الصلاة والزكاة وليست حقا للحاكم وغيره وليست عقد معاوضة بين عبد وعبد، فكيف نقارن هذه المسألة العظيمة التي لها تعلق بالعقيدة والحاكمية المطلقة لله تعالى بمعاوضات دنيوية؟ إلى ما في ذلك أيضا من تذَرُّع لتبرير المعصية ذاتها إن لم يوفر الحاكم سبيل الاستغناء عنها وهو أمر خطير جدا، بل على الحاكم إذا توفرت شروط الحد وانتفت موانعه أن يقيمه فَرْضا عليه من الله تعالى وعلى الرعية طاعته في هذا الأمر فَرْضا عليهم من الله تعالى أيضا وإنْ كان الحاكم في نفسه ظالما أو فاسقا، ولا أعلم خلافا في ذلك.

ج. في عهد حكومة **الدكتور سعد الدين العثماني الأمين العام السابق لحزب العدالة والتنمية الإخواني في المغرب ورئيس الحكومة المغربية السابقة** تم التطبيع مع الكيان الصهيوني، وكان يؤصِّل لذلك شرعا بنفيه لفريضة الجهاد ونفيه للصفة التشريعية عن مجال السياسة مطلقا، قال الدكتور عطية عدلان في مقال له على النت بعنوان: "**رحلة العثماني من التطويع إلى التطبيع**" (أي من تطويع النصوص والتلاعب بها إلى التطبيع مع العدو الصهيوني):

"إنّ ما جرى اليوم (أي من التطبيع) هو النتيجة الطبيعية لما جرى بالأمس (أي من التطويع)، والحمد لله أن المسافة بين الأمس واليوم أو بين المقدمات والنتائج لم تطل كثيرا؛ وإلا لطال الالتباس على الناس، فطبيعي جدا أن يؤول التطويع إلى التطبيع؛ لأنّ التطويع

([1]) ابن القيم، إعلام الموقعين عن رب العالمين (3/ 18).

منتهى التلاعب بالدين والتطبيع منتهى التلاعب بمصير المسلمين، **وأعني بالتطويع ممارسة التأويل لثوابت الدين ومحكماته من أجل إخضاع الإسلام بنظمه وأحكامه لهيمنة الحضارة المعاصرة؛ بذريعة التجديد**، وما هو بالتجديد ولكنه التضييع والتبديد ....، وللعثماني مقالات كثيرة تدور حول هذه القضية التي انبرى لتقريرها وقضى سحابة شبابه في نشرها، وفحوى هذه النظرية المشؤومة أنّ جميع تصرفات النبيّ صلى الله عليه وسلم السياسية سواء بالقول أو الفعل ليست تشريعية؛ بما يعني انتفاء حجيتها، وانتهاء التأسي والاقتداء بانقضاء عصر النبوة، وبما ينتج هذه النتيجة الغريبة: أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم كان –إلى جانب النبوة– رئيسا لدولة مدنية! وأن تصرفاته السياسية كلها لا عصمة لها، ومن ثم يسعنا الخروج عن هديه وسنته في هذه الشئون جميعها.

من اللحظة الأولى لم أرَ فرقا بين طرحه وطرح العلمانيين إلا في الشكل، إنّ هذه المحاولات التي تستهدف تطويع النصوص والأحكام؛ لتوافق المنتج الفكري المعاصر وتنضوي تحت هيمنته، تلك المحاولات التي بدأها الترابي (وهو أيضا كان رئيس الإخوان في السودان) وانتهى بها العثماني محاولات بائسة أفضت بالتجارب إلى واقع أبأس منه، فإذا كانت نظرية الترابي في تمييع الدين قد أفضت إلى فهم متميع وواقع متميع أنبت فسادا متسربلا بالإسلاموية، حتى انتهى الأمر ببعض من تغذوا على فكره أن يلقوا بأنفسهم وبالبلاد معهم في أحضان الصهاينة؛ فإنّ نظرية العثماني أخذته وفريقه بصورة أسرع من التطويع إلى التطبيع. .. فإذا كانت آيات القرآن الكريم قد أفاضت في إيجاب الجهاد على المسلمين لدفع غائلة المعتدي، وأفاضت في بيان وجوب البراءة منهم وحرمة الموالاة لهم، فكيف والأمر لم يقف عند حد تعطيل الجهاد حتى تعداه إلى جعل العلاقة طبيعية بين المسلمين ومن اعتدى عليهم من الكافرين؟

ولعله لا يغيب عن عاقل أنّ التطبيع قائم منذ زمن بعيد، أمّا الذي يجري فهو الإفصاح عنه وحسب، غير أنّ الإفصاح هذا خطير جد خطير؛ حيث يشرعن له وينقله

من كونه عملا مستهجنا يفعل من وراء ظهر الشعوب إلى واقع طبيعيّ، فهو تطبيع لعملية التطبيع"[1].

د. نقل الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان في مقدمة تحقيقه لكتاب الموافقات للإمام الشاطبي عن **الأستاذ راشد الغنوشي رئيس حركة النهضة الإخوانية في تونس** –فك الله أسره– بعض ما جاء في كتابه "**الحريات العامة في الدولة الإسلامية**" فقال: "قال الغنوشي: ما كان لفظه عاما لا يعني أن حكمه عام أيضا، إلا أن الأحكام الشرعية وخاصة ما تعلق منها بنظام الدولة الإسلامية لا ينبغي أن تبنى على سند ظني مهما كانت درجة الظنية ضئيلة".

ثم علَّق عليه قائلا: "ولن أرد هنا على مثل هذه الأقوال المخالفة للدين، وما أتيت بها إلا للدلالة على وجود هذا المنهج الغريب في عصرنا؛ إلا أني أُلْفِت نظر هذا الكاتب إلى أن اشتراط القطع لثبوت الأحكام الشرعية يؤدي إلى **التحلل من الإسلام**، وأن قوله فيما كان لفظه عاما لا يعني أن حكمه عام أيضا يؤدي إلى **إلغاء كثير من القطعيات وإلى رد الاستدلال بالنصوص القطعية الدالة عليها**، وعلى سبيل المثال فإنه يلغي كل العقوبات الإسلامية كقطع السارق وجلد الزاني أو رجمه وقتل المرتد وجلد شارب الخمر وغيرها، والقاعدة الأصولية المعلومة عند الفقهاء بالضرورة تقول: "يبقى العام على عمومه ما لم يرد دليل التخصيص"، ولقد صور الغنوشي في كتابه هذا منهجا خطيرا على المسلمين يتلخص **بالتشريع بالمصلحة مجردة من أي قيد**، والأخطر أن يُنسب ذلك النهج المبتدع والخطير إلى الإمام الشاطبي رحمه الله وأن يُدعى أن هذا هو منهج المفكرين الأصوليين المعاصرين"[2].

ثم يقول: "والخلاصة: أن النقول التي أوردناها عن الغنوشي فيما سبق تبين أنه والذين يعتبرهم الأصوليين المعاصرين أو مفكري الإسلام المعاصرين يتخذون من أصول الشاطبي إطارا عاما لأجل التشريعات الجديدة المطلوبة لهذا العصر، والتي تتطلب مرونة في الشريعة تدفع إلى العدول عن أحكام النصوص إلى أحكام أخرى تقتضيها الضرورة أو

([1]) الدكتور عطية عدلان في مقال له على الشبكة بعنوان: "رحلة العثماني من التطويع إلى التطبيع".
([2]) الموافقات للشاطبي بتحقيق مشهور حسن (1/ 42 – 59).

المصلحة بحجة المحافظة على المقاصد، وما أوردناه آنفا عن "الموافقات" للشاطبي يدحض هذه المزاعم التي لا أصل لها عنده ويؤكد أنها فرية، فما أشار إليه الغنوشي من إدخال الحريات العامة؛ كحرية العقيدة وحرية الرأي وحرية الملكية في هذه المقاصد؛ إنما هو من أوهامه، والشاطبي تحدث في الضروريات عن **حفظ الدين وليس عن حرية العقيدة**، وحفظ الدين الذي اعتبره الأصوليون من مقاصد الشريعة استدلوا عليه بأن الشارع قد شرع حدا للمرتد وهو القتل؛ فبهذا يحفظ الدين في شريعة الإسلام، بينما الغنوشي في كتابه **يدعي أن مقصد حفظ الدين هو حرية العقيدة**، وكذلك ما قاله الغنوشي عن مقصد حفظ العقل؛ فالأصوليون يجعلون حفظ العقل مقصدا ويستدلون على ذلك بتحريم المسكر وبالعقوبة الشرعية عليه، بينما يذكر الشيخ راشد أن حفظ العقل يتعلق به حق الإنسان في التعليم وحرية التفكير وحرية التعبير، **والدافع إليه هو موافقة الحضارة الغربية ...**، ويسترسل الشاطبي رحمه الله في إثبات بدعية هذا الطرح وهو مخالفة الشارع فيما أمر أو نهى بحجة المحافظة على المقصد، وهذا هو عين ما طرحه الغنوشي في كتابه، وهو عين ما يطرحه الذين جعلهم الغنوشي مفكري الإسلام المعاصرين، **وجميعهم يقصدون إلى تغيير شرع الله؛ فيثيرون مسألة مقاصد الشريعة كمقدمة وغطاء للانحراف، ثم يخادعون فيغشون على العقول والقلوب بإثارة مسألة مرونة الشريعة، ويتترسون بالإمام الشاطبي، والشاطبي بريء منهم ويعدهم أهل أهواء وبدع ...**، إن الشاطبي يرد هذا المنهج ويعده مذموما شرعا، ويقول: إن مخالفة الشرع بالفعل أو الترك مع قصد المحافظة على مقصد الشريعة هو بمثابة روح بلا جسد، فإذا لم ينتفع بجسد بلا روح؛ كذلك لا ينتفع بروح في غير جسد"[1].

وهناك من الباحثين الثقات من يرجع سبب الفشل إلى تصالح الإخوان مع القوى الظالمة وعدم الثورة عليها، فيقول **أخونا الملهم الأستاذ محمد إلهامي** في مقال له على قناته على التلجرام:

"كان من فضل الله عليّ أن تنبأت بمصير الغنوشي منذ 2014م، وقد أمسكت عن الكلام فيه منذ أن سُجن، فك الله أسره ... كان المنصف المرزوقي قد نصح القائد أحمد

([1]) المصدر السابق.

الشرع بأن يمضي عكس ما سارت عليه حركة النهضة في تونس، فجاءت سمية الغنوشي لتؤكد على هذه النصيحة، وتذكر أن من أخطاء النهضة حقا أنها وضعت المرزوقي في موقع الرئاسة! وأقول: كلاهما في هذه النقطة على حق! لكن الذي أريد قوله الآن: إن الذين قالوا في الزمن القديم بما تقول هي به الآن نُظِر إليهم كمتعصبين متشددين متطرفين، لا يفهمون معنى الدولة ولا معنى الديمقراطية ولا معنى الحوار الوطني، ولا يرتقون لأن يفهموا موقف المفكر الكبير الغنوشي!!!

لقد كان المنصف المرزوقي –الذي أعترف له بنضاله ونبله واتساقه مع أفكاره– حقا من أخطر عيوب الثورة التونسية، وكانت توليته الرئاسة عيبا ضخما، بل جريمة اقترفتها حركة النهضة فقد تولاها ثم مارس الأستاذية كأنما له شعبية، ثم سار في طريق الاستيلاء على الثورة، حتى أوقعته مثاليته وسذاجته السياسية في التمكين للثورة المضادة!

وهذا كله إنما جاء من الأصل الفاسد الذي اعتنقته حركة النهضة، وهو أصل "التوافق الوطني".

ومع أن الجميع يشدو بالديمقراطية ويغنّي لها، إلا أن الديمقراطية حين تأتي بالإسلاميين يأكلون صنم الديمقراطية ويعبدون صنم "التوافق" الذي هو أصلا ضد صنم الديمقراطية، فإله الديمقراطية ضد إله التوافق مثلما أن إله الخير ضد إله الشر في الأساطير اليونانية! لو كان الناس يتوافقون ما احتاجوا إلى الديمقراطية، وإنما ظهرت الديمقراطية لأن الناس يتنافسون لا يتوافقون!

وهذا "التوافق الوطني" هو سر فشل الثورة المصرية والتونسية واليمنية حيث آلت الأمور كما نرى جميعا إلى من أخذها بالغلبة ولم يتوافق!

وقد كنتُ قلتُ قبل نحو تسع سنوات: إذا أنتَ نظرتَ إلى مشهد الثورات من زاوية الجماعات، فسترى أن الثورات التي لم تفشل بعد هي التي اندلعت في بلاد ليست فيها جماعة الإخوان المسلمين: سوريا وليبيا. فأما سوريا فها نحن نرى حالها الآن وأما ليبيا فما زال الأمل فيها معقودا وقائما، وما زال غربها يحتفظ بمكاسب كثيرة للثورة!

وأما الدول التي كانت تسمح بمساحة للإخوان جعل الجماعة تكون دائما طليعة الحالة الثورية، فقد أخفقت ثوراتها، لأن الجماعة الكبيرة ... قد غادرت منذ زمن أفكار البنا وقطب الثورية واعتنقت أفكار الهضيبي والتلمساني التصالحية ... حتى حشرت طاقة الناس في مسارات يملكها العدوان: النظام الحاكم، والنظام العالمي من خلفه!

وفي هذه المرحلة التصالحية الإصلاحية، اتخذت الجماعة موقع التلميذ أمام شخصيات من اليساريين والليبراليين، يشرحون لها معنى الدولة والحكم والنظام والحوار الوطني وسائر هذه التخريفات التي ليس تحتها معنى صلب بل توهمات يسوقها ذو الفكر بما يخدم هواه، فأمثال المنصف المرزوقي وعزمي بشارة وغيرهما ممن لا أحب الآن ذكر أسمائهم، انتصبوا ليعلّموا الحركات كيف تدير المراحل الانتقالية فكانوا كالطبيب الفاشل: إن لم ينفع دواؤه قال لك: لو لم تأخذه لكان الحال أسوأ مما صار إليه!!

في ليلة انقلاب قيس سعيد كان تويتر حافلا بصدمة هؤلاء المثقفين، فالغنوشي قد فعل حقا كل ما يمكن أن يفعله في تحقيق التوافق الوطني والحوار الوطني، وبعضهم كان لا يصدق، وبعضهم جزم بأن انقلاب قيس سعيد سيفشل لا محالة أتذكرهم بالاسم، وأتذكر صدمتي من ثقتهم بأنفسهم ليلتها!!

والآن يريد هؤلاء أن يُعطوا النصائح لأحمد الشرع في سوريا، ويحدثونه من جديد عن التنوع والحوار الوطني!! أسأل الله أن يحفظ سمعه وعقله من أن يتلوث بهذا.

بعض الناس يقول: إن من أسرار نجاح الخميني في إيران، وأردوغان في تركيا، وطالبان في أفغانستان أنهم لا يعرفون اللغة العربية، فصان الله سمعهم وعقولهم من سماع مثل هؤلاء، واستطاع كل واحد منهم أن يجد لنفسه الحل الأنسب له في بيئته.

لهذا القول حظ من النظر حقا، إن الذي يطفو على فكر الحركة الإسلامية في العالم العربي هو فكر مدجن لا يصلح لا لثورة ولا لإقامة دولة، وأقول: "يطفو" ففي المكنوز المغمور خير كثير بل خير كبير، بل هو الأصل والخير الأكبر، ولكن الذي يطفو إنما يطفو ويظهر لأنه هو الذي تريد له آلة السياسة ووسائل الإعلام أن يطفو!

بل لو ذهبنا للتدقيق في التجارب التي فشلت أو لم تنجح بعد، لرأيناها كانت حفية بهذا الحوار والتوافق من اللقاء المشترك في اليمن قبل أن يبلعهم الحوثي، إلى مصر قبل أن يكسحها الانقلاب العسكري، إلى تونس قبل أن ينقلب قيس سعيد، إلى الصخيرات في ليبيا التي شرعنت وضع حفتر، وهكذا.

لربما كان التوافق والحوار الوطني ينفعان في السلم! أما في الحرب والثورة وإقامة الدولة فلا، ولو كان أحد أحوج إلى توافق في زمن صعب، لكان ذلك نبينا صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة وهم في إجراءات تنصيب عبد الله بن أبي بن سلول، فماذا كان؟!

أُلغي النظام القديم، وصار النبي صلى الله عليه وسلم زعيم المدينة، وكتب دستورها، وبات هو المرجعية فيها وهذا مع شدة ما كان في المدينة المنورة من انقسامات دينية وقبلية ومن ضعف اقتصادي ومن أزمة سياسية!!

على أن عندي بعض الاطمئنان في أن الرجل، أعني: القائد أحمد الشرع، الذي شب في القتال وتمرس بالصراعات وعرف كيف تكون الحروب ثم مارس الحكم في إدلب أعواما بين فرقاء دوليين متشاكسين عندي اطمئنان في أنه ينجو من خرافات المثقفين وأوهامهم.

وهذا ما ينبغي أن يكون دافعا أشد لحماية هذا الرجل والتوحد خلفه، فإن العدو إذا لم يأخذ ما أراد بالسلم سعى في الاغتيال والقتل. والله خير حافظا وهو أرحم الراحمين"[1].

وهذا الذي قاله الأستاذ الفاضل حق ولكن يبقى السؤال: **لماذا لم يفعل الإخوان ما كان ينبغي عليهم أن يفعلوه وانخدعوا بخديعة التوافق وغيرها؟ وفي تجربة حماس تفردت حماس بالحكم في غزة وحسمته ومع ذلك لم يكتب لها النجاح أيضا**. فهذا يدل على أن السبب والمرض الحقيقي هو وراء هذه الظواهر والأعراض التي ذكرها الأستاذ –بارك الله فيه– والذي ينحصر فيما ذكرته من **ترك ركني الإمامة وهما: القوة في الدين بشقيها العلمي والعملي**.

([1]) مقال للأستاذ محمد إلهامي على قناته على التلجرام/ https://t.me/melhamy/8520.

وأود التنويه هنا إلى أمر غاية في الأهمية، وهو أن **الممارسة السياسية والمرونة في التعامل مع الواقع أمر لا بد منه ولا يخالف القوة في الدين** –لأنها لا تعني الجمود–، لكن بشرط أن تكون السياسة خادمة للدين تابعة له وضمن إطاره وإلا فلن تفلح الحركة الإسلامية أبدا، **والسر في ذلك هو عزة الله تعالى،** فإن لواء الله أمانة في يد من يحمله ويمثله فإن لوّثه أهانه الله تعالى ولم يعزّه غَيرةً على دينه ولوائه، فبقدر ما ينصر حاملُ اللواء دينَ الله ويمثله ويعكس صورته على هذا اللواء بقدر معية الله تعالى وتأييده له **{إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ}** [محمد: 7]، وهذا بخلاف الأحزاب الأخرى التي لا تحمل لواء الحق فإن الله تعالى يكلها إلى نفسها ومهارتها السياسية فقد تنجح وتنتصر إذا لم تكن أمامها راية إسلامية صحيحة، **فهذا هو قدرنا الذي يجب أن نفهمه جيدا فإننا بدون الله تعالى ونصرة دينه أولا وقبل كل شيء لن نفلح أبدا مهما أوتينا من حنكة سياسية وعقلية عبقرية.**

القسم الثاني: التوقُّعات

التوقعات التي سأذكرها قائمة على أساسين متينين:

الأول: الوحي، وهو أحق وأصدق ما يستضاء به في قراءة المستقبل والتخطيط الاستراتيجي لقوم يوقنون.

الثاني: متابعة الواقع ومعرفته وفهمه من خلال نور الوحي أيضا.

وعليه فإني أحذر أشد التحذير من الاعتماد في رؤية المستقبل على الحسابات الرقمية في بعض آيات القرآن وسوره وكذلك على الرؤى والمنامات ونحو ذلك مما لا يمُتّ للعلم بصلة، بل هي مجرد تَخَرُّصات وظنون مخالفة لسبيل العلم والهدى الذي كان عليه السلف والمؤمنون في تعاملهم مع القرآن وفهمهم له كما بينت وفصلت في مقال في الرد على من تنبأ بزوال الكيان الصهيوني في سنة 2023م[1]، والأحلام أيضا ظنون لا يبنى عليها علم ولا حُكم بل هي للاستئناس فقط، وفي حالتنا هذه لا ينبغي الاستئناس بها أيضا لما كان لها من مفاسد كبيرة ومردود سيء على نفوس الناس من كثرة الأخطاء والإحباطات المترتبة على ذلك، **فينبغي سد هذا الباب**، والشيطان يستغل ذلك في الناس فيوحي إلى بعض الجهال طرائق مبتدعة في التعامل مع القرآن يَحرم اتباعها لأنها من القول بالرأي المجرد في القرآن ويأتيهم في أحلام كثيرة يمنيهم بانتهاء الحرب في يوم كذا ويوم كذا وهو الكذوب وإنما يتلاعب في عواطف الناس وقلوبهم ليصدهم عن منهج القرآن ويقنطهم من رحمة الله تعالى.

وإنما المطلوب هو التعامل مع كتاب ربنا عز وجل كمنبع للنور والهدى والحكمة وأن فيه تبيان كل شيء من الهدى لا من الوقائع والتفصيلات، فهو كتاب هداية لا كتاب تنجيم ورياضيات ونحو ذلك، وهو يرسم لنا طريق الهداية والرشاد والنصر والفلاح في الدنيا والآخرة، وفيه وفي السنة من البشارات العامة ما يثبت قلوب المؤمنين على تلك الطريق دون تفصيلات لا تليق بجلال الوحي وحكمة أحكم الحاكمين، وما علينا إلا الإيمان واليقين ثم الصبر والاتباع.

([1]) رابط البحث بعنوان "نقد نبوءة زوال إسرائيل في 2022م"/ https://t.me/ramydaly/5559

وبناء على التأملات والنظرات السابقة في هذا البحث وعلى ما جاء في غيره من المقالات والمباحث: كالخلافة الراشدة[1]، وإضاءة على الحرب الروسية الأوكرانية[2]، والحرب على جباليا والشمال[3]، وغيرها؛ فإني ألخص هنا بعض التوقعات التي فصلتها هناك وأزيد عليها لتكتمل صورة مستقبلية متوقعة لمنطقتنا مستضيئة بنور الوحي مستلهمة من هداه ومستندة إلى الواقع أيضا ليستقيم النظر قدر الإمكان، فإن **الأصل في الوحي والواقع ألا يختلفا** لأنهما يصدران من الإله الواحد الذي له وحده الخلق والأمر كلاهما، وهي كما يلي:

([1]) الرابط على قناة التلجرام/ https://t.me/ramydaly/2011.

([2]) الرابط/ https://t.me/ramydaly/4193.

([3]) الرابط/ https://t.me/ramydaly/5621.

1. قلت من بدايات الحرب وما زلت أقولها: **والله الذي لا إله إلا هو لن ننكسر في غزة في هذه الحرب مهما أصابنا من ألم وأذى ولأواء وأقول إن شاء الله تحقيقاً وتبركاً لا تعليقاً وشكاً** كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ثقة بالله ويقيناً بوعده ونصره ولأسباب كثيرة فصلتها، وألخصها هنا بما يلي:

أ. أني أصّلْت الحرب على أنها أقرب ما تكون لغزوة أُحدٍ، فهي أصلها من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم التي تستوعب الزمان والمكان، وهذه الغزوة كان فيها معنى العقاب والأذى والهزيمة الجزئية بسبب الخلل في إقامة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن المسلمين لم ينكسروا بسبب ثبات النبي صلى الله عليه وسلم وثلة من الأبطال الصادقين معه، **وهذا أصلٌ لما يحدث اليوم في هذه الحرب،** وذكرت أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في أصعب موقف في الغزوة: "**مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَهُوَ رَفِيْقِي فِي الجَنَّةِ**"[1]، **وفي ذلك بشارة عظيمة لمن يقاتل في هذا الظرف العصيب ليدفع اليهود عن الأمة بأسرها أنه يرجى له أن يكون مع النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة بإذن الله تعالى إن صدق واستقام.**

ب. قوله تعالى عن اليهود: **{كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ}** [المائدة: 64]، وذكرت سابقاً أن طول هذه الحرب النسبي بسبب تعانق السنن وتداخلها.

ج. قوله تعالى: **{ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ}** [الحج: 60]، وقد عاقبْنا في طوفان الأقصى بمثل ما عوقبنا وحوربنا به من قِبَل اليهود المجرمين عبر السنين ثم بغَوا علينا في هذه الحرب؛ فلَيَنصُرَنّا الله عز وجل بالثبات وعدم الانكسار وكسر إرادة المعتدين الباغين.

د. قوله تعالى: **{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ}** [البقرة: 114]، وذكرت أنها في اليهود في الأصل وأنها متحققة فيهم اليوم

([1]) صحيح مسلم (1789)، ومسند أحمد (14056) واللفظ له.

بأجلى صورة وأنها تشتمل على بشارة عظيمة وهي أنّا إذا قاتلناهم لرفع ذكر الله تعالى وكلمته فإن مآلهم الخزي والذلة والهزيمة حتماً.

هـ. ذكرت في التأملات في سورة الإسراء أن **صدر السورة يشتمل على بشارتين عظيمتين:**

الأولى: أن إساءة وجه اليهود بدأت ولن تنتهي حتى دخول المسجد الأقصى، وهذا يعني أننا لن ننكسر في غزة ولن يفرح اليهود بانكسارنا أبداً بإذن الله تعالى.

الثانية: أن إساءة وجههم ستكون بصورٍ شتى: بالصمود والعمليات البطولية في غزة أثناء الحرب، وأنها عند انتهاء الحرب وانطفائها كما وعد الله تعالى ستكون الإساءة **بصعود الحركات الإسلامية ونصرها** لاسيما في الشام؛ فلما انتصر المجاهدون في سوريا أيقنت أن الحرب قد آن انتهاؤها وستطفأ قريباً بإذن الله تعالى.

فالآلام وإن عظمت وجلّت وتفاقمت فالآمال أعظم وأكبر، وما نصر سوريا المفاجئ والمعجز عنا ببعيد، ونظرنا نحو الخلافة الراشدة الموعودة لا ينثني، ويقيننا بتحقق الوعد الإلهي لا ينحني.

و. قوله صلى الله عليه وسلم: "**لَا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ**"، قال معاذ رضي الله عنه: "**وهم بالشام**"[1]، **والمجاهدون في غزة يرفعون راية الحق ويقاتلون من أجلها.**

ز. قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي مرّ قريباً: "**وَإِنَّ أَفْضَلَ رباطِكُمْ عَسْقَلانُ**"[2]، **وغزة من قضائها وعلى حدودها،** وخير الرباط لا ينكسر بإذن الله لأن الله تعالى معه.

ح. أخرج ابن حبان في صحيحه عن أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَوَالَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "**إِنَّكُمْ سَتُجَنَّدُونَ أَجْنَادًا: جُنْدًا**

([1]) صحيح البخاري (3641)، و (7460) بلفظ "**مَا يَضُرُّهُمْ مَنْ كذَّبهم**..".

([2]) المعجم الكبير للطبراني (11138)، وصححه الألباني.

بِالشَّامِ، وَجُنْدًا بِالْعِرَاقِ، وَجُنْدًا بِالْيَمَنِ"، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، خِرْ لِي؟ قَالَ: "**عَلَيْكَ بِالشَّامِ، فَمَنْ أَبَى فَلْيَلْحَقْ بِيَمَنِهِ وَلْيَسْقِ مِنْ غُدُرِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَكَفَّلَ لِي بِالشَّامِ وَأَهْلِهِ**"[1]، قال أبو إدريس الخولانيّ: "**من تكفل الله به فلا ضيعة عليه**"[2] أي إذا قام بأمر الله تعالى.

ط. **التأييد الإلهي المبهر من أول لحظة في معركة الطوفان، ثم في الثبات الأسطوري** الذي هو من الله تعالى الذي يربط على قلوب الناس والمجاهدين برغم كل الأهوال التي يلقونها بشكل معجز، والتأييد الرباني للمجاهدين في إقدامهم وتقوية قلوبهم وتهيئة الأسباب لهم من لا شيء؛ مما نتج عنه عمليات نوعية وصور من البطولات التي أدهشت العالم كله على مدار أكثر من سنة كاملة ولا زال يقوى ولا يضعف مما أدخل كثيرا من الناس في الغرب في الإسلام وكانوا يقولون عن سبب إسلامهم أنهم رأوا الله تعالى مع أهل غزة، والله تعالى لا يضيع أجر المحسنين ولا عملهم، **ومن صور هذا التأييد ما حصل مع السنوار رحمه الله** وكيف هيأ الله تعالى له سبيل العزة ورفع ذكره وذبّ عنه بعد أن نالت منه ألسنة كثير من الناس ولمسنا في ذلك حقيقة التأييد الإلهي والذبّ عن المقاومة والجهاد الذي يمثله السنوار.

ي. **سيرضخ الكيان لشروط المفاوض الفلسطيني المقاوم**؛ لأن هوى أمريكا وترامب ومصالحها مع إنهاء الحرب وعودة الأسرى الأمريكان وتحقيق إنجازات سياسية واقتصادية باستقرار المنطقة وإنجاز التطبيع بين الكيان ودول الخليج وغيرها؛ لأن اليهود لا يمكنهم قطع حبل الناس عنهم فمصيرهم مرتبط بهذا الحبل بعد أن قطعوا حبل الله تعالى بكفرهم وقسوة قلوبهم {**ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ**} [آل عمران: 112].

([1]) صحيح ابن حبان (7306)، وصححه الألباني.

([2]) دلائل النبوة للبيهقي (7/ 108).

2. ذكرت أيام الربيع العربي أن هذا **الربيع معجزة إلهية بيّنة** دون التفات إلى من كانوا ولا زالوا للأسف يخضعون لعقدة المؤامرة الغربية وهي نظرة غير واقعية بتاتاً لمن محّص الأحداث وقد أثبت الوقت والواقع وعودة الأنظمة القديمة خطأها بلا شك، وكنت أستغرب كيف يظن أولئك أن الغرب يتآمر وينقلب على نفسه! فالأنظمة القائمة هي أدواته وجنده، وقلت إن **المعجزة يقصد بها تأييد المؤمنين** والربط على قلوبهم وزيادة يقينهم بقدرة الله الباهرة **وإنذار الجاحدين** وقرب تحقق موعود الله تعالى بهلاكهم ونصر المؤمنين، وقد رأينا هلاك عدد منهم وآخرهم المجرم بشار **وسيأتي الدور على البقية بإذن الله تعالى.**

والوعد هنا يتمثل بالخلافة الراشدة الثانية التي نص النبي صلى الله عليه وسلم عليها، وها نحن نرى أولى بشائر النصر في سوريا وأقصد النصر الحقيقي الدائم لأنه يمتلك مقومات النصر والإمامة بإذن الله تعالى، وأعظم ابتلاء يمحص ذلك ويكشف حقيقته هو ابتلاء الحكم والسلطة، فإن أشق شيء على النفس أن تتجرد عنه لله تعالى هو الحكم والسلطة ثم المال، قال صلى الله عليه وسلم: "**فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوا، وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ**"[1]، وقال: "**مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلاَ فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ**"[2]، وقد ابتلوا بذلك فنجحوا بفضل الله تعالى وكرمه في التمكين الجزئي في إدلب، ولذا أتوقع أن يستمر هذا النجاح في التمكين الكلي لأنه تتويج للنجاح الأول بإذن الله ولأنه يتماشى مع الأقدار والسنن من صحوة الشام التي هي معيار صلاح الأمة ومن الخلافة الراشدة التي ستكون فيها ونحو ذلك، بخلاف ما حصل من تمكين جزئي للإخوان بعد الربيع العربي مباشرة في مصر وتونس مثلاً فإنه كان يحمل معه بذور الفشل لضعف سبب النصر الرئيسي الذي ذكرناه فيهم.

وتوقعت أن تكون **الموجة الأولى من الربيع العربي بعد انقضائها وما صاحبها من فشل جرس إنذار** وتنبيه للحركة الإسلامية بوجود الخلل الذي ذكرناه ليتطهروا منه، قال

([1]) متفق عليه: صحيح البخاري (4015)، و(6425) بلفظ "**وَتُلهِيكُمْ كَمَا أَلْهَتْهُمْ**"، وصحيح مسلم (2961).

([2]) جامع الترمذي (2376) وقال: حسن صحيح، وصححه الألباني.

تعالى: {**عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ**} [الأعراف: 129]، فإن تطهروا أعاد لهم الله تعالى الكَرّة ونصرهم ومكنهم، فإن الله تعالى أكرم من أن يسلب شخصاً أو جماعة نعمة وهبها إياهم ثم لا يعيدها لهم إذا ثبتوا وأصلحوا؛ ذلك بأن **الكريم لا ينعم في الأصل ليسلب ويحرم وإنما يسلب تلك النعمة لأحد مقصدين:**

الأول: الابتلاء ليرى الله تعالى هل يُعبد ويطاع لأجل ذاته أم لأجل هذه النعمة، قال تعالى: {**وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ (٩) وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ (١٠) إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (١١)**} [هود: 9-11]، فإنْ عبده العبد لأجل النعمة كانت هي المعبودة في الحقيقة وسينقطع عن العبادة بانقطاعها فلا تعود إليه، وإن كان يعبد الله حقاً فسيستمر فتعود إليه النعمة من الكريم عز وجل أفضل مما كانت كما حصل مع أيوب عليه السلام، قال تعالى: {**وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ**} [ص: 43]، وكما حصل مع طالبان حين نزع الله منها الحكم فثبتت على الشرع والدين فأعاده الله إليها أفضل مما كان.

الثاني: عقاب التنبيه إذا لم يؤدّ العبد أو الجماعة شكرها فجعلها وسيلة لمخالفة أمر المنعم سبحانه ولم يؤدّ مراده منها وأمره فيها، قال تعالى: {**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**} [الأنفال: 53]، **فإن تاب العبد وأصلح الخلل** أعاد إليه الكريم النعمة أفضل مما كانت لكمال توحيده وإخلاصه أيضاً كما أخرج الله تعالى أبينا آدم عليه السلام من الجنة عقاباً له لمّا أكل من الشجرة التي نُهي عنها فلمّا تاب وأصلح يعيده الله تعالى إلى جنة أفضل منها، فإن كانت الأولى جنة في الأرض فجنة الخلد أفضل منها وإن كانت الأولى جنة الخلد فإنه سيعود إليها بحال ونعيم أفضل حيث لا يُمنع فيه من شيء، **وإن لم يتب العبد ويصلح** استبدله بمن يستحق، قال تعالى: {**وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ**} [محمد: 38]، والسلطة نعمة يراد بها أن تكون وسيلة لإقامة شرع الله تعالى وتثبيت دينه وهذا هو شكرها، فإن صارت مقصودة لذاتها سلبت من صاحبها حتى يحقق التوحيد ويصوب المسار.

ولذلك فإني أتوقع أن تكون الموجة الثانية للربيع العربي موجة عاتية تؤدي في نهاية المطاف إلى تصدر إسلاميين لكن على شاكلة **الشيخ حازم صلاح أبو إسماعيل** في مصر فرج الله كربه وكربها والقائد **أحمد الشرع** في سوريا –حفظه الله وسدده– **(يجمعون بين القوة في الدين وبين الذكاء في الطرح والتعامل مع الواقع بما لا يمس الدين)**، فإن ارتقت الحركة الإسلامية الأم لهذا المستوى كانت أحق بالحكم لأنه وُهب إليها أولاً –وهو ما نحبه ونتمناه ونسعى إليه– وإلا استبدلت بمن يستحق، **وسنن الله لا تحابي أحداً**.

وحركة حماس ليست بدعاً من ذلك كله، فهي تنتهج النهج نفسه الذي تنتهجه الحركة الإسلامية الأم وسارت في نفس المسار ووصلت إلى نفس العاقبة، ويشهد الله تعالى كم من المرات نصحنا الإخوة في الحركة أن ينتبهوا ويعدّلوا المسار ويطبقوا الشرع ولا يُغلّبوا السياسة والمصالح الدنيوية وأن مهمة الحاكم الأساسية هي حراسة الدين وسياسة الدنيا به وأن مقصد الجهاد هو أن تكون كلمة الله تعالى هي العليا، ولكنهم لم يولوا هذا الأمر كبير اهتمام وانشغلوا عنه بالسياسة والإدارة والجهاد وحسبوه هيناً وهو عند الله عظيم، بل هو أساس النصر والعزة والتمكين كما مر معنا في النظرة الأولى.

وقد خصصتُ درساً عاماً دورياً في أحد المساجد لأهل العلم لاسيما من أهل الجهاد قبل الحرب بشهرين خصصت الحديث فيه عن هذه المسألة لعله يُحدث أثراً في الإخوة الأحباب[1]، ووالله الذي لا إله إلا هو لقد حذرت مراراً وتكراراً من أنّا مقبلون على عقوبة من الله تعالى إن لم يُصحَّح المسار وتُعلَى كلمة الشرع والدين وتُقام أركان التمكين التي ذكرها الله تعالى في قوله: {**الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ**} [الحج: 41]، وقلت إن الله تعالى قال: {**وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ**} ليطمئننا إن أدينا هذه الأركان ويخوفنا من سلْب الحكم إن قصّرنا فيها.

([1]) رابط مجالس الدرس صوتيا على قناة التلجرام/ https://t.me/ramydaly/5822، بعنوان **(فقه الجهاد في الإسلام)**.

وهذا ما حدث تماماً في هذه الحرب، وقد بينت معنى العقاب فيها والمراد منه وأنه رحمة في حقيقته بكثير من التفصيل في النظرة الأولى.

وعليه فإني **أتوقع أن تُسلب الحركة نعمة الحكم** لأنها إلى الآن لم تدرك مكمن الخلل والداء وبالتالي لم تُصلحه، ولكني **أتوقع أن يعود لها الحكم** إن أحسنت كما قال تعالى لبني إسرائيل معلماً لنا: **{إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا}** [الإسراء: 7]، **وأتوقع ألا يفقدوا قوتهم الجهادية** بل سيبقيها الله تعالى مدخرة لديهم إلى أن يحين وقت انطلاقها الصحيح، **وأتوقع لهم بالذات أن يكون التغيير بصلاحهم لا باستبدالهم،** أي أن يكون الاستبدال فيهم داخلياً من خلال تيار إصلاحي من أنفسهم مثلا؛ لأنهم يملكون قوة جهادية عظيمة مخلصة موالية للقيادة لا يمكن أن تُهدر أو أن تكون أداةً لاقتتالٍ داخلي –لا قدر الله– بين الحركة وغيرها من الرايات الإسلامية؛ لأن هذا خلاف المتوقع من صعود الإسلام ورفع رايته لاسيما في الشام كما بيّنت، ولكن هذا يتطلب تحركاً قوياً صعباً داخل الحركة نفسها لتصحيح المسار والتجديد الذي تحتاج إليه الأمة منهم، وهو أمر تحتاج إليه كل حركة تحترم نفسها وتبغي الارتقاء **وقد آن أوانه الآن** كما أسلفت.

– وأتوقع أن سلب الحكم من الحركة وإن كان فيه معنى العقوبة إلا أنه رحمةٌ وخيرٌ بإذن الله تعالى؛ لثلاثة أمور:

الأول: أن تتجرد وتتطهر من داء السلطة والحكم والعجب الذي لم تنجح في التجرد منه أثناء الحكم، فإن تطهرت من هذا الداء أمكنها أن تغير حساباتها وتصحح الخلل ليصير الحكم والجهاد وسيلة لإقامة شرع الله تعالى، فإن صححت المسار وصدقت الله عز وجل واستقامت على الشرع بقدر الإمكان ولو بمجرد النية والقرار ابتداء فأنا على يقين تام بأن الله تعالى سيكرمها ويعيد لها الحكم أفضل مما كان وسيهيء لها الأسباب لذلك، ولله عاقبة الأمور.

الثاني: إن ذلك سيكون فرصةً لها لترميم أركان الإمامة وتكميلها، فتتفرغ للتربية الإيمانية والتعليم الشرعي الذَين قصرت فيهما كثيراً في فترة الحكم، وتقدم الشرع وأهله فيما يخصها ويقع تحت تصرفها، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة أمر الله بقدر

الإمكان مع الرفق والحكمة؛ لأن العمل بعد الحرب سيكون في واقع صعب جدا ويحتاج إلى جهود ضخمة صادقة في مجال الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو الامتحان القادم الذي سيظهر مدى انتباه الحركة للخلل الرئيسي الذي ذكرته وإصلاحها له.

الثالث: الكُمون والإعداد الجهادي الخفي القوي الرصين البعيد عن الظهور والرياء والعجب **تحضّرا للانقضاضة الثانية لطوفان الأقصى** عندما يحين وقتها المناسب الصحيح، وهو حين تنهض الأمة ويتهيأ الإقليم وتستقيم الحركة على جادة الإمامة، فتحين عندها مرحلة دخول المسجد الأقصى بعد انتهاء مرحلة إساءة الوجه؛ لأن المسجد الأقصى تيرمومتر الأمة كما مر، وأهل الشام عموما وأهل فلسطين خصوصاً هم رأس الحربة في ذلك، وهذه النهضة وفتح الأقصى قريب بإذن الله تعالى وقد فصّلّت في ذلك كله سابقاً.

– وأتوقع أن الحركة إن أخذت بهذه الأمور وأحسنت فستبقى قوتها وإن سلبت الحكم **ولن يتغلب عليها المنافقون والمرجفون**؛ لأنه لا يغلب منافقو الشام مؤمنيها –كما سيأتي في الأثر– أي إن أحسن المؤمنون وأعدوا العدة وسيجعل الله تعالى لهم إن أحسنوا كذلك فرجاً وعزاً –كما ذكرت–؛ لأن اليهود سيضعفون وينشغلون عنهم بإذن الله تعالى كما سأبين في النقطة التالية.

3. توقعت **بداية ضعف اليهود وانهيارهم** بعد وصولهم إلى قمة العلو والإفساد في هذه المرة الثانية **وسيحق عليهم وعد الآخرة**، وقد بدأ ذلك بالفعل بإساءة وجوههم وهي المرحلة الأولى التي ستستمر إلى فتح الأقصى بإذن الله تعالى، وأنه عند فتحه سيكون مسجدا كما أخبر الله عز وجل فلن يتمكنوا من تحويله إلى هيكل أو كنيس إن شاء الله تعالى كما بينت.

وأتوقع أن يدب الضعف ويستشري في الكيان من خلال سببين رئيسين:

الأول: أن يدب الخلاف بينهم؛ لأن هذه سنة إلهية فيهم قال تعالى: **{بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ}** [الحشر: 14]، وقال: **{وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ}** [المائدة: 64]، وفي هذه الآية إشارة إلى أن إطفاء نيرانهم وفسادهم يكون بشكل أساسي بأن يلقي الله تعالى بينهم الخلاف والعداوة والبغضاء ويشغلهم بأنفسهم.

الثاني: قطع حبل الناس عنهم أي حبل الغرب لا سيما أمريكا؛ لما مر معنا من أن حبل الله تعالى قطع عنهم وبقي حبل الناس هو حبل نجاتهم، فإذا تبين لنا أن وعد إنهاء هذا العلو والإفساد الثاني قد حان علمنا يقينا أن الله تعالى سيقطع عنهم حبل الناس لتحق عليهم الذلة والانكسار، وقد يكون ذلك بانشغال أمريكا عنهم بحرب مع الصين أو روسيا أو غيرهما أو بحرب بين دول الغرب نفسها أو بغير ذلك **مما لم يفصله الله تعالى لنا ولا يعلمه سواه سبحانه.**

وهذا ينبغي أن يدفع المجاهدين للطمأنينة والعمل واليقين بالفرج والتمكين بإذن الله تعالى.

4. انتخاب ترامب وتناغمه مع السنن[1]:

فقد ذكرت أن العلو والإفساد الكبير الثاني لبني إسرائيل قد وصل بإذن الله تعالى إلى نقطة النهاية، وبدء العد التنازلي لانهيارهم وزوال دولتهم وانتزاع المسجد الأقصى من أيديهم كما وعدنا ربّنا عز وجل، وذلك أن أُولى علامات الضعف والزوال: أن تبلغ القوة ذروتها، فإنه ليس بعد ذلك إلا الضعف، قال تعالى: **{ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً}** [الروم: 54]، **{حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً...}** [الأحقاف: 15]، قال العلماء: بعد سن الأربعين يبدأ الضعف لأنها منتهى الأشُد، ولذلك يبدأ ضعف المصارِع وانكساره إذا استفرغ قوته وطاقته كلها فلم يقدر أن يكسر خصمه وبقي عند خصمه مخزون قوة.

وهذا ما حصل مع اليهود في هذه الحرب، فهم يبذلون كل قوتهم، فلم يستطيعوا كسرنا ولن يستطيعوا بإذن الله تعالى كما تدل عليه الأدلة الكثيرة وقد ذكرتُ بعضها، **وما زال عندنا وعند أمتنا مخزون عظيم من القوة لم يبرز بعد وسيدهش الدنيا حين يُبرزه الدينُ والإيمانُ والرجوعُ إلى الله تعالى والاستمساكُ بحبله إن شاء الله.**

وهذا الذي **يفسر الاستدراجَ الإلهي العجيب لهؤلاء القوم ليوصلهم ربنا القهار إلى قدَرهم المحتوم ويغرقهم في الطوفان** كما استدرج فرعونَ من قبل إلى قدره فأغرقه وأهلكه، فقدّر سبحانه وتعالى أن تنشب هذه الحرب بطوفان قوي مبارك أدهش العالم كله في كمّ القوة والشجاعة والإقدام والإحكام الذي اشتمل عليه، حتى أن النجاحات التي حصلت أبهرت المجاهدين أنفسهم الذين لا أحسبهم توقعوها، مما استفز العدو أعظم استفزاز.

وقدّر الله أيضا أن يكون على رأس دولة العدو مجرم عنيد وفرعون جديد هو نتنياهو ومعه حكومة يمينية هي الأكثر تطرفا في تاريخ الكيان المسخ، بل **ويفسر أيضا هذا الإقدامَ الغريب الاستثنائي للعدو في هذه الحرب! فيتقدم برغم تدمير آلياته والموت الذي يراه، وهذا أمر رباني بحت؛ لأنه يخالف الطبع الذي جُبل عليه اليهودي من الجبن والحرص على الحياة والذي كان واضحا جدا في حروبهم السابقة،** ولا أعني بذلك غلبة

([1]) هذه الفقرة في الأصل منفصلة عن رسالة الطوفان، وقد صدرت بتاريخ 9/ 11/ 2024م، بمناسبة فوز المرشح الرئاسي دونالد ترامب بنتائج انتخابات الرئاسة الأمريكية وعودته للبيت الأبيض مرة أخرى.

الشجاعة عليهم في هذه الحرب، بل الجبن وَسْم إلهي ملازم لهم؛ ولكن المقصود ظهور شيء من الشجاعة المستغربة في حقهم فقط.

فكل ذلك استدراج لهم ليستفرغوا طاقتهم وقوتهم كلها في هذه الحرب ليصلوا بعد ذلك إلى بداية الانهيار، ولذلك أطالوا أمد الحرب ووسعوا رقعتها وأهدافها وأكثروا البطش والإفساد وتحملوا الأثمان الباهظة في سبيل ذلك، ولولا تلك الأقدار السابقة لما حصل ذلك، ولكنه الاستدراج والقدَر الحكيم بالإضافة إلى حِكم وسنن أخرى عظيمة تحدثت عن بعضها.

ويأتي انتخاب المجرم السادي ترامب في هذا السياق متناغما مع ما ذكرته من سنة الاستدراج وقدر الانهيار والزوال، فإن الله تعالى يقول: **{ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ...}** [آل عمران: 112]، وقد انقطع عنهم حبل الله تعالى بكفرهم بأعظم الرسل صلى الله عليه وسلم، وبقي حبل الناس والذي تمثله اليوم أمريكا ومِن ورائها الغرب، فمَدَّ الله تعالى لهم حبل الناس اليوم على أقصاه بانتخاب ترامب لأنه أكبر مناصريهم وأعتاهم ليصل الاستدراج بإذن الله تعالى إلى منتهاه ليبدأ بعده الانهيار ويحق عليهم قدر الزوال وهو قريب جدا إن شاء الله، وذلك لأن القدر لا تكتمل صورته المرتقَبة إلا من خلال النظر في السنن المتعلقة بالواقع كلها ليكتمل المشهد فلا يغلب اليأس ولا الاندفاع والغرور.

وسنة النصر المنشود القريب منظورةٌ في مشهدنا بوضوح بتحقق سببها الأساسي المتمثل بقوله تعالى: **{إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ}** [محمد: 7]، والمتحقق **بهذه الثلة المباركة المجاهِدة ذات البأس الشديد في غزة والتي ترفع لواء الله تعالى والدين**، والتي أدهشت الدنيا كلها بثباتها وصلابتها، وكانت معية الله تعالى معها ظاهرة جلية حتى حببت الدين إلى كثير من الكفار في الغرب وكانت سببا في إسلامهم، وهي السُّنة التي حصلت مع النبي صلى الله عليه وسلم في أُحد، لمّا ثبت بأبي وأمي وثبتت معه ثلة قليلة جدا في لحظات الضعف والهزيمة كان هذا الثبات سببا لعدم الانكسار ورفع البلاء بفضل الله تعالى.

وهو ما نراه أيضا جليا في هذه المعركة بإذن الله تعالى، وقد قال الله عز وجل: **{لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا}** [الأحزاب: 21].

5. توقعت اقتراب النصر والفرج في غزة وأن تكون إساءة وجه اليهود بعد انطفاء الحرب في غزة **بالنهضة الإسلامية في الأمة من خلال عودة الربيع العربي في موجة ثانية**، ولكن **الأهم هو منطقة الشام والعراق**؛ لأنها مهد أولي البأس الشديد الذين سيحررون الأقصى، وباقي الأمة سند لهم بإذن الله تعالى، وقد مر ذلك كله في النظرة السادسة (تأملات في سورة الإسراء)، وهذه المنطقة لا أعتقد أن يكون فيها **التغير إلا جذريا بالجهاد والتخلص التام من الأنظمة المهترئة العميلة فيها** كما حصل في سوريا؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم حين سئل عن المخرج في هذا الزمان قال: "**الْجِهَادِ، وَإِنَّ أَفْضَلَ جِهادِكُمُ الرِّبَاطُ**"[1] –كما سبق–، وهذه المنطقة هي المؤهلة لفتح الأقصى، والشام هي مقر الخلافة الراشدة الثانية وهي عصب الأمة وقلبها ومعيار صلاحها وعُقر دار المؤمنين ومستقر الإيمان إذا وقعت الفتن وخِيرة الله من أرضه يجتبي إليها صفوته من عباده كما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم، وبالتالي **سيكون المخرج فيها من الظلم والجبرية على أتم وجه لا بأنصاف الحلول.**

وكانت سوريا هي محط نظري من بداية ثورتها، وكنت على يقين أن هذه الثورة المباركة التابعة لمعجزة الربيع العربي هي باكورة النهضة الإسلامية في الشام ومن ثم في الأمة كلها وأنها الشرارة التي انطلقت لتحرق الظالمين وتضيء الطريق للخلافة الراشدة الموعودة بإذن الله تعالى، وكنت متيقنا أن الله تعالى برحمته وكرمه وعزته إذ أشعل هذه الشرارة بنفسه سبحانه فلن يكسر قلوب أوليائه بإطفائها دون أن يتحقق موعوده لهم لا سيما أنها جاءت في الوقت الذي حدده لهم نبيهم صلى الله عليه وسلم عندما أخبر أن الخلافة الراشدة الثانية ستكون بعد سيطرة الحكم الجبري على الأمة، وقد زاد يقيني لما اشتعلت الحرب الروسية الأوكرانية وقلت وقتها إن ذلك سيكون سببا في إضعاف الروس ورفع قبضتهم عن سوريا ليكون ذلك إيذانا بنصر المجاهدين وقد حصل ذلك بفضل الله تعالى ليزداد المؤمنون إيمانا إلى إيمانهم.

وسوريا مع ذلك لها موقع مهم يؤهلها للقيادة، وأهلها فيهم من الطيبة والإيمان ما يؤهلهم لحمل لواء الله تعالى، لا سيما أن الثورة غلبت عليها راية الجهاد والدين وتحولت

([1]) المعجم الكبير للطبراني (11138)، وصححه الألباني.

بالتدريج إلى المنهج الإسلامي المعتدل بفضل الله تعالى، ومن المفارقات أني أذكر أني تدارست مرة الحال في سوريا مع بعض إخواني في دمشق قبل الثورة بسنتين تقريبا –ولم يكن لها أي بوادر– فقلت "**إن الشعب السوري لا سيما المتدينين منه معدنهم طيب مثل سبيكة الذهب تحتاج فقط إلى نفض الغبار عنها، ولا أفضل من الجهاد لنفض هذا الغبار**"، وقد كان، وكان الإخوة يقولون بعد ذلك لو جاء إلى سوريا ألف داعية وعالم ومكثوا ثلاثين سنة فيها لنشر الدين لما أثّروا في دين الناس وأرواحهم كما أثّر الجهاد في سنة واحدة فقط.

والنصر في **سوريا** معجز وملهم كما أن الربيع العربي كان معجزا وملهما، ولا ننسى **غزة العزة الملهمة** كذلك ولعلها الملهمة الأولى بثباتها وصمودها ثم بحسمها ثم ببطولاتها وانتصاراتها على أعتى القوى ثم بطوفانها ثم بصمودها المذهل، وقد علمتنا كل من غزة وسوريا أن النصر ممكن بل هو أقرب وأسرع مما يمكن أن نتخيل لو أحْسنّا الإعداد الديني والمادي واقتناص الفرص معتمدين على نور العلم والوحي وعلى فهم الواقع من خلاله؛ لأن النصر من عند من يقول للشيء كن فيكون، **وما حصل من خلل في غزة بعدم اكتمال الطوفان جبرته سوريا التي اكتمل طوفانها لئلا ييأس الناس والمجاهدون بسبب عدم اكتمال طوفان غزة وتداعياته الصعبة**، وليعلمنا الله تعالى أين مكمن الخلل عندنا في غزة بالمقارنة الواقعية وأن الخلل بسبب تقصيرنا في موجبات النصر والإمامة أما الله تعالى فهو على كل شيء قدير **{أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}** [آل عمران: 165]، **وكذلك جبرته غزة – إلى حد كبير– بصمودها الأسطوري الذي سينكسر عليه صلف الكيان الصهيوني بإذن الله تعالى**، وأرجو أن يكتمل الجبر ويلتئم الجرح تماما بإصلاح الخلل وتصحيح المسار.

وكل هذه الأحداث إنما يُثَبّتنا الله تعالى بها ويُرينا بها شيئا من تأييده وإعجازه لتطمئن القلوب وسط المحن العظيمة أثناء المخاض العسير للأمة وليرسم لنا بها معالم الطريق، فإن **الأحداث ستتكرر** لكن ستكون الأمة قد تعلمت من الأخطاء، فإن **الطريق إلى الخلافة يحتاج إلى انتفاضة الشعوب كما حصل في الربيع العربي الأول** ليكون لسان حالها مع المجاهدين: "**اذهبوا أنتم وربكم فقاتلوا إنا معكم مقاتلون**"، والشعوب بحاجة فقط

إلى مثال قريب صادق وناجح ليشعل فتيل حماسها للحرية وعاطفتها الدينية الدفينة، ويحتاج الطريق أيضا إلى جرأةِ وانقضاض وتوكل الطوفان الغزي والسوري وإلى الدمج بين القوة الدينية والذكاء الواقعي المستبصر بنور الوحي وعلم الشريعة (فهذه هي السياسة الشرعية الصحيحة) في المناطق التي تصير في أيدي المجاهدين كما كان في إدلب (ونرجو أن يستمر في سوريا كلها بإذن الله) وإلى ثبات غزة وصمودها في بعض المحطات الصعبة التي سيمر بها المخاض.

ولذلك أتوقع أن **تختلف طرق النهضة** لكن لا بد أن تكون على أنقاض الأنظمة الجبرية القائمة؛ لأن نجاح الثورة الحقيقي وقيام بذور الخلافة لا يكون إلا على أنقاضها ولا يتم إلا بالجهاد الذي حدده النبي صلى الله عليه وسلم مخرجا ووصف هذه الأنظمة بالحُمُر التي تعض على الحكم عضا، والحمار معروف بقوة عضته وأنه لا بد من ضربه ضربا موجعا لإجباره على ترك ما يعض عليه، وبالتالي **لا بد أن تَجمع هذه الطرقَ وسيلةُ القوة والثورة**، أما التغيير السلمي البحت كاللجوء إلى صندوق الانتخابات دون أي قوة وضغط –كما يتبناه أغلب الإخوان– فلا يمكن أن يفلح مطلقا فيجب أن يُستثنى ابتداء، ثم إنّ هناك بعض الدول قد يكفي وينجح فيها ربيع وتغيير **بقوة ضغط سلمية بالاعتصامات والتحشدات** ونحوها، وقد يتطور بعضها إلى **انشقاقات وانقلاب عسكري**، وبعضها يحتاج إلى **قتال واستئصال** للأنظمة والرايات الخبيثة ولعلها الدول التي قام فيها الجهاد واشتعل ودول الشام التي هي محل الأحداث الكبرى.

ولعل **الجامع لهذه الصور** هو أن **الجهاد الذي حدده النبي صلى الله عليه وسلم كمخرج من هذه الحقبة العصيبة في تاريخ الأمة يشمل القتال والرباط**، فأشار الرؤوف الرحيم بأمته صلى الله عليه وسلم إلى أن **الرباط أفضل إن أمكن** لقلة إراقة الدماء فيه ولعل من صوره الاعتصامات والرباط في الميادين العامة ونحوه، **وقد تكون هناك صور أخرى لا نعلمها على كل بلد أن يفكروا فيها ويبتكروها على ضوء الهَدي النبوي**، فإن لم يمكن ذلك فلا بد من القتال.

وغالب ظني أنه يمكن التغيير ولو جزئيا **بالرباط والصبر عليه في البلاد البعيدة عن التأثير** وعن الشام التي هي محور الأحداث **كالمغرب وتونس** مثلا، بخلاف الدول

التي تعد أرض الصراع وميدان الأحداث وهي **بلاد الشام** في الأصل فإن التغيير فيها سيكون بالقتال غالبا والله أعلم سواء من البداية أو في نهاية المطاف؛ لأنه يصعب إزالة الأنظمة الفاسدة فيها بالطرق السلمية الضاغطة؛ لأنها بالإضافة إلى أنها متجذرة ويعض عليها أصحابها فهي محل نظر ودعم الدول الكبرى الحامية للكيان الصهيوني، ولأن التغيير فيها ينبغي أن يكون جذريا ينفرد الإسلاميون السُنّة فيها بالثورة والحكم ويتم لهم الأمر فيها كما حصل في سوريا لأن الشام مستقر الإيمان والخلافة، **والدولة المحتملة بعد سوريا هي الأردن.**

وأما **مصر** فيحتمل أن يحصل فيها مثل ذلك أيضا لأنها من دول الطوق ولأهميتها التاريخية ودورها في مساندة الشام، **ويحتمل أن يسقط فيها النظام بالرباط كما سقط أول مرة** –وهو ما نرجوه– لكن مع عدم تكرار الأخطاء السابقة.

وأتوقع أن يحصل **التغيير الجذري بالقتال أيضا في: العراق** لدوره المتوقع في تحرير الأقصى كما مر، **وكذلك في اليمن** لما لها من فضل خاص معروف في ميزان الشرع بعد الشام مباشرة وقد مرّ بعضه وأهلها في التاريخ مدد أهل الإسلام، وقد توقعت أن يطمس الله على بصيرة المجرم نتنياهو فيُضعف الحوثيين كما أضعف حزب الله فيسيطر المجاهدون من أهل السنة على **اليمن** كما سيطروا على سوريا ويضعف **إيران** وقد يؤدي ذلك إلى إنهاء النظام الشيعي الرافضي بانتفاضات عارمة مهد الله تعالى لها عندما أذن بإشعال شرارتها قبل عامين.

وكل ذلك سيؤدي إلى نهضة إسلامية سنّيّة ويمهّد للخلافة الراشدة في نهاية المطاف بإذن الله تعالى.

6. **أتوقع النجاح والتوفيق لإخواننا المجاهدين في سوريا** لكل ما ذكرته آنفا، بالإضافة إلى أثرين:

الأول: عن خُرَيْم بن فَاتِك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: "**أَهْلُ الشَّامِ سَوْطِ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ، يَنْتَقِمُ بِهِمْ مِمَّنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَحَرَامٌ عَلَى مُنَافِقِيهِمْ أَنْ يَظْهَرُوا عَلَى مُؤْمِنِيهِمْ ...**"[1]، وذلك إذا رفع المؤمنون لواء الجهاد ونصروا الدين حقا.

ويدعم هذا الأثر إخبارُه صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح عن الشام أنها خيرته من أرضه يجتبي إليها صفوته من عباده.

الثاني: عن ابن المسيّب رحمه الله قال: "**تَكُونُ فِتْنَةٌ بِالشَّامِ، كَانَ أَوَّلُهَا لَعِبَ الصِّبْيَانِ، تَطْفُو مِنْ جَانِبٍ وَتَسْكُنُ مِنْ جَانِبٍ، فَلَا تَتَنَاهَى حَتَّى يُنَادِيَ مُنَادٍ: إِنَّ الْأَمِيرَ فُلَانٌ**"، قَالَ: فَيُقَبِّلُ ابْنُ الْمُسَيِّبِ يَدَيْهِ حَتَّى إِنَّهُمَا لَيَنْتَفِضَانِ، ثُمَّ يَقُولُ: "**ذَاكُمُ الْأَمِيرُ حَقًّا، ذَاكُمُ الْأَمِيرُ حَقًّا**"[2].

وهو حديث له حكم المرسل عن النبي صلى الله عليه وسلم لأن مثله لا يقال بالرأي ومراسيل ابن المسيب قبِلها أكثر العلماء، ويبقى أن في إسناده مجهولا ولكن هذا يمكن أن يجبر عند العلماء **بتصديق الواقع**؛ فإن الثورة السورية بدأت بلعب من صبيان في مدينة درعا جنوب دمشق كما هو معروف وكانت تطفو في مدينة ثم تسكن فتطفو من جانب آخر ثم تسكن وهكذا، وقد كنا نلاحظ ذلك بكل وضوح، وطالت مدتها وهو ما توحي به كلمة "**فَلَا تَتَنَاهَى**".

وهذا إن صح فإن فيه تزكية للقائد الحالي أحمد الشرع –حفظه الله وسدده– لأنه هو الذي نودي به أميرا على الجميع وقبلوه بعد التشتت والتشرذم الطويل لفصائل المجاهدين حتى الْتأَمَ شملهم وانتهت الفتنة كلها على يديه ونسأل الله تعالى أن يُتم ذلك ويبارك فيه.

([1]) مسند أحمد (16065)، وصححه الألباني موقوفا، وهو في حكم المرفوع لأنه أمر غيبي لا يقال بالرأي.

([2]) جامع معمر بن راشد (20746)، وفي سنده مجهول.

هذا هو ظننا الراجح ولكن لا يعني ذلك تزكية أعيان المجاهدين ولا عين قائدهم أحمد الشرع –حفظه الله وسدده– مطلقا، فالحي لا تؤمن فتنته؛ بل سنن الله تعالى هي الأصل الذي لا يتبدل ولا يتحول فإن أساؤوا استبدلهم الله تعالى بمن يكون أهلا لحمل اللواء خلفا لهم وذلك على الله يسير وبان حينئذ أن الأثر في غيرهم أو أنه لا يصح، ولكن نسأل الله تعالى بلطفه وكرمه أن يثبتهم ويسددهم ويجنب الأمة ويلات الاستبدال وهذا ظننا باللطيف الخبير ثم بهم بما وهبهم الله من إعانة وتأييد عظيم.

7. **أتوقع أن يبقى الجهاد مشتعلا في الضفة الغربية** ولن تقدر السلطة المستعبَدة الموالية لليهود على إخماده؛ لأنها لن تقدر على أن تتغلب على المؤمنين المجاهدين من الطائفة المنصورة هناك وكذلك اليهود، فهؤلاء المجاهدون لن يزالوا لعدوهم قاهرين لا يضرهم من خذلهم وناوأهم من بني جلدتهم ولا يظهر عليهم المنافقون، وهذه سنن في الشام كما مر، لا سيما أن الجهاد في غزة سيخبو قليلا للإعداد الهادئ المركز كما ذكرت فلا بد أن تبقى جذوة جهاد الكيان الغاصب مشتعلة في الأمة، والشعب الفلسطيني –بحكم موقعه واحتكاكه– هو الذي شُرف وكُلف بهذه المهمة ليكون مجاهدوه المؤمنون درع الأمة الذي يحميها من سهام التطبيع والتدجين ورأس حربتها في مواجهة هذا العدو وإزالته بإذن الله تعالى[1].

([1]) نهاية الجزء الثالث من رسالة "بعد عام من الطوفان"، صدر بتاريخ 29/ 12/ 2024م.

8. **أعتقد أن الأحداث الكبرى في الأرض كلها مركزها الشام الأرض المقدسة** التي هي أرض المحشر وإليها يعود الأمر كما في حديث عمود النور، **وأحداث روسيا وأكرانيا من هذا القبيل** ولذا قد تنتهي الآن بعد أن أدت دورها في إضعاف روسيا وانتصار المجاهدين في سوريا، **وقوة أمريكا من هذا القبيل** لتدعم إسرائيل وتكون حبل الناس لها في علوها الثاني وفسادها الذي هي فيه الآن، وبناء عليه فإني أتوقع أن **يضعف هذا الحبل** بما أنّ زوال الكيان قد حان.

وهذا يعني صعود قطب آخر وأنّا لا بد أن نستفيد منه ونتحالف معه في الوقت الحاضر دون ركون إليه، **وأتوقع أنه الصين**، مع الانتباه إلى أنه في النهاية وبعد زوال الكيان **سنغير تحالفنا** إلى الغرب وقد نحارب هذا الطرف كما قال صلى الله عليه وسلم: "**سَتُصَالِحُونَ الرُّومَ صُلْحًا آمِنًا، فَتَغْزُونَ أَنْتُمْ وَهُمْ عَدُوًّا مِنْ وَرَائِكُمْ، فَتُنْصَرُونَ، وَتَغْنَمُونَ، وَتَسْلَمُونَ، ثُمَّ تَرْجِعُونَ حَتَّى تَنْزِلُوا بِمَرْجٍ ذِي تُلُولٍ، فَيَرْفَعُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ النَّصْرَانِيَّةِ الصَّلِيبَ، فَيَقُولُ: غَلَبَ الصَّلِيبُ، فَيَغْضَبُ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَيَدُقُّهُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَغْدِرُ الرُّومُ، وَتَجْمَعُ لِلْمَلْحَمَةِ**"[1]، ولذا يجب أن نكون على حذر في تحالفنا مع الصين لهذا الأمر وللظلم الكبير الواقع منها على إخواننا في تركستان الشرقية.

([1]) سنن أبي داود (4293)، وصححه الألباني.

9. أتوقع دخول المرحلة الثانية وهي دخول الأقصى وفتحه وزوال الكيان المسخ في غضون عشر سنوات بإذن الله.

وذلك مستنبط من قوله تعالى: {**يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ (٢١) قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (٢٢) قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٣) قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (٢٤) قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٢٥) قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٢٦)**} [المائدة: 21-26].

وقد ذكر جمع من المفسرين أن **التحديد الإلهي لمدة العقوبة بأربعين سنة وذكر ذلك في القرآن يدل على أن هذا التحديد لا بد أن يكون مقصودا لحكمة مفيدة، وهي إخبارنا بأنها المدة التي يحتاجها الجيل للتغيير والتربية وتبدل الأفكار والمفاهيم**، قال ابن خلدون في مقدمته المشهورة: "يظهر من مساق الآية ومفهومها أن حكمة ذلك التِّيه مقصودة، وهي فناء الجيل الذين خرجوا من قبضة الذل والقهر والقوة وتخلّقوا به حتى نشأ في ذلك التِّيه جيل آخر عزيز لا يعرف القهر ولا يُسام بالمذلَّة، فنشأت بذلك عصبية أخرى اقتدروا بها على المطالبة والتغلب، ويظهر لك من ذلك أن الأربعين سنة أقل ما يأتي فيها فناء جيل ونشأة جيل آخر، سبحان الحكيم العليم"[1].

وهو استنباط قرآني مستخلص من النص مباشرة ومبني على قاعدة قرآنية، وهي أن الله تعالى لا يذكر في القرآن عددا ويُحدّده إلا لحكمة وفائدة، كما دلّ عليه عدم تحديده لعدد أصحاب الكهف مع ذكر اختلاف الناس فيه لعدم الفائدة، وهذه الطريقة المتبعة في الاستدلال هي من صلب علم التفسير بل من أشرف علومه فهي تبحث في مقاصد الآيات وهداياتها، وهذا بخلاف طرق الاستنباط البدعية وغير العلمية كاستشراف المستقبل بطريق

([1]) مقدمة ابن خلدون (1/ 188).

العدّ أو حساب الجُمَّل كما يفعله بعض الناس –بقصدٍ حسَن أحيانا– مخالفين لسلف الأمة وعلمائها متبعين للظن الذي لا يغني من الحق شيئا ومعَرِّضين القرآن للشك والريب، والنيةُ الحسنة لا تكفي ولا تنفع صاحبها بدون الاتّباع.

وبإسقاط ذلك على واقعنا فقد **ظهر وانتشر رأي رآه شيخ المجاهدين الإمام أحمد ياسين رحمه الله** كنت قد ذكرته من قبل، وهو أنه توقع بأن تزول دولة الكيان في حدود سنة 2027م بناء على أن احتلال فلسطين كان سنة 1948م وكان حال الأمة والشعب الفلسطيني في ذلك الوقت في حالة متدنية جدا في المستوى الإيماني والجهادي، فاحتاج إلى أربعين سنة قمرية للتغيير فأثمر ذلك الانتفاضة الأولى سنة 1987م في فلسطين وما صاحبها من إحياء لروح الجهاد، ثم يحتاج الأمر إلى أربعين سنة أخرى للنصر وإزالة الكيان أي في 2027م أو 2026م تقريبا.

وهو فهم واستشفاف جدير بالاحترام، ولكن يشوش عليه ثلاثة أمور:

الأول: أنّ المشكلة الفلسطينية واحتلال الأقصى بدأ قبل سنة 1948م بكثير، أي سنة 1917م من قِبَل بريطانيا.

الثاني: المذكور في القرآن أربعون واحدة وليست متسلسلة؛ لأن التسلسل يبعدنا عن المقصود لأن الله تعالى يريد أن يشفيهم من مرض لا أن يتمادى بهم المرض، فهذه **الأربعون هي مزيج من العقاب والعلاج وهو كاف لذلك في علمه تعالى**، فلا يحتاج إلى تكرار لأن الأصل أن الله تعالى يريد أن يعز دينه ويظهره بإعداد جنده وعلاجهم وتطهيرهم، وإلا لأمكن أن نقول إن الأمة قد تحتاج إلى أربعين سنة أخرى نظرا للحضيض الذي وصلت إليه في هذه الأربعين من التطبيع والخنوع والخذلان ونحوه وقد فُقد فيها كثير من مكتسبات الانتفاضة التي كانت في أولها بعمليات السلام والتطبيع التي أجهضتها فندخل في تسلسل بعيد لا فائدة فيه.

الثالث: التغيير ليس مختصا بالشعب الفلسطيني بل بالأمة وصحوتها وتبنيها للجهاد، فإنّ فتح الأقصى لن يكون إلا بذلك كما مر معنا، والانتفاضة كانت حدَثا عظيما غيّر كثيرا من المفاهيم تجاه الجهاد والمقاومة والدِّين، لكن هذا التأثير العميق في الوجدان

والواقع كان خاصا بالشعب الفلسطيني، أما الأمَّة فلم يتغير عندها مفهوم المقاومة والجهاد بشكل جذري مؤثر في الواقع، فالنظرة الشاملة للأمة لا ترينا تغيرا جوهريا.

وعليه فإني أرى **تعديل الفكرة من زاوية ابتداء احتساب الأربعين فقط، فأرى أن الأقرب احتسابها من سنة 1994م حيث تنتهي سنة 2033م تقريبا** (لأن الحساب القمري ينقص سنة تقريبا عن الشمسي كل 30 سنة)، **وذلك من خلال التأمل الدقيق للآيات السابقة كما يلي:**

– **إن الأمة الإسلامية هي خير أمة على الإطلاق**، وهي وارثة الخلافة والإمامة الدينية من بني إسرائيل الذين فُضِّلوا على عالَمي زمانهم ثم كفروا وخانوا وارتدوا على أدبارهم فأورثها الله تعالى المسجد الأقصى والأرض المقدسة، فإن الله تعالى اشترط على بني إسرائيل الإيمان والطاعة لاستحقاقهم الأرض المقدسة كما دل عليه قوله تعالى: **{وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ}** [المائدة: 21]، جاء في التفسير الوسيط لسيد طنطاوي: "للمفسرين أقوال في المراد من الكتابة في قوله تعالى **{ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ}** [المائدة: 21] **أشهرها قولان:**

أولهما: أن معنى {كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ}: أمركم بدخولها وفرضه عليكم كما أمركم بالصلاة والزكاة، فالكَتْب هنا مثله في قوله تعالى **{كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ}** [البقرة: 183]أي: فرض عليكم، وهذا قول قتادة والسُّدِّي.

والثاني: أن معنى {كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ}: قدَّرها لكم وقضى أن تكون مساكن لكم دون الجبارين، وهذا القضاء مشروط بالإيمان وطاعة الأنبياء والجهاد في سبيل نصرة الحق، فإذا لم يكونوا كذلك –وهم لم يكونوا كذلك فعلا– لم يتحقّق لهم التمكين في الأرض المقدسة، ولذا بعد أن أغراهم نبيهم موسى عليه السلام بدخولها حذّرهم من الجبن والعصيان فقال لهم: **{وَلاَ تَرْتَدُّوا على أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ}** قال الآلوسي: "وترتيب الخيبة والخسران على الارتداد يدل على اشتراط الكَتْب بالمجاهدة المترتبة على الإيمان"، وقال ابن عباس: "كانت هبة من الله لهم ثم حرمها سبحانه عليهم بشؤم تمردهم

وعصيانهم"، وقال الفخر الرازي: "إن الوعد بقوله **{كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ}** مشروط بقيد الطاعة، فلما لم يوجد الشرط لا جرم لم يوجد المشروط".

والخلاصة أن الكتابة في قوله تعالى {كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ} إما أن تكون تكليفية، وإما أن تكون كتابة قدرية أي: قضى وقدّر سبحانه أن تكون لكم متى آمنتم وأطعتم، وبنو إسرائيل ما آمنوا وما أطاعوا بل كفروا وعصوا فحرمها سبحانه عليهم، وبذلك ترى أن دعوى اليهود بأن الأرض المقدسة ملك لهم بدليل قوله تعالى **{كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ}** لا أساس لها من الصحة ولا يشهد لها عقل أو نقل". انتهى[1].

وعليه فإن هناك ارتباطا وافتراقا بين هاتين الأمتَين المتوارثتَين يكمن في النقاط التالية:

أولا: اختصاص الأمتين بالأمر بالجهاد والتسليط على الأمم لرفع لواء الله تعالى، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "الله شرع من عذاب الكفار بعد نزول التوراة بأيدي المؤمنين في الجهاد ما لم يكن قبل ذلك حتى إنه قيل لم ينزل بعد التوراة عذاب عام من السماء للأمم كما قال تعالى: **{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ}** [القصص: 43]، فإنه قبل ذلك قد أهلك قوم فرعون وشعيب ولوط وعاد وثمود وغيرهم ولم يهلك الكفار بجهاد المؤمنين، ولما كان موسى أفضل من هؤلاء وكذلك محمد وهما الرسولان المبعوثان بالكتابَين العظيمَين كما قال تعالى: **{إِنَّا أرسلنَا إِلَيْكُم رَسُولا شَاهدا عَلَيْكُم كَمَا أرسلنَا إِلَى فِرْعَوْن رَسُولا}** [المزمل: 15]، وقال تعالى: **{قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مثلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أولم يكفروا بِمَا أُوتى مُوسَى مِنْ قَبْلُ}** إلى قوله: **{قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ}** [القصص: 48-49]، وأمر الله هذين الرسولين بالجهاد على الدين، وشريعةُ محمد أكمل فلهذا كان الجهاد في أمته أعظم منه في غيرهم، قال تعالى: **{وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ**

([1]) التفسير الوسيط لسيد طنطاوي (4/ 113).

بِبَعْضٍ} [محمد: 4]، وقال تعالى للمنافقين: **{وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا}** [التوبة: 52]"[1].

ثانيا: أخبرنا نبينا صلى الله عليه وسلم أن هذه الأمة ستتبع خطوات بني إسرائيل في الانحراف عن الاستقامة، لأن طريق الانحراف وسنن الانحدار واحدة لا تتغير أساسها البعد عن صراط الله تعالى، فقال صلى الله عليه وسلم: "**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، شِبْراً بِشِبْرٍ، وذِرَاعاً بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ**"، قالُوا: **الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟** قالَ: "**فَمَنْ؟**"[2].

ثالثا: سنن الله تعالى لا تتغير ولا تتبدل، فسيصيب هذه الأمة ما أصاب بني إسرائيل من العقوبة عند الابتعاد عن منهج الله تعالى لعلهم يرجعون، قال تعالى: **{فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ}** [الزمر: 51]، **{قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ}** [آل عمران: 137].

رابعا: إن هذه الأمة مرحومة معصومة أكرمت بالرسالة الخاتمة الخالدة فلا تحتاج إلى أنبياء للاستقامة والإصلاح كبني إسرائيل، وعلماء هذه الأمة يقومون مقام أنبياء بني إسرائيل في تجديد الدين مع فارق الرتبة طبعا.

وبتنزيل هذه الحقائق والسنن على الواقع وعلى ضوء الآيات السابقة التي قصّت علينا قصة تِيه بني إسرائيل وغيرها من الآيات التي فصّلت أخبارهم نستنتج أن:

– هذه الأمة الإسلامية الموحِّدة المكلفة بأداء الرسالة الربانية والجهاد في سبيلها يصيبها الوهن والفتور مع طول الأمد والبعد عن منبع النبوة الصافي.

– فيرسل لها الله عز وجل من العلماء والمجاهدين والمصلحين من يجدد لها دينها ويعيدها إلى ذلك المنبع.

([1]) قاعدة في المحبة لابن تيمية (ص 7).

([2]) متفق عليه: صحيح البخاري (3456)، وصحيح مسلم (2669).

– فإن تمادت في البعد عن منهج الله تعالى والتقصير مع بقاء أصل التزام الشرع والجهاد فيها أصابها عقاب التنبيه، ومِن أشَدّه سلب أمانة الأقصى –الذي هو رمز عزها وتفضيلها على سائر الأمم– من يدها للتنبيه على عدم الاستحقاق.

– فإن عادت الأمة إلى ربها ودينها وجهادها أعاد لها أقصاها متى عادت دون تحديد وقت معين كما حصل مع بني إسرائيل ومع هذه الأمة أيضا قُبيل العهد الأيوبي وفي أثنائه.

وإنّ **هذه الأمة ستتمادى في غيّها لتصل إلى أدنى درجات الانحطاط**، وعلامة ذلك تركها للجهاد بالكلية وأن تقول بلسان المقال أو الحال لمن يدعوها إليه من المؤمنين الصادقين: **{فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ}** [المائدة: 24] كما فعلت بنو إسرائيل حذو القُذَّة بالقُذَّة، والحكمة من ذلك أن يرينا الله تعالى مغبَّة البُعد عن منهجه وأنه يصل بالإنسان إلى أدنى درجات الذل والهوان والانحطاط الذي تخلو معه النفس من معاني العزة والكرامة فضلا عن معاني الإيمان وأن عزنا الحقيقي بالتمسك بمنهج الله تعالى، كما أن الجهاد هو حارس التوحيد في القلوب والأرض لأن التوحيد والعبودية الحقة لله تعالى –التي تستوجب معيَّته والنصر والتمكين– لا تكتمل إلا بالجهاد الذي يؤدي إلى الانعتاق من الذل والعبودية لغيره والخشية من سواه سبحانه وينزع الوهن الذي هو حب الدنيا والاطمئنان بها وكراهية الموت من القلوب، فطالما بقيت جذوة الجهاد بقيت حقيقة التوحيد والعبودية الخالصة لله تعالى ماثلة في القلوب.

ولذلك **لا تصل الأمة إلى أدنى مستوياتها إلا بترك الجهاد بالكلية مع البعد عن الدين**، فإذا وصلت الأمة إلى هذا المستوى لم تسلب الأقصى فقط وإنما يُحرَّم عليها تحريما كما حُرِّم على بني إسرائيل، ولكن أمة الرسالة لا تترك دون إعانة ورحمة ربانية لأن المقصود أداء الرسالة وإظهار الدِّين الحق على الدين كله فيحييها الله تعالى بعد تلقينها الدرس والحكمة، **وهذا الإحياء يحتاج إلى أربعين سنة تخوض الأمة خلالها أمواجا عاتية من البلاء لتنشأ خلقا آخر** وتعود كأفضل ما كانت من جديد بعناية وتأديب رباني كما حصل مع بني إسرائيل.

وقد وصلت أمتنا بالفعل إلى أدنى الدرجات في عصرنا هذا –عصر الحكم الجبري– ، ولا أعلم أنها وصلت إلى هذا الحضيض عبر تاريخها كله إلى درجة أنها لم تتخل عن الجهاد بالكلية فقط بل حاربت مبدأ الجهاد وحاربت المجاهدين ولاحقتهم وعذّبَتهم.

وقد يقال إن الأمة قد باعت الأقصى من قبل لأجل مصالح ونزاعات شخصية في عهد الملِكَين الأيوبيَّيْن الكامل والصالح إسماعيل، وهذا ليس مجرد ترك للقتال بل هو خيانة أيضا وهو أشد مما حصل في عصرنا؟ **فأجيب بأن ذلك كان عملا فرديّا أبَتْه الأمة جمعاء فلا ينسب إليها**، والدليل على ذلك أنها سرعان ما انتفضت وحررت الأقصى وانتزعته من أيدي الصليبيين في أقل من عشرين سنة، وهو يدل على ما ذكرت من أنّ الأمة إذا فقدت الأقصى عقوبة دون أن تصل إلى ترك الجهاد بالكلية فإنه يعود إليها ما عادت إلى دينها وجهادها ولا يحرم عليها، **والعمل الفردي الشاذ لا اعتبار له** كما أنّ جريمة السادات بعقد معاهدة كامب ديفيد لم تعمَّم على المسلمين لأنها فردية وقد نبذوها وقاطعوا مصر لأجلها.

وبتطبيق ذلك على واقعنا: فإن الأمة وصلت في العصر الأخير –عصر الحكم الجبري– إلى أدنى مستوياتها إيمانا والتزاما بالشرع ولكن بقيت جذوة من الجهاد متَّقدة فيها ولو على ضعف ودَخَن حتى إنها أعلنت اللاءات الثلاثة المعروفة (لا للاعتراف بإسرائيل، ولا للتفاوض، ولا للصلح معها)، ولو عادت إلى ربها وجاهدت فيه حق الجهاد لعاد إليها أقصاها كما عاد في عهد الملِكَين المذكورَين آنفا، ولكنها استمرت في انحدارها حتى **وصلت إلى أدنى المستويات بإعلانها ترك الجهاد والاعتراف بإسرائيل والتطبيع معها، وقد كان بداية الإعلان عن ذلك في اتفاقية أوسلو سنة 1993م بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية، ثم انتقل هذا الفعل من كونه فعلا فرديَّاً إلى كونه جماعيَّاً بعد إقرار بقية الأنظمة الرسمية ومباركتها وعدم معارضتها له وتساوُقِهم معه بل والتنافس بعد ذلك في تقليده بل والتفوُّق عليه.**

ولذلك قدّرتُ أن يكون ظهور هذا الإقرار والقرار الجماعي الضِّمنيّ بعد سنة من الاتفاقية تقريبا وأنه **التاريخ الذي يمكن أن نبدأ به حساب الأربعين السنة منه** على وجه التقريب لا التحديد والله تعالى أعلم.

ويجب التنبيه والتأكيد بشدّة هنا على أن هذا ليس هو حقيقة قرآنية وإنما هو مجرد ظن وفهم مني يحتمل الخطأ، أما السنن الإلهية فهي يقينية ومثلها لا يزول بمجرد الظن.

وعليه فإن المعول عليه في النصر وفتح الأقصى هو تحقق سنن النصر ونهوض الأمة أو أغلب الشام على الأقل، فإن لم يحصل ذلك في الوقت الذي ذكرته أو قربه فإن ذلك يعني تأخر الفتح حتى تأخذ الأمة بأسباب النصر ويعني خطأ الفهم عندي، فالسُّنَّة الإلهية لا تتغير ولا تخطئ، والأفهام والأفكار تتغير وتصيب وتخطئ.

10. **أتوقع أن تكون مرحلة دخول الأقصى وفتحه القريب بإذن الله تعالى عن طريق طوفان ثان يشبه الأول**؛ لأن الله تعالى جرأ المجاهدين عليه وأظهر به نقاط ضعف اليهود ومن أين يمكن أن يُؤتَوا ويُهزموا بأقل الإمكانيات فجعله مَثَلا وتوطئة، ولقوله تعالى: **{وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ}** [الإسراء: 7]، وقد بيّن سبحانه كيف دخلوه فقال: **{فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ}** [الإسراء: 5]، والجَوْس هو طلب الشيء باستقصاء واهتمام، فالمعنى أن **الدخول الثاني يكون كذلك بالتفتيش الحثيث عن الأحياء** بين المساكن والديار لأجل القتل والأسر، وهو شبيه بما حصل في معركة الطوفان ولكن **لا يشترط أن يكون انطلاقه من نفس المكان** أي من غزة بل قد يكون منها أو من غيرها من دول الشام المحيطة بالكيان أو من عدّة أماكن معاً.

ولكن الطوفان الثاني سيختلف عن الأول في حُسن اختيار التوقيت، فإن **مشكلة الطوفان الأول كانت في التوقيت أساسا، والتوقيت الخاطئ هو الذي أدّى إلى مردود كارثي غير متوقع**، والسبب الأساسي في الخطأ في تقدير الوقت المناسب هو تغليب النظر المادي على الشرعي وربما بما أصاب بعض المجاهدين والقادة قُبيله من عُجب، فتوقيت الطوفان الثاني القادم بإذن الله تعالى لا ينبغي أن يعتمد على الاغترار بالكثرة، ولا على القوة والإعداد المادي فقط –مع كونه سبباً لا بد من الأخذ به–، ولا على مَدَد الرّافضة المخذولين، ولا حتى على بعض الآراء الشرعية الظّنّية كالتحديد التقريبي الذي ذكرته آنفا –مع إمكان الاستئناس بها–، وإنما ينبغي أن يكون مرتكزا أساسا إلى النظرة الشرعية والواقعية الواعية على ضوء كل ما ذكرناه من السنن المحكمة المستخلصة من نور الوحي فلا يَنْقضّ إلا في اللحظة المناسبة والتوقيت الصحيح شرعاً حتى لا يرتدّ علينا مرة ثانية لا قدّر الله.

وهذه اللحظة تحين –بعد الإعداد المادي والعسكري بقدر المستطاع–:

– **عندما تبدأ الأمة بالنُّهوض والتخلص من طُغاتها**، لا سيّما دول الطوق التي يُمثّل أهل السنة الصادقون المجاهدون فيها الظّهير والمَدَد والحليف والمخزون الاستراتيجي والمحور الفَعّال الحقيقي لنا لأن الأقصى ترمومتر الأمة كما سبق.

– **وعندما يستقيم أيضا جند الطوفان على أمر الله تعالى وشرعه** فيُقيمونه ويُحكّمونه ويُحقّقون في أنفسهم عوامل النصر والتمكين والإمامة على أكمل وجه ممكن ليستحقوا النصر الكامل من الله تعالى كما مرّ.

– **وعندما تتطهر رايتهم فتكون إسلامية خالصة نقية ليس لها غاية إلا إعلاء كلمة الله تعالى** سالمة من أي شائبة تشوبها، كلَوثَةِ عَلمانية من تنحيةِ شرعٍ وتغليبِ سياسةٍ أو ركونٍ إلى الدنيا وترفها أو إلى الظلَمة وأهل الأهواء والبدع والضلال كالروافض.

– **وغير ذلك من أسباب النصر الشرعية،** فإنما الصراع صراع رايات وكلمات فمن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله، ومن كان في سبيل الله فإنّ الله تعالى معه وناصره ومن ينصره الله فلا غالب له.

وعندها فقط يحق لهؤلاء المجاهدين الذين أخذوا بكل هذه الأسباب أن يقال في حقهم: {ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [المائدة: 23]، وهو أمر قريب بإذن الله تعالى كما بيّنت، وما ذلك على الله بعزيز.

القسم الثالث: الحلول

هذه هي **خلاصة هذه الرسالة وزُبدتها**، إذ إن المقصود من التأملات والتوقعات الوصول إلى الحل والمخرج الذي يفضي بنا إلى **تحقيق الأهداف والآمال**، ولأجل ذلك يجب أولا أن **نحدد الهدف**، ثم نتفق على **تحديد الخلل** الذي يمنعنا من الوصول إليه، ومن ثَمّ **نضع العلاج والآليات المناسبة للوصول**، وكل ذلك لا بد أن يكون من خلال الاستضاءة بالوحي الذي هو السبيل الأوحد للهداية والرشاد والضمان الأوحد لعدم التِّيه والضلال، مع اليقين التام أنه ما من أمر تحتاج إليه الأمة لهدايتها وعزتها وعُلوّ ذكرها إلا وفي الوحي منه ذكْر مصداقا لقوله تعالى: **{لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ}** [الأنبياء: 10]، ولقوله صلى الله عليه وسلم: "**أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ يُقَرِّبُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ وَيُبْعِدُكُمْ مِنَ النَّارِ إِلَّا قَدْ أَمَرْتُكُمْ بِهِ، وَلَيْسَ شَيْءٌ يُقَرِّبُكُمْ مِنَ النَّارِ وَيُبْعِدُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا قَدْ نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ**"[1].

([1]) مصنف ابن أبي شيبة (34332)، وصححه الألباني.

أولا: تحديد الهدف:

هناك **هدف واحد استراتيجي يمثل الغاية العظمى، وهدف واحد مركزي مرحلي هو كالوسيلة بالنسبة لتلك الغاية،** يجب التركيز عليهما وعدم الحيدة عنهما والتخطيط والبناء على أساسهما عند كل الحركات الإسلامية وكل العاملين الذين يحملون هَمّ الإسلام في العصر الحديث.

أما **الهدف الأبعد الذي يمثل الغاية فهو: رفع لواء الله تعالى وتوحيده وتعظيمه في النفوس وفي الأرض على كل الأحوال** لتكون كلمته سبحانه هي العليا وكلمة كل ما سواه من الباطل هي السفلى، لأن هذه هي المهمة الأساسية للإنسان وهي المعنى الأشمل للخلافة والعبادة التي خُلق لأجلها في الأرض.

وأما **الهدف المرحلي الأهم فهو: إقامة الخلافة الإسلامية الراشدة،** والمقصود بالخلافة هنا الحكم بما أنزل الله وحراسة الدين وسياسة الدنيا به، وهو وسيلة من وسائل تحقيق الخلافة الأولى بمعناها الأشمل والأعم، ولكن هذه الوسيلة هي من أهم وسائل تحقيق تلك الخلافة لأن الله تعالى يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن، **فكأن الخلافة الأولى خلافة لله تعالى** بإمضاء أحكامه وأوامره كلها –كما ذكر العلماء– **فهي مقصودة لذاتها، والثانية خلافة للنبي صلى الله عليه وسلم** في حيثية الحكم لتحقيق الخلافة المقصودة على أكمل وجه **فهي وسيلة لها،** ولذلك سُمّي أبو بكر رضي الله عنه خليفة رسول الله ثم سُمّي عمر رضي الله عنه خليفة خليفة رسول الله فلما رأوا اللقب سيطول سُمّي بأمير المؤمنين.

وأهمية التركيز على هذا الهدف المرحلي تكمن في أنه يمثل قدَرا إلهيّا حتميّا قد آن أوانه وكنزا استراتيجيا أهداه لنا نبينا صلى الله عليه وسلم قد حان نواله، ولا يليق بمؤمن عاقل يحمل همّ الإسلام أن يحيد عنه فضلا عن الجماعات والحركات الإسلامية الوازنة، فقد مر معنا تبشير الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم لنا بالخلافة الراشدة الثانية التي ستكون على منهاج الأولى بعد الحكم الجبري الذي يتكادمون عليه تكادم الحُمُر وأنها ستكون في الأرض المقدسة، وهي نصوص صحيحة ظاهرة لا لبس فيها، وقد تحققت المراحل الأولى التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم بحذافيرها من الخلافة التي

على منهاج النبوة ثم الملك العاضّ ثم الحكم الجبري الذي نحن فيه ولم تمرّ الأمة بمثله، **وستأتي المرحلة الأخيرة لا محالة وهي خلافة على منهاج النبوة.**

ولذلك يخطئ من يحاول التهرب من النص على هذه الخلافة الثانية لهوى غربيّ في نفسه فيؤوّلها بخلافة عمر بن عبد العزيز رحمه الله، وهو تأويل بعيد غير مقبول؛ لأنه لو كان صوابا لذكر النبي صلى الله عليه وسلم المرحلة التي بعده وهي ملك عاضّ أيضا وهو الأطول في حياة الأمة والذي انتهى بانتهاء الخلافة العثمانية في القرن الماضي فقط، فلا يعقل ألا يذكره النبي صلى الله عليه وسلم أبدا ثم لا يذكر كذلك الحكم الجبري الذي نحن فيه مع أنه صلى الله عليه وسلم يذكر مراحل الأمة.

ومن ظن أن المقصود هو عمر بن عبد العزيز رحمه الله من علماء زمانه فهو معذور لأنه لم يعلم حال الأمة بعد كيف سيكون، لكن الناظر إلى تاريخها الطويل من الإطلالة المعاصرة يعلم يقينا أن **الحكم الجبريّ المنصوص عليه هو المرحلة المعاصرة التي لا مثيل لها في تاريخ الأمة** كما ذكرت لا قبل عمر رحمه الله ولا بعده؛ لأنها **المرحلة الوحيدة التي لم تَحكم فيها الأمة بالشّرع** وبالتالي لم تغلب فيها الرحمة، وأن المرحلة السابقة كلها (ما بين الخلافة الراشدة الأولى وهذا الحكم الجبري) هي في طابعها الكلي –بغض النظر عن بعض الفترات القليلة الاستثنائية التي لم تُغيّر المجرى العام– ملك ورحمة كما جاء في الرواية الثانية أي عاضّ لكن تَغلب عليه الرحمة لأنه يحكم بالشرع.

ويخطئ أيضا من يظن كذلك أن المراد بالخلافة الراشدة الثانية زمن المهدي –يرحمه الله– وعيسى –عليه السلام–؛ لِما بينت سابقا من الأدلة عند الحديث عن تعانق السنن من أن ذلك كائن قبلهما بإذن الله تعالى.

ثانيا: تحديد الخلل:

أساس الخلل هو الحَيدة عن الغاية والهدف الذين حددناهما آنفا، ويمكن تحديد الخلل في ثلاث نقاط بينتها سابقا وسيأتي المزيد، وهي:

1. عدم القوة في الدين التي هي حق اللواء وضريبته على حملته لا يستحقون رفعه والارتفاع به بدونها.

2. اعتبار الحكم والسلطة غاية لا مجرد وسيلة.

3. الخطأ والغبش في بعض المفاهيم والتصورات مما يؤثر أحيانا على نصاعة الراية ووضوحها.

ويبرز هنا سؤال وهو: **هل وقف الحرب يُعدّ انتصارا لغزة برغم كل ما أصابها؟**

وإن كان نصرا فكيف يُجمع بينه وبين تأصيل الحرب على أنها عقاب كما سبق[1]**؟**

والجواب: نعم بكل تأكيد هو انتصار لكنه جزئي مرحلي وليس انتصارا كاملا، فهناك فرق بين مطلق النصر وبين التمكين الذي هو تمام النصر:

فالنصر يتحقق بغلبة إرادة المنتصر وكلمته، لأن الحرب هي حرب رايات وكلمات كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في المجاهد في سبيل الله أنه "**مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا**"، وقد حققت غزة ومجاهدوها ذلك فإن أهدافهم المعلنة هي إنهاء الحرب وانسحاب اليهود من القطاع وإتمام صفقة تبادل أسرى جادة **وقد تحققت جميعا،** وأهداف العدو المعلنة كانت القضاء على المقاومة وإطلاق أسراهم **ولم يتحقق منها شيء،** فهذا نصر لا لبس فيه للمقاومة، كما أن صمودها الأسطوري وثباتها وعدم انكسارها وشجاعتها التي شهد بها العالم كله برغم التفاوت الهائل اللامحدود في الإمكانيات والقوة تؤكد هذا النصر وتعززه، وأما **الخسائر البشرية والمادية فلا معيارية لها في ميزان النصر والهزيمة** لأنها من ضرورات الحرب أصلا، وقد كانت خسائر روسيا وفرنسا وبريطانيا في الحرب

([1]) مناسبة هذه الفقرة هنا هو صدور هذا الجزء من البحث بعد أيام من توقيع اتفاق وقف إطلاق النار بين المجاهدين والصهاينة، وذلك قبل أن يرتد اليهود –لعنهم الله– على أعقابهم ويخرقوا الاتفاق في ليلة الغدر 19/ 3/ 2025م الموافق لليلة 19 رمضان 1446هـ.

العالمية الثانية لا تعد ولا تحصى وأكبر من خسائر عدوها ولم يمنع ذلك من كونها منتصرة.

أما التمكين الذي يعني النصر الكامل فإنه لا يكتفى فيه بغلبة الإرادة والكلمة، بل لا يتم إلا بإخضاع العدو وإعجازه، ولذلك كان صلى الله عليه وسلم إذا انتصر في معركة بقي في أرضها ثلاثة أيام لإثبات التمكُّن والنصر التام، وفي هذه الحرب لم نتمكن من ذلك، **وسنتمكن منه قريبا عند دخول الأقصى وفتحه بإذن الله تعالى.**

وهذا النصر الجزئي يشبه ما حصل في أحد من عدم الانكسار برغم عِظَم المصاب، فإن **هدف المشركين** كان القضاء على الإسلام بالقضاء على النبي صلى الله عليه وسلم وأتباعه وكسرهم ودخول المدينة واستئصالهم والثأر من بدر **فلم يمكنهم** إلا الثأر وهو هدف ثانوي بالنسبة للأول، وكان **هدف النبي صلى الله عليه وسلم** الدفاع ومنع المدينة وأهلها لأنها كانت حرب دَفْع لا طلَب وقد **تحقّق له ذلك** وانسحب العدو وهربوا من أمامه في حمراء الأسد ولكنه لم يستطع إخضاعهم كما حصل في بدر.

ولا بد هنا من الانتباه لأمرين:

الأول: أنه لا تعارض بين النصر الجزئي والعقاب؛ لأن العقاب التأديبي لا ينافي الرحمة تماما بل هو من مقتضياتها كما بينت سابقا، فهو نصر مشوب بالعقاب ولذا كان مُغمَّساً بالأسى والمصائب العظام، فينبغي أن يكون التركيز فيه على شكر الله أنْ رفع البلاء كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم بعد أحد حيث جمع الصحابة رضي الله عنهم لما انكفأ المشركون وصَفَّهم خلفه وقال: "**اسْتَوُوا حَتَّى أُثْنِيَ عَلَى رَبِّي**"[1]، لأنه سبحانه رحمهم ورفع عنهم البلاء وعلى تجاوز أسباب العقاب وإصلاحها وعلى تضميد الجراح ومواساة الناس وإعانتهم وتثبيتهم.

الثاني: أنه يجب ألا ننسى النصر الحقيقي الأعظم وهو فهم مراد الله والاستقامة على أمره تعالى، فلا يصيبنا العجب ونُقِرّ بالخلل الذي استوجب العقاب ونُصحّحه كما حصل مع الصحابة رضي بالله عنهم بعد أُحد، فإن الوحي لم يشغلهم في جدلية هل ما

([1]) الأدب المفرد للبخاري (699)، وصححه الألباني.

حصل معهم نصر أو هزيمة بل ركز على الأهم وهو تبيين الخَلَل الذي استوجب ما أصابهم من عقاب ليُصلحوه، فكان هذا هو همّهم فإن ذلك هو الذي يحفظ النصر المادي من الضياع ويُنميه ويُثمره وهو المُفضي إلى الفوز العظيم الحقيقي وهو رضا الله تعالى والجنة {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١٣)**} [الصف: 10-13].

وإنَّ أخشى ما أخشاه أن تغترَّ الحركة ببعض صور النصر والعزة والإنجازات الكبيرة بعد انتهاء الحرب وأهمها الصمود العظيم الذي هو حقّاً رمز عزّ وشرف في سجلّها وتاريخها بل في سجلّ الأمّة كلها بما سطّره من بطولات وتضحيات نادرة، ولكن لا ينبغي أن ننسى للحظة أن التثبيت من الله تعالى وأنه لو وكلنا إلى أنفسنا لضعنا وفشِلنا، فكل من عايش الحرب يعلم أنا وصلنا إلى حالة من الضعف والعجز تقارب الفناء والانهيار على كل الأصعدة لولا تثبيت الله تعالى ولطفه ومنّه ورحمته وكرمه، وهذا الصمود إنما هو نعمة مَنّ الله بها علينا ليكون سببا للرحمة ورفع العقاب كما فعل سبحانه مع المؤمنين في أحد، وذلك كله يستوجب عظيم الشكر، وأكبر مظاهر الشكر الاستقامة على منهج الله تعالى وإقامة شرعه ودينه في النفس والأرض وتعبيد النفس والناس لله تعالى على أكمل وجه ممكن.

فأخشى ما أخشاه واللهِ أن نغفل عن هذا المعنى مرة أخرى فيولّد الإنجاز ومظاهر العزة التي يرجع الفضل كله فيها إلى الله تعالى في النفوس العُجب ونغفل عن شكره تعالى بتأدية حق لوائه ورفعه وإقامة أمره ودينه بقوة كما تكرر في الحروب السابقة ونعود إلى الدائرة المفرغة من جديد، **وهذه الحرب -بما فيها من مآسٍ ونكبات عظام- إن لم توقظنا فمتى نستيقظ؟!**

وأخشى ما أخشاه أيضا أن ينسينا العُجب والاغترار كذلك حقيقة العقاب التي بيّنْتها والتي ظهرت جلية في هذه الحرب في صورة المصائب الكبرى والرعب والقتل والدمار

الذي عشناه لأشهر طويلة؛ فيصرفنا ذلك عن الإصلاح المقصود من العقاب وهي مصيبة لا تقل عن مصيبة البلاء نفسه، فنحن ما زلنا في الابتلاء، بل إن بلاء السراء أشد من بلاء الضراء فيجب الانتباه لذلك، **ولن نفلح وننجح إلا إذا استيقظنا وعرفنا الخلل واعترفنا به وأصلحناه.**

ولا أظن أحدا يرضى أن يُسمّي ما أصاب المؤمنين في أحد عقابا بسبب فشلهم في تطبيق أمر واحد لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى **{حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ}** [آل عمران: 152]، **{أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}** [آل عمران: 165] وهم أفضل خلق الله تعالى بعد الأنبياء وفيهم حبيب الله صلى الله عليه وسلم ثم يأباه لما أصاب الحركة في الحرب بسبب فشلها في تطبيق كثير من شرع الله تعالى إلا من تعصُّب وعُجب، وسأزيد ذلك بيانا الآن أيضا لما أخشاه من الاغترار والنسيان، فإن **من علامات العقاب بالإضافة لما سبق بيانه:**

1. **ضعف التأييد السابق ووجود علامات الخذلان بسبب اشتمال العقاب على شيء من الغضب والعتاب،** فلا يمكن أن يكون ما حدث ليونس عليه الصلاة والسلام وما حصل في أُحُد علامة على الرضا، وضعفُ التأييد ليونس عليه الصلاة والسلام من صوره انقطاع الوحي عنه قبل عودته مرة أخرى لمّا قُبِلت توبته، وفي أُحد قال تعالى: **{ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ}** [آل عمران: 152].

أما ابتلاء الرفع المَحْض فهو وإن كان فيه شيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات إلا أن فيه رحمة وتأييدا وتمكينا وزيادة إيمان وتسليم وتماسكا والتفافا حول القيادة المؤمنة لا هلاكا وخذلانا ونقصا ونفورا عند العوام والخواص وإنقاصا للتمكين كما حصل في هذه الحرب، فعلامة التأييد والرحمة الزيادة والسير نحو الكمال والتمام كما قال تعالى: **{وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا}** [الأحزاب: 22]، وكما قال هرقل لأبي

سفيان رضي الله عنه حين سأله عن أتباع النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال: "**وَسَأَلْتُكَ أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ، فَذَكَرْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ، وَكَذَلِكَ أَمْرُ الْإِيمَانِ حَتَّى يَتِمَّ**"[1].

2. **الغرض من بلاء الرفع المَحض الرحمةُ والرفعةُ مطلقا، وسببه الحب والرضا من الله تعالى، وعلامة الحب والرضا التوفيق المادي والمعنوي في المآل بعد البلاء**، ولقد طال حكم الحركة للقطاع ومرت بالعديد من الابتلاءات فلم تزدد إلا ضعفا وفاقة وبعدا عن قلوب الناس (باستثناء الجانب العسكري فقط)، وظهر ذلك جليا في ضعف مؤسساتها وإفلاس بعضها وانتشار الفقر والفساد في البلد وتذمُّر الناس، ولو حكمت بالشرع وبما يرضي الله لرزقنا الله تعالى كما وعدنا: {**وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ**} [المائدة: 66] وبذلك كنا نَعِد الناس قبل الانتخابات، ولَفكّ الله الحصار ولقدَّر أسبابه ولجعل لنا مخرجا كما حصل أيام مرسي رحمه الله {**وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ** .. (٣)} [الطلاق: 2-3]، ولَالتَفَّ الناس حول الحركة يفدونها بأرواحهم كما كان الأمر سابقا لأنه من علامات رضا الله تعالى وضع القبول في قلوب الرّعيّة، ولا يعود الخير والتوفيق إلا بالتوبة والأوبة والاستقامة على أمر الله تعالى.

3. **سلب النعمة**، وهو دليل على العقاب {**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**} [الأنفال: 53]، كما أنّ سبب العقاب وسلب النِّعمة هو عدم شكر هذه النعمة في الغالب، فهو يدل على مكمن الخلل من خلال معرفة النعمة المسلوبة، **والنعمة هنا كانت التمكين الذي لم نؤد شكره** بالإخلال بشروطه التي يجمعها إقامة أمر الله تعالى ودينه وبعدم تسخيره في سبيل الطاعة المقصودة منه وهي إعلاء كلمة الله تعالى، **وكذلك نعمة الأمن** التي كان يَنعم بها الشعب قبل الحرب فلم يؤد شكرها أيضا فظهر فيه شيء من البعد عن الدين والخَبَث والركون إلى الدنيا والسخط على أقدار الله تعالى في غزة.

([1]) متفق عليه: صحيح البخاري (7)، وصحيح مسلم (1773).

4. **ضعف الرضا والثقة بالقيادة والانجذاب نحوها من أبناء الحركة وعوامّ الناس في الآونة الأخيرة** لا سيّما بعد الانتخابات الأخيرة في الحركة، والسُّنة الربّانيّة قاضية بأن الثّقة بالقيادة والتسليم لها يزداد كلما رأى الجند الصّدق والقوّة في تمسّك قيادتهم بالحقّ وتضعف بضعفه، قال تعالى: **{وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا}** [الأحزاب: 22]، وهذا من مؤشرات العقاب.

5. أهم العلامات مطلقا على عقاب التنبيه **هو وجود أصل الخلل والانحراف عن السداد وهو البعد عن التزام الكتاب والسنة وتطبيق الشرع ظاهرا وباطنا**، وهذه لا يعلمها إلا أهل العلم فهم لا يحتاجون إلى علامات أخرى، قال ابن القيم عن قول الله تعالى–في المشركين– مخاطباً نبيه صلى الله عليه وسلم: "وتأمل قوله تعالى لنبيِّه: **{وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ}** [الأنفال: 33] كيف يفهم منه أنه إذا كان وجود بدنه وذاته فيهم دفع عنهم البلاء وهم أعداؤه، فكيف وجود سرِّه والإيمان به ومحبته، ووجود ما جاء به إذا كان في قوم أو كان في شخص؛ أفليس دفعه عنهم بطريق الأولى والأحرى؟"[1].

وهذا يبيّن فضل أهل العلم لأنهم الهُداة والأدِلّاء فهم يعلمون بالبلاء قبل وقوعه ويُحذّرون منه، وهذا ما حصل عندنا في غزة حيث حذّر كثير من أهل العلم قيادة الحركة والحكومة من العقاب نتيجة عدم تطبيق الشرع بقدر الإمكان بل وفِعل ما يخالفه إرضاء للحاضنة الشعبية أو للمصالح المادية أحيانا، وقد رأينا الآثار الأولية لذلك والإرهاصات الأولية للعقاب عيانا في تباعد الناس قبل الحرب عن الالتزام الشرعي والثقة بالإسلاميين، وترى ذلك واضحا في تبرّج النساء وبدء ظهور الحفلات المختلطة الماجنة فإن أول مظاهر الفساد وأوضحه هو مظهر النساء في الشوارع، بل إن الفساد وتغيّر الحال استشرى أيضا حتى في مؤسسات الحركة التي كانت حصنا حصينا يمثل الالتزام في أعلى صوره كالجامعة الإسلامية مثلا، وتراه كذلك في تدني مستوى التربية والعلم الشرعي عند أبناء الحركة حتى المجاهدين إلى درجة مخيفة غير مسبوقة لا يعرف فيها بعضهم أركان الصلاة أو شروطها أو أن يذكر أسماء بعض أمهات المؤمنين كما كان يشتكي الإخوة

([1]) إعلام الموقعين لابن القيم (2/ 398).

المسؤولون حتى اضطُرّ المجاهدون إلى تعزيز الجانب العلمي والتربوي ذاتيّا –رغم انشغالهم– وعدم الاعتماد على الجناح التربوي والدعوي المختص في الحركة والتي لم تُنشئ مدرسة شرعية واحدة في القطاع كله، هذا برغم الإمهال الكبير من الله تعالى على مدار أربعة عشر عاما، ولا أنسى تحذير بعض العلماء لهم كالدكتور وصفي أبو زيد حفظه الله بعد تطبيعهم مع النظام السوري المجرم البائد من شؤم هذا التطبيع وأنهم يخافون عليهم أن يصيبهم من شؤم ذلك قريب مما أصاب الرئيس السوداني المخلوع عمر البشير بعد تطبيعه معه، وقد حصل ما توقعوه بهذه الحرب الشعواء وكفى بها عقوبة وشؤما وسقط النظام المجرم الذي هرولوا نحوه وضعف المحور الرافضي الذي ركنوا إليه وتخلَّى عنهم أوّلا وآخرا، **وكفى بذلك عبرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.**

فأمر هذه الحرب الشعواء والله جَلَل ومؤشّر ومنبّه خطير جدّ خطير لا يحتمل التعصب المُعمي عن إبصار الحق، فكلنا محب يريد الخير والعزة والرفعة للحركة والمجاهدين، والنصح المؤلم خير من المدح المُطغي.

ثالثا: الحل والعلاج:

أولا: على المستوى الفردي:

– على عوامّ الناس عامّة وأفراد الحركة الإسلامية خاصة **الاستقامة على دين الله تعالى بقدر المستطاع ودعوة العوام لذلك ومحاسبة أفراد الحركة عليه محاسبة شديدة** لأن هذه هي الخطوة الأولى للتغيير، قال تعالى: **{إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ}** [الرعد: 11].

– **على المجاهدين ألّا يقعدوا ويتأثروا بأي خلل قد يصيب الحركة فضلا عن أن ينساقوا معه إلا إن كان الخلل في الراية** لأن الخلل في الراية هو المؤثر، قال صلى الله عليه وسلم: "**مَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَدْعُو عَصَبِيَّةً أَوْ يَنْصُرُ عَصَبِيَّةً فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ**"[1]، فالقبول منوط بالراية المحمولة وهي التي تُحدّد مصير من يسير خلفها لأنها المقصودة أساسا، ولذلك فإن الطاعة والنُّصرة في الحقيقة إنما هي للراية التي يرفعها القائد لا لذات القائد، وشرعيتُه إنما تستمد من الراية التي يرفعها فإن كانت إسلامية صحيحة وجبت طاعته لأجلها وإلا فلا، **فعين المجاهد على الراية المرفوعة فإن كانت إسلامية صحيحة أطاع قائده وصبر عليه لأجلها وإلا فارقها.**

فأول ما على المجاهد البحث والنظر في الراية ألا يكون فيها انحراف كتشدُّد وغُلوّ أو بدعة أو انتقاص من شمولية الإسلام ونحو ذلك، **ورايةُ الإخوان في المجمل راية سليمة لا إشكال في ذاتها كما صاغها الإمام المؤسس حسن البنا رحمه الله، وإنما الخلل والإشكال في التنفيذ والمنهج والسبيل المسلوك، وحركة حماس كذلك وهي على ما فيها فإني لا أعلم هنا في فلسطين راية تجمع بين الحق والجهاد والشوكة أفضل منها.**

والحل بالنسبة للمجاهد أمام الأخطاء إذا كانت الراية سليمة في ذاتها –ولا يوجد راية أخرى أفضل منها وأقوم سبيلا– ليس الترك وخسارة الجهاد الذي هو سَنام الإسلام؛ وإنما **الصبر** كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال: "**مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئاً يَكْرَهُهُ**

([1]) صحيح مسلم (1850).

فَلْيَصْبِرْ"[1]، وقال: "**إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ**"[2]، **وعليه كذلك النصيحة** فإنه إن أخلص النُّصح أدّى ما عليه ولم يُصبه إثم الخلل ولم يحاسَب عليه وفي الوقت نفسه لم يخسر الجهاد، قال صلى الله عليه وسلم: "**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**"، قُلْنا لِمَنْ؟ قَالَ: "**لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**"[3]، وقال أبو ذر رضي الله عنه وهو يحكي بعض وصايا النبي صلى الله عليه وسلم له: "**وَأَوْصَانِي أَنْ أَقُولَ الْحَقَّ وَإِنْ كَانَ مُرًّا**"[4]، **والنصيحة تشمل القول** كما في الحديث الأخير **والعمل** كما في قوله صلى الله عليه وسلم: "**انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا**"، فقال رجل: يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوما، أفرأيت إذا كان ظالما كيف أنصره؟ قَالَ: "**تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ، فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُه**"[5]، فلا بدّ من السعي للإصلاح ومساندة المصلحين داخل الحركة بكل قوّة كما سيأتي.

وقد رأيت قبل الحرب وأثناءها ثلاثة أنماط من الناس ليسوا على الجادة:

قسم قليل من المجاهدين لم يصبروا على تكاليف الجهاد ولأوائه وهالتهُ قوة العدوّ أو جذبته الدنيا؛ فقعدوا أو نزحوا للجنوب دون عذر فخسروا خسرانا كبيرا (وأُنوّه هنا على حرمة تَعيِير من نزَح من أهل الشمال إلى الجنوب من تاب منهم وندم أو لم يظهر حاله؛ لأن الأصل حمْل حال المسلم على الخير، والتائب يحرم تعييره بذنبه الذي تاب منه، وإنما نحمد الله تعالى ونشكره على العافية ونستغفر الله لهم).

وقسم ينظرون بعين واحدة فرأوا خلَلا في الحركة أو عند المجاهدين فامتهنوا النَّقد الهدّام دون حلول أو معالجة وبِناء، وهؤلاء ما أنصفوا إذ لم يروا الجانب المشرق والخير العظيم الذي عليه الحركة والمجاهدون، والحق والخير فيهم غالب بفضل الله تعالى، فأولئك يُنفِّرون من الحق أكثر مما يُحذِّرون من الباطل ويميلون نحو التشدُّد والغُلوّ.

([1]) متفق عليه: صحيح البخاري (7054)، وصحيح مسلم (1849).

([2]) متفق عليه: صحيح البخاري (4330)، وصحيح مسلم (1061).

([3]) صحيح مسلم (55).

([4]) صحيح ابن حبان (449)، وصححه الأرنؤوط.

([5]) صحيح البخاري (6952).

وقسم لم يحتمل آثار الجهاد من القتل والدمار لا سيما في هذه الحرب وظن أن ذلك بسبب الجهاد ولم يعلم أن ذلك ابتلاء وعقاب للتطهير من الذنوب والخلل وأن الجهاد ذروة سنام الخير و"**إِنَّ الْخَيْرَ لا يَأْتِي إِلاَّ بِالْخَيْرِ**"[1] كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم؛ **فآثر السلامة والتسليم وانتقد الجهاد نفسه** ونسي أن هذه هي طبيعة الجهاد وقد كتبه الله علينا وهو يعلم أنه كُرْه لنا وأنه سيترتّب عليه شيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات ولكنه خير لنا في المحصلة **{كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}** [البقرة: 216]، وإنما الجهاد هو الذي سيرفع عنا البلاء والمصائب وينهي الحرب بعزة وشموخ بإذن الله تعالى.

والصواب هو العدل، فنرى الخلل والإحسان معا، ونَنْقُد لنُصْلِح ونسعى لنعالج دون سكوت عن الحق بالصبر والنصيحة بالقول والعمل كما سبق، مع الحفاظ على الخير الموجود وتثبيته ودعمه.

ثانيا: على مستوى الحركة الإسلامية:

ذكرت أن الشام هي مركز الأحداث العالمية، والوحي فصّل لنا من أخبارها الغيبية ما نستطيع أن نفهم من خلاله الخريطة السياسية العالمية ونستشِفّ المستقبل ونعمل له، ولذا فإني أقول إنّ هذه **الأخبار النبوية الصادقة هي أعظم كنز استراتيجي نملكه،** ولكنّ **مفتاح هذا الكنز هو اليقين أولا، ثم القوة والحزم والدِّقّة في معرفة شيفرة القُفل واتّباعها؛** لأنّ نِسيان أيّ رقم منها يَحُول بيننا وبين الوصول إلى المطلوب، والشيفرة هنا هي العِلم الذي نزل به الوحي واتّباعها هو الطريق المستقيم الذي هو أدقّ من الشعر وأَحدّ من السيف.

وإنّ من أعظم ما وَرَد وأقربه مما يخص الشام هو خَبَر الخلافة الراشدة الثانية التي نحن على أعتابها اليوم: عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رضي الله عنه قَالَ: قال رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "**تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا،**

([1]) صحيح البخاري (2842).

ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا (وفي رواية: **مُلْكًا وَرَحْمَةً**)، **فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً** (وفي رواية: **يَتَكادَمُونَ عَلَيْهِ تَكادُمَ الْحُمُرِ، فَعَلَيْكُمْ بِالْجِهَادِ، وَإِنَّ أَفْضَلَ جهادِكُمُ الرِّبَاطُ، وَإِنَّ أَفْضَلَ رباطِكُمْ عَسْقَلانُ**)، **فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ نُبُوَّةٍ**"، ثُمَّ سَكَتَ[1].

والعاقل يرسم خططه ويسير وِفق القدَر الذي يرسمه الوحي ولا يعاكسه أو يخالفه؛ لأنه لن يغلبه وسيُتعب نفسه ويضرّ بها دون أدنى فائدة لأنه لن يكون إلا ما كتبه الله تعالى، **والخلافة الإسلامية الراشدة تتطلب حركة إسلامية راشدة تسبقها في البلاد الإسلامية تسير على منهاج النبوة وعلى منهاج الخلافة الراشدة الأولى** لأنه المنهج الذي حدَّده النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث، ثم **تتكوَّن الخلافة مِن توَحُّد هذه الجماعات والدول، وعليه فإن توحيد المنهج هو الأولوية الآن**، وأيّ منهج تسلكه هذه الجماعات يخالف منهج الخلافة الراشدة الأولى فإنه لن يُنتج إلا الإعاقة عن الوصول، **ومنهج القوة هو أكبر ضامن للتوحد** لأنه يعني أخذ الدين كله وإحاطته من جميع جوانبه دون نقص في أي جانب منه، وهذا هو معيار الوحدة خلف من ينتهج هذا المنهج لأنه سيرضي كل أطياف المؤمنين الصادقين وتوجهاتهم، وهو الذي فهمه شيخ الإسلام ابن تيمية من قوله تعالى: **{فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ}** [المائدة: 14].

وهذه الخلافة ستكون متزامنة مع دخول المسجد الأقصى وفتحه إما قبله بقليل أو بعده بقليل –كما مر معنا–، ولِكون هذه الخلافة في الشام فإنّ **أهمّ الحركات التي يجب أن تتجه إليها الأنظار والجهود بعد فتح سوريا هي الحركة الإسلامية في فلسطين والأُردُنّ ولبنان**، ولا سيّما في فلسطين لأنها رأس الحربة، ثم في العراق واليمن ومصر كما مر سابقا، وعليه فإنّ على الحركة الإسلامية عامّة والحركة في هذه الدول خاصّة أن تعمل مراجعة شاملة لمنهجيّتها وخططها وترسم خطة استراتيجية واضحة تصل فيها لهدفها خلال

([1]) مسند أحمد (18406).

عشر سنين تقريبا (وهي المدة التقريبية التي رجحنا فتح الأقصى خلالها في التوقعات)، ولكي تصل لا بد أن تكون الخطة مرسومة على خُطا الخلافة الأولى ومنهاجها، **ولا مانع من التدرُّج في التنفيذ لا في المنهجية**، بل المنهاج والغاية يجب أن يكونا واضحين وقويين وحازمين من أول لحظة ولو داخليا على الأقل دون الإعلان، لكن لا بد من التأكيد هنا على أن **الغاية لا تبرر الوسيلة في الإسلام**، فلا بد أن يكون التدرُّج في الإعلان والتنفيذ بحيث لا يخالف الشريعة إن أمكنه موافقتها بأي وجه من الوجوه، لأن **التدرُّج يعني التدرُّج في الارتقاء في خطّ الشريعة وهذا يعني الزيادة وينافي نقصها ومخالفتها ما أمكن**، فقد لا يطبِّق القائد حدّ الردة مثلا في البداية لما يجلبه ذلك من هجوم عالمي ولكن لا يجوز أن يَنفيه لأنه غير مضطر لذلك أصلا، ولا يجوز له أن يصافح الأجنبية ليظهر بمظهر المعتدل لأنه يمكنه أن يتجنّب ذلك ويحتجّ بالحرية الشخصية وهكذا.

ومنهج الخلافة الراشدة الأولى الذي لا لبس فيه هو القوة في الدين التي تؤهل للإمامة والخيرية، وركنا الإمامة هما القوة العلمية والعملية –وقد تحدثت عنهما سابقا–، **وأهم الخطوات التي يجب اتخاذها في سبيل تحقيق ذلك أقترح أن تكون كما يلي** (سأتكلم عن حركة حماس كنموذج يمكن أن يُستَلهم منه):

1. **اتِّخاذ قرار الآن بذلك، أي الحسم في تحديد الغاية العظمى** وهي أن تكون كلمة الله تعالى هي العليا وكلمة ما سواه هي السفلى وإقامة أمره وشرعه ودينه الخالص في الأرض، **ثم انتهاج منهج القوة في الدين بشقيها العلمي والعملي للوصول إلى ذلك**، ويجب أن يكون الأمر المقصود واضحا في ذهن القيادة على أتم وجه لتتمكن من اتخاذ القرار المطلوب، فالمقصود ليس مجرد تغيير مناهج تربوية أو كتب دعوية داخل أُطُر الحركة، وإنما المطلوب **تغيير مسار وتغيير منهج وخطّ عام وطريقة سير** وتأسيس لقواعد جديدة لهذا المسار الجديد يؤدي إلى تغييرات كثيرة تابعة لذلك للسير على منهاج وخطوات الخلافة الراشدة الأولى وفق ما بيّنْت.

وينبغي التوافق والتأكيد أيضا في بداية هذا القرار والمسار الجديد على أنّ الحُكم والخلافة إنما هي وسيلة لتلك الغاية الكبرى؛ لأنّ هذه الغاية هي المهمة التي خلق واستخلف لأجلها الإنسان في الأرض، والملك والحكم مجرد حالة من حالات القيام بهذه

المهمة، والإنسان مطالَب بأن يقوم بأمر الله تعالى في كل حال، وقد مكث النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم مستضعفين في مكة ثلاث عشرة سنة يقيمون فيها أمر الله تعالى بقدر المستطاع على أكمل وجه، وقد لا يستطيع المرء أن يقيم دين الله إلا في نفسه فيكفيه ذلك، وكم من نبي كريم يبعث يوم القيامة وما آمن معه أحد، نعم **الحُكم هو أفضل وسيلة لتحقيق تلك الغاية لأن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن ولذلك يجب السعي لتحقيقه كهدف مرحلي لكن لا يخرج عن كونه وسيلة للغاية الأعظم وليس غاية في ذاته**، وأنا أشدد في ذلك لما رأيناه من بعض الحركات الإسلامية التي ظنت الحكم وترسيخه هو الغاية فطوعت الشرع له فخسرت دِيناً ودُنيا، والبعض يقتصر على جزء من هذه الغاية كالدعوة مثلا فيختزل الغاية الكبرى فيها ظانّاً أنه بذلك يُظهر الإسلام بمظهر المعتدل الجميل وهو في الحقيقة يشوهه بأفكاره وظنونه، فالإسلام جميل كما هو وهو أبدع ما يكون وأجمله عندما نأخذه كما هو ونطوّع عقولنا لخدمته ولا نطوِّعه نحن لعقولنا وآرائنا وظنوننا فالإنسان بطبعه ضعيف ظلوم جهول.

وينبغي أن يكون هذا القرار من قيادة الحركة الإسلامية ورأس الهرم فيها مباشرة (أو قيادة الحكومة إن وصلت الحركة للحكم مرة أخرى)، لأن عدم تشخيص القيادة لحقيقة الخلل وتحديد الغاية والعلاج بقوة من البداية بكل حسم ووضوح وتركيز سيؤدي إلى ضياع الجهد والجهاد وتفاقُم المرض، كمريض عنده سرَطان في المعدة ويشعر بالغثيان فيعطيه الطبيب دواء لعلاج البرد، فهو يعالج بعض الأعراض لا أصل المرض فلن يزداد المرض إلا استِفحالا، ولأن كل قرار دون القيادة لن يكون راسخا له تأثير بالغ كقرارها، وهي تمثل القلب بالنسبة لجسد الحركة والأمة يصلح بقدر صلاحها والشعوب على دين ملوكها كما قرَّر العلماء، وأبو بكر رضي الله عنه لما سألته المرأة: ما بقاؤنا على هذا الأمر الصالح الذي جاء الله به بعد الجاهلية؟ قال: "**بَقَاؤُكُمْ عَلَيْهِ مَا اسْتَقَامَتْ بِكُمْ أَئِمَّتُكُمْ**"[1].

فالمشكلة في الحقيقة في الحركة الإسلامية تكمن في القيادة وقرارها وتوجهها، فلو اتخذت القرار الصائب الحازم وتوجهت بقوة نحو المنهج الأصوب الأكمل الذي قرَّرناه انحلت العقدة بإذن الله تعالى، لأنّ **الجنود عندهم الأهليّة والفِطرة الطيّبة وحُبّ الدِّين**

([1]) صحيح البخاري (3834).

والاستعداد الكامل لاتّباع القيادة وإسنادها في توجهها الجديد، وكذلك أكثر عوامّ المسلمين لو وجدوا مثالا صادقا يُشبع أرواحهم، فإنّ الناس لا تطمئنّ حتى تشبع إما شبعا مادّيّا أو روحيّا، وخطأ الحركة لما تمكنت من الحكم أنها سعت لإشباع الناس ماديا لترسيخ الحكم في ظنها ولم تتمثل الإسلام بقوة فتشبعهم روحيا بمثال صدق يقنعهم فلم يزدادوا إلا بعدا ونفورا، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: "**مَنْ أَرْضَى اللَّهَ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللَّهُ، وَمَنْ أَسْخَطَ اللَّهَ بِرِضَا النَّاسِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ**"[1]، ويقول: "**إِنَّكُمْ لَنْ تَسَعُوا النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَسَعُهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ الْوَجْهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ**"[2]، ولو اتبعوا هدْيه صلى الله عليه وسلم لأنجحوا وأفلحوا.

ولا يقبل هنا التبرير بعدم التمكُّن وضرورات الواقع ونحو ذلك من المبرِّرات التي تعوّدنا عليها؛ لأن المطلوب هو تأسيس القاعدة الفكرية العقَدية الصلبة للانطلاق في المسار الجديد، وهذا يعني مجرد قرار وتحديد لخط السير الجديد ومنهجيته وغايته وفق ما بينت وهذا لا تدرج فيه ولا يتأثر بالواقع المحيط، وإنما الذي يتأثر بذلك هو السير والتنفيذ الذي يجابه الواقع ويحتك به، وهذا لا بأس بالتدرج فيه ضمن خطة مدروسة ومعدّة بإحكام للوصول إلى الغايات والأهداف المحدَّدة وضمن المنهجية الصارمة المحددة مسبقا أيضا.

2. **الاهتمام الشديد بنقاء الراية ووضوحها**؛ لأنها هي التي تمثل عقيدة حاملها وفكره وحقيقته، وصراعنا مع الباطل صراع رايات –كما سبق– لتكون راية الله تعالى وكلمته هي العليا وراية الباطل وكلمته هي السفلى، ولأن التأييد الإلهي يكون بقدر ما نمثّل دينه، لأن النصرة والتأييد هو في الحقيقة للحقّ الذي نمثله لا لذواتنا وأشخاصنا، والراية هي التي تجسِّد وتمثِّل هذا الحق والدين الذي نحمله، فإن تعذر الوضوح أحيانا فلا أقل من عدم السماح بأن تشوبها شائبة تشوهها وتحجب التأييد والنصرة عنها لا سيما فيما يتعلق بعقيدة الولاء والبراء؛ لأنه أوثق عرى الإيمان كما دلت عليه الأحاديث من جانب، ولأنها تَعترض كثيرا في طريق السياسة من جانب آخر فوجب الانتباه والحذر، كما أنه لا يمكن إخفاء الراية دائما لأن ذلك سيؤدي إلى ظهور الخلل وتمكُّنه وفقْد الهوية ومن ثَمّ الانحراف.

([1]) صحيح ابن حبان (277)، وصححه الألباني.

([2]) مسند البزّار (9319)، وحسنه ابن حجر في فتح الباري.

ومن أهم الأمثلة على ذلك ركون حركة حماس إلى الروافض وإلى نظام الأسد البائد المجرم إلى درجة رفع صوَر سليماني في شوارع غزة وهو المجرم الذي ذبح إخواننا السُّنة في سوريا والعراق ووَصْفه وإخوانه من المجرمين بالألقاب الشرعية التي تشتمل على التعديل والتزكية الدينية مع عدم الحاجة لذلك كله، وهي أمور تتعدّى مجرد التحالف العسكري المشروع كما بينته سابقا، فإن **من أهم عوامل الإصلاح والتجديد الآن إنهاء مثل هذا الركون والتنصل منه.**

3. لا بد لنقاء الراية من **تصحيح بعض المفاهيم المهمة التي تحدد طبيعة المسار وتساعد على انتهاج القوة والاستقامة في الدين**، منها ما ذكرته سابقا كمفهوم العقاب التأديبي والثقة المطلقة والطاعة العمياء للقيادة والنظر للحركة كممثل للإسلام لا كجماعة من المسلمين، ومنها ما سأذكره الآن، **وهي مفاهيم القوة في الدين، والوسطية، والتيسير:**

– **أما القوة فينبغي التفريق بينها وبين التشدد والغلو**، لأنا نجد كثيرا من أبناء الحركة الإسلامية لا يجيدون التفريق بينهما ويتهمون الأقوياء بالتشدد بل يصل الأمر بهم أحيانا إلى الاتهام بالتشدد في أمر أجمع عليه علماء الأمة أو عليه جماهيرهم كتحريم المعازف، **والفارق بين القوة والتشدد هو الاتّباع**، فالقوة تبقى داخل دائرة السُّنة والاتباع والدليل المقبول عند العلماء والتشدد يتجاوزها، فالقوة مطلوبة ومحمودة شرعا وهي تمثل ركن الإمامة في الدين كما مر وتمثل السَّداد الذي هو كمال الاستقامة، قال صلى الله عليه وسلم: "**سَدِّدُوا وَقَارِبُوا**"[1]، وتمثل أعلى درجات الوسطية وأفضلها –كما سيأتي– بخلاف التشدد فهو مذموم شرعا.

والقوة تعني ببساطة اتّباع الأحسن والأرضى لله عز وجل علما وعملا، قال تعالى: **{وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا}** [الأعراف: 145]، قال الزمخشري في تفسيره: "ومعنى **{بِقُوَّةٍ}** بجدّ وعزيمة فِعل أولي العزم من الرسل، **{يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا}** أي فيها ما هو حسن وأحسن، كالاقتصاص والعفو، والانتصار والصبر، فمُرهم أن يَحملوا على أنفسهم في الأخذ بما هو

([1]) متفق عليه: صحيح البخاري (6463)، وصحيح مسلم (2574).

أدخل في الحسن وأكثر للثواب، كقوله تعالى: **{وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ}** [الزمر: 55]"[1].

– **وأما الوسطيّة** فالخطأ الشائع عند الحركة الإسلامية في تحديدها أنهم لتميُّعهم في فهم القوة وتحديدها –كما سبق– يجعلون الوسطية هي الوَسَط بين القوة والتميع فيحصرونها في التيسير وتتَبُّع الرُّخَص، والصواب أنها **الوسط بين التشدد والتميع**، لأنّ الوسط هو عدْل بين طرفين مذمومَين هما إفراط وتفريط كالكرم بين التبذير والبخل، **والقوة محمودة بل هي أعلى الرُّتَب** كما مرّ، وعليه فإن الوسطية تشمل القوة والتيسير معا لتشمل أغلب الناس فإن منهم القوي ومنهم الضعيف، **وأعظم الوسطيِّين على الإطلاق هو نبيهم صلى الله عليه وسلم، فسنته هي معيار الوسطية الصحيحة وهي تشتمل على القوة والتيسير معا لتسع الناس جميعا**، فحصْر الوسطية في التيسير فقط اختزال وتشويه لها يعمل على إضعاف الدين لا سيما عند الأقوياء، فقد قرَّر العلماء أنه من تتبع الرخص فقد تزندق لأنه متبع لهواه لا للحق، وقالوا بعبارة أخرى: من تتبَّع الرخص رقّ دينه.

– **وأما التيسير** فالخطأ الشائع فيه عند الحركة الإسلامية أنه هو وحده يمثل طبيعة هذا الدين، ويستشهدون ببعض الآيات والأحاديث الدالة على أن الدين يسر، **والإشكال يتركز في أمرين:**

الأول: في تحديد معنى اليسر ومفهومه، فاليسر معناه رفع الحرج والمشقة وليس السهولة مطلقا، فإن الشرع لا بد أن يشتمل على شيء من المشقة لأنه يحمل الناس على ترك داعية الهوى ليكونوا عبادا لله بالاختيار كما أنهم عباد له بالاضطرار كما يقول الإمام الشاطبي رحمه الله في الموافقات، ولكنها مشقة محتمَلة في الجملة، قال تعالى: **{وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ}** [الحج: 78]، **{يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ}** [البقرة: 185]، ولكن **الذي يُحدِّد الحرَج والعسر هو الخالق اللطيف الخبير سبحانه لا عقولنا الضعيفة القاصرة؛ لأنّ اليسر الحقيقي هو ما فيه المصلحة الراجحة وإن كان في ظاهره عسر ومشقة**، وهذا لا يعرف حقيقته إلا الخالق سبحانه، فهذه الآيات تدل على أن

([1]) الكشاف للزمخشري (2/ 158).

الإسلام والشرع كله يسر لا حرج فيه وإن كان في ظاهره الحرج والعَنَت، فالجلد والقطع والرجم يسر في الحقيقة –برغم قسوته الظاهرة– لما فيه من مصلحة المجتمع الراجحة وكذلك مصلحة المذنب نفسه من تطهير ومغفرة.

إذن ما علينا إذا أردنا اليسر الحقيقي إلا أن نتبع الدليل الشرعي فيأخذ بأيدينا إليه لا أن نَجُرّ الشرع إلى ما تراه عقولنا فنُشوّهه ولا نحصُد إلى العنت والمشقة في المآل، قَرَأَ أَبُو سَعِيدٍ الخُدْرِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: **{وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ}** [الحجرات: 7] قَالَ: "**هَذَا نَبِيُّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُوحَى إِلَيْهِ، وَخِيَارُ أَئِمَّتِكُمْ لَوْ أَطَاعَهُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَمْرِ لَعَنِتُوا، فَكَيْفَ بِكُمُ اليَوْمَ؟**"[1].

قال ابن تيمية رحمه الله: "فَلَيْسَ حُسْنُ النِّيَّةِ بِالرَّعِيَّةِ وَالْإِحْسَانِ إلَيْهِمْ أَنْ يَفْعَلَ مَا يَهْوُونَهُ وَيَتْرُكَ مَا يَكْرَهُونَهُ، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: **{وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ}** [المؤمنون: 71]، وَقَالَ تَعَالَى لِلصَّحَابَةِ: **{وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ}** [الحجرات: 7]، وَإِنَّمَا الْإِحْسَانُ إلَيْهِمْ فِعْلُ مَا يَنْفَعُهُمْ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا وَلَوْ كَرِهَهُ مَنْ كَرِهَهُ؛ لَكِنْ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَرْفُقَ بِهِمْ فِيمَا يَكْرَهُونَهُ"[2].

الثاني: أنهم نتيجة لذلك المفهوم الخاطئ جعلوا اليُسر بمعنى السهولة والترخُّص غاية ومقصودا لذاته وجعلوا اتّباعه منهجا ثابتا دائما، والحق أن التسهيل والترخص هو مجرد وسيلة لغاية عظمى هي **تحقيق العبوديّة لله تعالى في النفس والناس على أكمل وجه ممكن**، فهذا هو المقصود الأكبر للتشريع، **ولأجل الوصول إليه هناك مسالك: منها التيسير بمعنى التَّسهيل، ومنها أيضا القوة والعزيمة والعمل بالاحتياط**، فهذه كلها وسائل، والصواب والسُّنة أن نختار منها ما يحقق الغاية لا أن نختزلها في التيسير وحده، فالضعفاء والعوام يناسبهم التيسير أي التسهيل حتى لا ينقطعوا فهو الأكمل لتحقيق العبودية فيهم، مع محاولة الترقي بهم دائما كما قال النبي صلى الله عليه وسلم للأعرابيّ حين سأله عن الإسلام: "**خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ**"، قَالَ هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُنَّ؟ قَالَ:

([1]) جامع الترمذي (3269) وقال: حسن صحيح، وصحح الألباني إسناده.

([2]) مجموع الفتاوى لابن تيمية (8/ 364).

"**لَا، إِلَّا أَنْ تَطَّوَّعَ، وصِيَامُ شَهْرِ رَمَضَانَ**"، قَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُ؟ قَالَ: "**لَا، إِلَّا أَنْ تَطَّوَّعَ**"[1]. فرخص له ويسّر ولكن دله على الأكمل، أما الأقوياء كالعلماء والمجاهدين وحملة اللواء فتناسبهم القوة لأنها تحقق العبودية فيهم على الوجه الأكمل وأما التيسير فلا يصلح لهم لأنه يضعفهم ولا يحقق المقصود فيهم، فإذا جعلنا الوسيلة مقصدا اختل المنهج وتشوه.

والقوة لا تخرج عن دائرة اليُسر الحقيقي كما مر في النقطة الأولى، فلا تعارض أصلا في الحقيقة، **والقوة في ذاتها أفضل من الترخص** لأن العبودية تتحقق بها على وجه أكمل وأفضل ولذلك أمر الله تعالى بها دون غيرها فقال: **{خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ}** [البقرة: 63].

وإذا صح العزم وأنار نور العلم وِفق ما سبق وبدأت القيادة بنفسها اتّضَح السبيل بإذن الله تعالى، وستجد القيادة والأفراد يسيرون معا تلقائيا نحو الكمال والتمام كما سبق من قول هرقل لأبي سفيان رضي الله عنه: "**وَكَذَلِكَ أَمْرُ الْإِيمَانِ حَتَّى يَتِمَّ**"[2].

وأنا كلي ثقة بالله تعالى أن الحركة الإسلامية لو بدأت بالنقاط الثلاثة السابقة وصدقت العزم والنية وبدأت القيادة بالتطبيق على نفسها أوّلا ونوت أن تطبّقه على أرض الواقع عند الإمكان فإنه بمجرد ذلك سيبدأ الإكرام من الله تعالى، وهو سبحانه سيبتليها بعد رفع البلاء والعقاب ويتيح لها مجالا فإن طبّقت وصدقت فعلا فإن الله تعالى سيكرمها ويعيد إليها ما فقدته وخسرته من تمكين وحكم ومال ومن دعم الناس وحبهم وغيره؛ لأنه تعالى يقول: **{إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}** [الأنفال: 70]، فلتكن على القدر المطلوب من الفهم والحذر والعمل.

وسأكمل بعض النقاط هنا تذكيرا، وهي تفصيل يختص بالقوة العلمية والعملية:

4. ينبغي **تقريب البطانة التي تتبنى منهج القوة في الدين وإقصاء الأخرى**، لأن هذا من ابتلاء الأمير كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "**مَا مِنْ نَبِيٍّ وَلَا وَالٍ إِلَّا وَلَهُ**

([1]) متفق عليه: صحيح البخاري (46)، وصحيح مسلم (11).

([2]) متفق عليه: صحيح البخاري (7)، وصحيح مسلم (1773).

بِطَانَتَانِ: بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ، وَبِطَانَةٌ لَا تَأْلُوهُ خَبَالًا، وَمَنْ وُقِيَ شَرَّهُمَا، فَقَدْ وُقِيَ، وَهُوَ مَع الَّتِي تَغْلِبُ عَلَيْهِ مِنْهُمَا"[1].

5. ينبغي **تكليف القيادة مجموعة من كبار علماء البلد وخِيرتهم الربانيين المجاهدين المشهود لهم بالعلم والعمل والتقوى معا لتشكيل لجنة تتبع القيادة مباشرة، مهمتها القيام بواجب القيادة من حراسة الدين وسياسة الدنيا به،** فهي تعمل كجهة رقابية وتنفيذية لها صلاحيات عليا لتطبيق الشرع والدعوة إلى الله ونشر العلم وتقوية الدين والإيمان ظاهرا وباطنا لتكون كلمة الله تعالى هي العليا، وينبغي أن تدعم هذه اللجنة بسياسيين مخضرمين للاستعانة بهم في فهم الواقع السياسي لاكتمال الصورة في أذهان العلماء ليتمكنوا من اتخاذ القرارات الشرعية المناسبة، فإن القرار الشرعي في النهاية لهم في السياسة وغيرها لأنهم **الأقدر على معرفة مصلحة الدين المقدمة على كل المصالح الأخرى وعلى معرفة الصالح والأصلح لدين الرعية،** وقد نص العلماء على أنه يجب على الحاكم فعل الأصلح للرعية وأن هذا من النصح الواجب عليه لهم، وينبغي أن يكون وزير الأوقاف ضمن هذه اللجنة أو تعمل بالتنسيق التام والمباشر معه لأهمية دور الأوقاف – ضمن اختصاصاتها– في دعم هذه النهضة الدينية.

وتكون اللجنة السابقة هي اللجنة الشرعية الدعويّة المعتمدة للحركة التي تمسك بمقومات النهضة الدينية المذكورة في قوله تعالى: **{وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}** [آل عمران: 104]، **{كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ}** [آل عمران: 110]، وتكون قراراتها وتوصياتها **ملزمة** للقيادة في الجوانب الشرعية لأن العلماء هم أمراء الأمراء كما مر من قول ابن القيّم رحمه الله.

وإذا كان القائد من العلماء المجتهدين في المسائل الشرعية المطروحة يمكن سنّ قانون ملزم يحدد مدى إلزامية الشورى للقائد في هذه المسائل بحيث يراعي حق الإمارة ويَحدّ من الصلاحيات المطلقة للأمير للقضاء على آثار الجبرية والدكتاتورية الشائعة في

([1]) مسند أحمد (7239)، وصححه الأرنؤوط.

هذا العصر وإعادة السلطة إلى الأمة والسيادة إلى الشريعة بكل حسم لا سيّما في مرحلة البناء.

وتكون مهام هذه اللجنة وخطوات عملها كما يلي:

أ. **وضع الخطوط العامة التي تحكم سياسة الحركة وخطابها، ورسم خطّة متدرجة وفق منهجها الجديد للوصول للغاية المنشودة.**

ب. **يكون للّجنة حقّ المتابعة والمحاسبة الشرعية لكل الأنشطة والفعاليات والتخصصات الخاصة والعامة وكذلك الوزارات إن وجدت،** وتعطى الصلاحيات والآليات اللازمة لذلك للقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والبِدَع؛ لأن إعلاء كلمة الله تعالى وحصر الخَبث هو شرط التمكين ومنع البلاء ورفعه كما مرّ.

ج. **يكون للجنة لجان فرعية من أهل الاختصاص الشرعي الأكْفاء في كل المناطق أو المساجد وفي كل المؤسسات يتابعون أعمال الحركة أو الحكومة وأنشطتها،** ويتابعون كذلك أعمال الناس والقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالآليات الشرعية المناسبة وبالتنسيق مع اللجنة الرئيسية، مع تغليب الرفق والرحمة بالناس ليتغلغل حب الدين إلى قلوبهم فيكون أمْكن في صلاحهم، وتُمنح هذه اللجان الفرعية الصلاحيّات المناسبة للقدرة على تغيير المنكر بالتنسيق مع الأجهزة الأمنية إن أمكن، وما يفوق قدراتها ترفعه للجنة الرئيسية لضبط الحالة الشرعية العامة والخاصة، وهذا من أهم مظاهر القوة العملية؛ لأهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في رفع البلاء وتحقيق التمكين كما بينت سابقا.

د. **الاهتمام الخاص والشديد بالعلم الشرعي وأهله نوعا وكمّا بالتنسيق مع الأوقاف والهيئات العلمية؛** للقيام بنهضة علمية يكون لها أكبر الأثر في دعوة الناس ونشر الدين بينهم وتصفية عقيدتهم وتغيير سلوكهم وإحياء السُّنة وقمع البِدع، ولأجل ذلك ينبغي اعتماد العلم أساسا في التقدم والترقي في الحركة، وتقديم تسهيلات ومكافآت مغرية لطلبة العلم الشرعي لا سيما المتميزين فيه، ونشر المدارس الشرعية المتميزة واعتمادها رسميا والتشجيع على الالتحاق بها، وإنشاء جامعة شرعية متخصصة لتخريج العلماء الراسخين في جميع

علوم الدين، والتنسيق مع كبار العلماء لعقد مجالس علمية متخصصة في مساجد محددة تغطي القطاع، وتعظيم العلم وأهله لا سيما الكبار من أهل الرسوخ والصدق لأن تعظيمهم تعظيم للدين الذي يحملونه ومن تعظيم الله تعالى الذي حباهم من نوره وعلمه.

ومن ذلك **تغيير نظام الأُسَر** ليكون مقتصرا على الجانب التنظيمي فقط، أما العلمي فيُرجع فيه إلى الأصل، وهو تكليف الأفراد بأخذه من منابعه وهي مجالس العلم التي يلقيها أهل العلم الأكْفاء المختصون طالما أمكن ذلك وأتاحته الظروف الأمنية، لأن أخذ العلم من غير أهله يضيعه ويشوّهه، وهذا ما لمسناه من ضحالة علمية عند كثير من أبناء الحركة برغم الجهود الكبيرة في تحضير المناهج التربوية وتقريرها.

هـ. الاهتمام القوي بجانب الدعوة الفردية والجماعية والزيارات الدعوية للناس كافة تثبيتا لهم بعد الحرب، والتركيز على دعوتهم إلى الله تعالى وكتابه ورسوله صلى الله عليه وسلم وغرس معاني الحب والتعظيم لهم والالتزام بالكتاب والسنة وعدم الانحراف عنهما بشكل دوري مستمر دون إملال للناس بالتنسيق مع الأوقاف واللجان الدعوية في المساجد.

6. **الاهتمام الشديد بالعدل ورفع الظلم، فهو أساس صلاح الحكم ونجاح القيادة بعد الاستقامة**، وعليه يجب الاهتمام الشديد ببناء قضاء شرعي شامخ نزيه داخل الحركة للبتّ في قضاياها وقضايا أفرادها وخارجها للحكم بين الناس بالعدل ورفع الظلم عنهم فإن عقوبة الظلم أعجل عقوبة وأوخمها، وهذا يقتضي إنشاء المحاكم الشرعية وبثها في جميع القطاع وإعطائها الصلاحيات القضائية اللازمة لتبتّ في كل الأمور والصلاحيات التنفيذية الكافية لإقامة العدل المتمثل في الشرع الحكيم.

7. **اعتماد الجهاد كوسيلة أساسية للخروج والنجاة من براثن الجبرية والحكومات الدكتاتورية** كما نص عليه النبي صلى الله عليه وسلم كما سبق في الحديث الذي نص أيضا على أن أفضل هذا الجهاد هو الرباط، وذكرت أن من صوره الرباط والاعتصام في الميادين والشوارع في ثورات عارمة والله أعلم، **وكل بلد أدرى بظروفها وشكل الجهاد والرباط الذي يلائمها**، المهم الذي أريد التأكيد عليه أن **الطرق السلمية المحضة كصندوق الاقتراع لا يمكن أن تجدي** لأنها تخالف التوجيه النبوي الذي نطق به المعصوم صلى الله

عليه وسلم، كما أؤكد على أنه **على كل حركة استغلال أقرب فرصة للاندفاع في هذه الطريق** ولتكن على يقين بأنها ستنجح وتصل بإذن الله لأن موعود النصر والخلافة اقترب وهذا وحده أكبر مؤشر للنجاح بإذن الله فلا داعي للتردد أو الخوف مطلقا.

وعلى أهلنا في الضفة الغربية الاستمساك بخط الجهاد والرباط أكثر من غيرهم لأنهم على خط المواجهة، والسلطة الموالية لليهود إلى زوال بإذن الله، وأظن أن الله تعالى لن يُنعم أعينهم بفتح الأقصى كما حرّم على بني إسرائيل المتخاذلين الأرض المقدسة، **ولكن ترك الحسم مع السلطة الآن والاكتفاء بمواجهتم ودفعهم إن هاجموا فقط والانشغال عنهم بجهاد اليهود أولى؛ ابتعادا عن الفتنة قدر الإمكان**؛ ولأن الحسم لن يجدي الآن لأنه سيؤدي إلى استفزاز اليهود واحتلالهم للضفة، ولكن الأفضل الاكتفاء بالمشاغلة والدفاع كما ذكرت إلى أن تسقط السلطة من نفسها أو من شعبها أو من اليهود أو تأتي الفرصة المناسبة لإسقاطهم وحسمهم إن لم يرعَوُوا ويسلكوا سبيل الجهاد عندما ينشغل اليهود عنهم بأنفسهم ويتركونهم بإذن الله تعالى.

وأعود للتأكيد على أن **الله تعالى يمتحن الحركة والناس كذلك بعد هذه الحرب وهذه الهزّة العنيفة** بإعطاء الحركة شيئا من الإمكانيّات –وإن كانت ليست بمستوى الحكم الذي كانت عليه– ليظهر مدى رجوعها إلى السداد وإعلائها لكلمة الله تعالى، وهذه الحلول وهذا المسار الجديد الذي بينته إن أخذت به الحركة –بأي صورة أو آلية تراها أنسب للواقع– فأنا على يقين أنها سترتفع به وتعز وتعود إلى حال وحكم أفضل مما كان بإذن الله تعالى.

ولكن إن لم تأخذ به واغترت بلطف الله تعالى وكرمه ونصره بسبب ثبات الثُّلَّة المباركة وتشبثت بمسارها القديم الذي كان من أهم أسباب العقاب الذي حلّ بنا كما فصّلت في هذه الرسالة فإنها قد تفقد الحُكم بالكلية وقد تكون هناك عواقب وخيمة واستبدال تام لا قدر الله.

والحلّ إنْ بدت بوادر الإصرار عند الحركة أن نري الله تعالى الصدق ونية التغيير على الأقل، فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، والتغيير بمثابة الاستغفار الذي يمنع العذاب، وذلك بأن **يقوم تيار إصلاحي في الحركة يتبنى هذا المسار الجديد**

ويناضل بصبر وعزم داخل أُطُر الحركة ليتمكن من قيادتها وحملها على الجادة والسداد المنشود بإذن الله تعالى.

وهذا أمر يبلغ مبلغ الضرورة، وهو ينطبق على حركة حماس وغيرها من الحركات الإسلامية، لكن حركة حماس هي المعنية الآن بالذات لما تمر به من انعطاف خطير وفرصة تاريخية مهمة قبيل انتهاء الحرب يجب أن تستغله وتفهم مراد الله تعالى وأمره فيه جيدا وتستبسل في تحقيقه وتراجع نفسها بشجاعة بنفس درجة استبسالها وشجاعتها في الحرب وأشد؛ لأن هذا هو مقصود الجهاد وغايته كما بيّنت.

خاتمة: مقتطفات من سيرة الإمام المجدد الأول الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى

سأذكر في نهاية هذه الرسالة –لمزيد الفائدة– شيئا من سيرة الإمام المجدد الأول الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رحمه الله، أذكر فيها فقط بعض ما يختص بتجديد الخلافة الراشدة **كنموذج يُحتذى لمن أراد تجديد مائها بعد الركود** يظهر فيها جليّا ما ذكرته من معالم ومقترحات، وسأقتصر على نقل **مقتطفات من كتاب الدكتور المبدع علي الصلّابي حفظه الله (الدولة الأموية؛ عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار):**

"كان **من أبرز الأعمال التي قام بها عمر بن عبد العزيز** (عندما كان حاكما للمدينة)**: تكوينه لمجلس الشورى بالمدينة،** فعند ما جاء الناس للسلام على الأمير الجديد بالمدينة وصلى دعا عشرة من فقهاء المدينة، فدخلوا عليه فجلسوا، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: إني دعوتكم لأمر تؤجرون عليه، وتكونون فيه أعواناً على الحق، إني لا أريد أن أقطع أمراً إلا برأيكم أو برأي من حضر منكم، فإن رأيتم أحداً يتعدى أو بلغكم عن عامل لي ظلامة؛ فأحرّج الله على من بلغه ذلك إلا أبلغني.

فقد أحدث مجلساً حدّد صلاحياته بأمرين:

أ. **أنهم أصحاب الحق في تقرير الرأي، وأنه لا يقطع أمراً إلا برأيهم،** وبذلك يكون الأمير قد تخلى عن اختصاصاته إلى هذا المجلس، الذي نسميه (مجلس العَشرة).

ب. **أنه جعلهم مفتشين على العمال ورقباء على تصرفاتهم،** فإذا ما اتصل بعلمهم أو بعلم أحدهم أن عاملاً ارتكب ظلامة فعليهم أن يبلغوه وإلا فقد استعدى الله على كاتم الحق.

وكان لا يقضي في قضاء حتى يسأل سعيدا، وفي المدينة أظهر **إجلاله للعلماء وإكباره لهم،** وقد حدث أن أرسل رحمه الله تعالى رسولاً إلى سعيد بن المسيِّب يسأله عن مسألة، وكان سعيد لا يأتي أميرا ولا خليفة، فأخطأ الرسول فقال له: الأمير يدعوك، فأخذ سعيد نعليه وقام إليه في وقته، فلما رآه عمر قال له: عزمت عليك يا أبا محمد إلا رجعت إلى مجلسك حتى يسألك رسولنا عن حاجتنا، فإنا لم نرسله ليدعوك، ولكنه أخطأ، إنما أرسلناه ليسألك.

من أهم ما يميز منهج عمر في سياسته: حرصه على العمل بالكتاب والسنة، ونشر العلم بين رعيته وتفقيههم في الدين وتعريفهم بالسنة، ومنطلق عمر في ذلك فهمه لمهمة الخلافة، فهي حفظ الدين وسياسة الدنيا به، فهو يرى أن من أهم واجباته تعريف رعيته بمبادئ دينهم وحملهم على العمل بها، فورد عنه أنه قال في إحدى خطبه: إن للإسلام حدوداً وشرائع وسنناً، فمن عمل بها استكمل الإيمان، ومن لم يعمل بها لم يستكمل الإيمان، فلئن أعش أُعلِّمُكُموها وأحملكم عليها، وإن أمت فما أنا على صحبتكم بحريص. وقال أيضاً: فلو كان كل بدعة يميتها الله على يدي وكل سنة يعيشها الله على يدي ببضعة من لحمي حتى يأتي آخر ذلك على نفسي كان في الله يسيراً. وفي موضع آخر قال: والله لولا أن أنعش سنة أو أسير بحق ما أحببت أن أعيش فُواقاً، لهذا بادر عمر في تنفيذ هذه المسئولية المهمة، فبعث العلماء في تعليم الناس وتفقيههم إلى مختلف أقاليم الدولة وفي حواضرها وبواديها، وأمر عماله على الأقاليم بِحثّ العلماء على نشر العلم، فقد جاء في كتابه الذي بعث إلى عماله: ومُر أهل العلم والفقه من جندك فلينشروا ما علمهم الله من ذلك، وليتحدثوا به في مجالسهم. ومما كتب به إلى بعض عماله: أما بعد فأْمر أهل العلم أن ينشروا العلم في مساجدهم فإن السنة كانت قد أميتت.

كما أمر عماله أن يجروا الرواتب على العلماء ليتفرغوا لنشر العلم، وانتدب العديد من العلماء لتفقيه الناس في الدين، فبعث يزيد بن أبي مالك الدمشقي والحارث بن يمجد الأشعري يفقهان الناس والبدو، وذكر الذهبي أن عمر ندب يزيد بن أبي مالك ليفقه بني نمير ويقرئهم، وبعث نافع مولى ابن عمر إلى أهل مصر ليعلمهم السنن، وكان قد بعث عشرة من الفقهاء إلى إفريقية يفقهون أهلها، **ولم تنحصر مهمة هؤلاء العلماء في التعليم فحسب، بل منهم من أسند إليه بعض الولايات، ومنهم من تولى القضاء وأسهم في الدعوة والجهاد.**

وقد حرص عمر على إصلاح بطانته لمّا تولى الخلافة، فقرب إلى مجلسه العلماء وأهل الصلاح، وأقصى عنه أهل المصالح الدنيوية والمنافع الخاصة، ولم يكتف رحمه الله بانتقاء بطانته بل كان زيادة على ذلك يوصيهم ويحثهم على تقويمه، فقال لعمر بن

مهاجر: إذا رأيتني قد ملت عن الحق فضع يدك في تَلْبيبي ثم هزّني ثم قل يا عمر ما تصنع.

قال له الحسن حين سأله عن الإمام العادل: والإمام العدل يا أمير المؤمنين كقلب بين الجوانح، تصلح الجوانح بصلاحه وتفسد بفساده، والإمام العدل يا أمير المؤمنين هو القائم بين الله وبين عباده، يسمع كلام الله ويُسمعهم، وينظر إلى الله ويريهم، وينقاد إلى الله ويقودهم، فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما ملّكك الله كعبد ائتمنه سيده واستحفظه ماله وعياله، فبدَّد وشرَّد العيال، فأفقر أهله وفرَّق ماله.

– **أمير المؤمنين يبدأ بنفسه:** تنفيذاً لما أراده عمر من رد المظالم مهما كان صغيراً أو كبيراً بدأ بنفسه، روى ابن سعد: أنه لما رد عمر بن عبد العزيز المظالم قال: إنه لينبغي ألا أبدأ بأول من نفسي. وهذا الفعل جعله قدوة للآخرين، فنظر إلى ما في يديه من أرض أو متاع فخرج منه حتى نظر إلى فصّ خاتم فقال: هذا مما كان الوليد بن عبد الملك أعطانيه مما جاءه من أرض المغرب، فخرج منه. وكان ذلك لإصراره على قطع كل شك بيقين، وحتى يطمئن إلى أنّ ما في يده لا شُبهة فيه بظلم أو مظلمة حتى ولو كان ورِثه، خصوصاً وأن القصص والحكايات كانت كثيرة يتناقلها الناس عن مظالم ارتكبت على عهد خلفاء بني أمية وعمالهم، وقد بلغ به حرصه على التثبت أنه نزع حلي سيفه من الفضة وحلاه بالحديد، قال عبد العزيز بن عمر: كان سيف أبي محلّى بفضة فنزعها وحلاه حديداً، وكان خروجه مما بيده من أرض أو متاع بعدة طرق كالبيع، ذلك أنه حين استخلف نظر إلى ما كان له من عبد وإلى لباسه وعطره وأشياء من الفضول، فباع كل ما كان عنه غنيا فجعله في السبيل.

وفور فراغه من دفن ابن عمه سليمان بن عبد الملك، فقد رأى ما أذهله وهو أن أبناء عمه من الأمويين أدخلوا الكثير من مظاهر السلطان التي لم تكن موجودة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم أو خلفائه الراشدين، فأنفقوا الكثير من المال من أجل الظهور بمظاهر العظمة والأُبّهة أمام رعيتهم، وهذا كله إسراف وتبذير لا مبرر له يتحمله بيت مال المسلمين، وهو بأمس الحاجة لكل درهم فيه لينفق في وجهه الصحيح الذي بيّنه الله

ورسوله، وهنا أمَر مولاه مُزاحماً فور تقديم هذه الزينة له ببيعها، وضم ثمنها إلى بيت مال المسلمين.

- **(التدرج البنّاء)**: حين جاءه ابنه يطالبه بالإسراع باستخلاص ما بأيدي الأمويين من مظالم، فقال: يا بنيّ، إنّ قومك قد شدوا هذا الأمر عقدة عقدة، وعُروة عروة، ومتى ما أريد مكايدتهم على انتزاع ما في أيديهم لم آمن أن يفتقوا عليّ فتقاً تكثر فيه الدماء، والله لزوال الدنيا أهون علي من أن يُهراق في سببي محجمة من دم، أو ما ترضى أن لا يأتي على أبيك يوم من أيام الدنيا إلا وهو يميت فيه بدعة ويحيي فيه سنة حتى يحكم الله بيننا وبين قومنا بالحق وهو خير الحاكمين؟ ثم زاد في توضيح سياسته تلك حينما قال له ولده عبد الملك: ما يمنعك أن تُمضي الذي تريد؟ فوالذي نفسي بيده ما أبالي لو غَلَت بك وبي القدور، قال: وحق هذا منك؟ قال: نعم والله، قال عمر: الحمد لله الذي جعل من ذريتي من يعينني على أمر ديني، يا بني، إني أروض الناس رياضة الصعبة، فإن بطأ بي عمر أرجو أن ينفذ الله مشيئتي وأن تعدو منيتي فقد علم الله الذي أريده ...

وهكذا **يتبع عمر أسلوب الحكمة والحسنى في تنفيذ سياسته**، وتطبيقاً لهذه السياسة فإنه قد مهّد لهذه الخطوة الحاسمة والخطيرة بخطوات تسبقها: خروجه هو أولاً مما بيده من مظالم وردها إلى أصحابها أو بيت المال، ثم اتجه إلى أبناء البيت الأموي فجمعهم وطلب إليهم أن يخرجوا مما بأيدهم من أموال وإقطاعات أخذوها بغير حق، ولا ريب أن سياسة عمر بن عبد العزيز تُهدد مكانة الأسرة الأموية وتضعف مراكز قوتها، وقد تؤدي إلى دفعها لاتخاذ مواقف مهددة للخليفة القائم، وفي هذا خطر كبير عليه وعلى الخلافة، وكان ردّ عمر (لما اعترض عليه أحد أقربائه) حمما من نار الحق تتفجر في كل كلمة فيها: ويلك وويل أبيك ما أكثر طُلاّبكما وخصماءكما يوم القيامة، رويدك فإنه لو طالت بي حياة ورد الله الحق إلى أهله تفرغت لك ولأهل بيتك فأقمتكم على المحجة البيضاء، فطالما تركتم الحق وراءكم.

لما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة **عمد إلى جميع الولاة والحكام المسؤولين الظالمين فعزلهم عن مناصبهم**، ومنهم خالد بن الريان صاحب حرس سليمان بن عبد الملك الذي كان يضرب كل عنق أمره سليمان بضربها، وعيّن محله عمرو بن مهاجر

الأنصاري فقال عمر بن عبد العزيز: يا خالد ضع هذا السيف عنك، اللهم إني قد وضعت لك خالد بن الريان، اللهم لا ترفعه أبداً، ثم قال لعمرو بن مهاجر: والله إنك لتعلم يا عمرو، إنه ما بيني وبينك قرابة إلا قربة الإسلام ولكني سمعتك تكثر تلاوة القرآن، ورأيتك تصلي في موضع تظن ألا يراك أحد، فرأيتك حسن الصلاة، خذ هذا السيف قد وليتك حرسي. إنه يبحث عن أصلح الناس ديناً وأمانة.

– نظراً لمعرفة عمر بن عبد العزيز بغشم الولاة قبله وظلمهم للناس حتى أصبحت المظالم كأنها شيء مألوف، **فإنه لم يكلف المظلوم بتحقيق البيّنة القاطعة على مظلمته، وإنما يكتفي باليسير من البينة، فإذا عرف وجه مظلمة الرجل ردها إليه دون أن يكلفه تحقيق البينة،** فقد روى ابن عبد الحكم قال: قال أبو الزناد: كان عمر بن عبد العزيز يرد المظالم إلى أهلها بغير البينة القاطعة، وكان يكتفي باليسير، إذا عرف وجه مظلمة الرجل ردها عليه ولم يكلفه تحقيق البينة لما يعرف من غشم الولاة قبله على الناس، ولقد أنفذ بيت مال العراق في رد المظالم حتى حُمل إليه من الشام. **فما أحسن ما فعله عمر بن عبد العزيز وما أحسن التيسير على الناس قدر المستطاع لأن فيه اختصارا للوقت وتوفيراً للجهود،** كما أن هذا العمل نستنبط منه قاعدة هامة في التفريق بين أصول التحقيق في القضاء العادي وبين أصول التحقيق في القضاء الإداري وضعها عمر بن عبد العزيز، فالبينة القاطعة قد تستحيل إقامتها وجمع عناصرها، فإذا كان الظلم واضحاً اكتفى قاضي المظالم بالبينة اليسيرة.

– **وكان رحمه الله يعلّم ولاته أنه بالعدل تستقيم الحياة بكل شئونها،** فلما أرسل إليه بعض عماله يقول: أما بعد، فإن مدينتنا قد خربت، فإن يرى أمير المؤمنين أن يقطع لنا مالاً نرمّها به فعل. فكتب إليه عمر: أما بعد، فقد فهمت كتابك وما ذكرت أن مدينتكم قد خربت، فإذا قرأت كتابي هذا فحصِّنها بالعدل، ونَقِّ طرقها من الظلم، فإنَّه مرمَّتها، والسلام. حتى أن عمر قد أصدر أوامره بمنع استخدام اللُّجُم الثقيلة مع الخيول والبغال، كما منع استخدام المناخس ذات الرؤوس الحديدية لنخس الدابة، وحين بلغه أن قوماً يحملون على الجمال ما لا تطيق وذلك في مصر كتب إلى واليها يحدد أقصى حمولة للبعير بستمائة رطل، وطلب منه إبلاغ قراره هذا للناس وأمره بتنفيذه.

– **ورَعه:** من صفات أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز الورع، **والورع هو الإمساك عما قد يضر، فتدخل المحرمات والشبهات لأنها قد تضر**، فإنه من اتقى الشبهات استبرأ لعرضه ودينه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي حول الحِمى يوشك أن يواقعه.

– **الحزم:** لقد اتسم عمر بن عبد العزيز بهذه الصفة في وقت أكثر ما يكون فيه أمر الأمة والخلافة في حاجة إلى الحزم، **وبخاصة فيما يتعلق بالولاة والأمراء والعمال**، وقد تحلّى عمر بصفة الحزم وضبط الأمور وعدم التهاون فيما يراه ضرورياً لخدمة الصالح العام وما يصلح به أمر المسلمين، ولقد أخذ حزم عمر صورا مختلفة ومجالات عدة، كحزمه مع أمراء وأشراف بني أمية، ومع الذين يريدون شق عصا المسلمين والخروج على جادتهم وإثارة الفتن وسفك الدماء وغير ذلك من الأمور.

– **إحياؤه مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:** أخذت الخلافة تتراجع عن الغاية التي قامت من أجلها وهي حراسة الدين، فنهض عمر بهذا المبدأ ورفع لواءه وأعلى شأنه وجعله المهيمن والمقدّم على ما سواه.

وما حقق عمر ما حققه من أعمال وإنجازات إلا انطلاقاً من **خوفه الشديد من الله**، وطلبه فيما فعله مرضاته، وقد ساعده على ذلك أنه كان من أجلة العلماء التابعين وأئمة الاجتهاد. والناظر في رسائل عمر وخطبه ومواعظه وهي أكثر من أن تحصى يرى إيماناً قوياً ومراقبة جلية وخوفاً من يوم يقف فيه الناس بين يدي رب العالمين، وقد أثرت شخصية عمر وسياسته العادلة تأثيراً بالغاً في حياة العامة وميولهم وأذواقهم ورغباتهم، يدل على ذلك ما ذكره الطبري في تاريخه مقارناً عهد عمر بعهود من سبقه من الحكام السابقين: كان الوليد صاحب بناء واتخذ المصانع والضياع، وكان الناس يلتقون في زمانه فكان يسأل بعضهم بعضاً عن البناء والمصانع، فولي سليمان فكان صاحب نكاح وطعام، فكان الناس يسأل بعضهم عن التزويج والجواري، فلمّا ولي عمر بن عبد العزيز كانوا يلتقون فيقول الرجل للرجل: ما وراءك الليلة؟ وكم تحفظ من القرآن؟ ومتى تختم، ومتى ختمت؟ وما تصوم من الشهر؟

نستطيع أن نحدد **أهم شروط المجدد والصفات التي ينبغي أن تتوافر فيه حتى يُعدّ من المجددين من خلال سيرة عمر بن عبد العزيز رحمه الله:**

أ. **أن يكون المجدد معروفاً بصفاء العقيدة وسلامة المنهج:** وذلك لأن من أخص مهمات التجديد إعادة الإسلام صافياً نقياً من كل العناصر الدخيلة، وهذا لا يحصل إلا إذا كان المجدد من السائرين على منهج الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام، ومن الطائفة الناجية المنصورة التي جاء وصفها بأنها فرقة من ثلاث وسبعين فرقة وأنها تلزم ما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه في عقيدته ومنهجه وتصوراته.

ب. **أن يكون عالماً مجتهداً:** والمهم أن نعلم أن المجدد يشترط فيه أن **يكون محيطا بمدارك الشرع، قادراً على الفهم والاستنباط مطَّلعاً على أحوال عصره، فقيها بواقعه.** يقول المناوي: إنّ على المجدد أن يكون قائماً بالحجة، ناصراً للسنة، له ملَكة رد المشتبهات إلى المحكَمات، وقوة استنباط الحقائق والنظريات من نصوص الفرقان وإرشاداته ودلالاته واقتضاءاته من قلب حاضر وفؤاد يقظان. ويقول العظيم آبادي: إن المجدد للدين لابد أن يكون عالماً بالعلوم الدينية الظاهرة والباطنة، ناصراً للسنة، قامعاً للبدعة. **(أقول: ويكفي عن ذلك اعتماده على مجلس علمي شوري ملزم إن لم يكن مجتهدا، وكونه مجتهدا أفضل).**

ج. **أن يشمل تجديده ميدانَي الفكر والسلوك في المجتمع:** وذلك لأن تصحيح الانحراف من أخص المهمات التي ينبغي أن يقوم بها المجدد، ومعلوم أن الانحراف يطرأ على السلوك كما يطرأ على الفكر، بل إن غالب الانحرافات السلوكية منشؤها خرافات فكرية، فيقوم المجدد بتصويب الأفهام والأفكار وتخليصها مما داخلها من شكوك وشبهات، ويحيي العلم النافع والفهم الصحيح للإسلام ويبثه بين الناس وينشره بالتدريس وتأليف الكتب وغير ذلك من الوسائل المتاحة، ثم يعمد إلى إصلاح سلوك الناس وتقويم أخلاقهم وتزكية نفوسهم وإبطال التقاليد المخالفة للشريعة وإعلان الحرب على البدع والخرافات والمنكرات المتفشية في حياة الناس، ومواجهة الفساد بمختلف أشكاله وصوره وخاصة الفساد في الحكم والإمارة، بهذا يكون المجدد قد جمع بين القول والفعل، والعلم والعمل، وقد أشار السلف إلى هذا الشرط بقولهم عن المجدد: إنه ينصر السنة ويقمع البدعة.

في قوله صلى الله عليه وسلم: "**إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ**": إن هذا المبعوث لم يعد همّه نفسه فقط، بل تجاوز ذلك ليعيش لهذه الأمّة، فهو صاحب عزيمة وهمة يعيش هموم أمته ويبذل قصارى جهده مواصلاً عمل النهار بالليل، لينقذ هذه الأمة من وهدتها ويعيد لها ثقتها بدينها ويردها إلى المنهج الصحيح، مصابراً على ما يعترض سبيله من عقبات ومغالباً كل المشقات والتحديات.

أثار قوله صلى الله عليه وسلم: **(مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا)** سؤالاً في الماضي والحاضر، هو: هل المقصود بلفظة (مَن) الواردة في الحديث فرداً واحداً من أفراد الأمة وأفذاذها يحيي الله به دينها؟ أم المراد بها ما هو أوسع من ذلك فيشمل الأفراد والجماعات؟

وذهب كثير من العلماء إلى أن المجدد فرد واحد، وذهب فريق آخر من العلماء إلى أن كلمة (مَن) في الحديث للعموم في أصل وضعها اللغوي، فتشمل الواحد والجماعة على حد سواء، ويتبين من خلال البحث أن حمل لفظة (من) في الحديث على العموم أولى، لأن التاريخ والواقع يثبت وجود أكثر من مجدد في كل قرن من القرون الخوالي، ولأن مهمة التجديد مهمة ضخمة واسعة لكونها لا تقتصر على جانب من جوانب الدين، ولأن رقعة الأمة الإسلامية تمتد على مساحة شاسعة يصعب معها على فرد بل مجموعة أفراد أن يقوموا بعملية التجديد الشامل المطلق.

المجدَّد هو دين الأمة وليس الدين نفسه: يلاحظ المتأمل في قوله صلى الله عليه وسلم **(مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا)** أنه أضاف الدين إلى الأمة ولم يقل يجدد لها الدين، وذلك لأن **الدين بمعنى المنهج الإلهي** الذي بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم وما اشتمل عليه من عقائد وعبادات وأخلاق وشرائع تنظم علاقة العبد بربه وعلاقته بغيره من بني جنسه **ثابت كما أنزله الله لا يقبل التغيير ولا التجديد**، وأما دين الأمة **بمعنى علاقة الأمة بالدين** ومدى تمسكها وتخلقها به وترجمتها له واقعاً ملموساً على الأرض **فهو المعنى القابل للتجديد** ليعيد الناس إلى المستوى الذي ينبغي أن يكونوا عليه بعلاقتهم مع الدين.

– **اهتمام عمر بن عبد العزيز بعقائد أهل السنة:** اهتم عمر بن عبد العزيز بعقائد أهل السنة وحرص على تعلمها وتعليمها وبثها بين الناس، وتناثرت أقواله في عقائد أهل

السنة بين المراجع والمصادر الإسلامية، حصلت زلزلة بالشام فكتب عمر بن عبد العزيز: أما بعد: فإن هذا الرجف شيء يعاتب الله به العباد، فمن كان عنده شيء فليتصدق، وقولوا كما قال آدم: **{رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ}** [الأعراف: 23].

– **اتباع الكتاب والسنة والخلفاء الراشدين:** لما ولي عمر بن عبد العزيز كتب: أما بعد: فإني أوصيكم بتقوى الله ولزوم كتابه والاقتداء بسنة نبيه وهديه، وليس لأحد في كتاب الله ولا في سنة نبيه صلى الله عليه وسلم أمرٌ ولا رأيٌ إلا إنفاذه والمجاهدة عليه ... فإن الذي في نفسي وبقيتي في أمر أمة محمد صلى الله عليه ومسلم أن تتبعوا كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وأن تجتنبوا ما مالت إليه الأهواء والزيغ البعيد، مَن عمِل بغيرهما فلا كرامة ولا رفعة له في الدنيا والأخرى، ولعمري لَأن تموت نفسي في أول نفس أحب إلي مِن أن أحملهم على غير اتباع كتاب ربهم وسنة نبيهم، وإن أهون الناس علي تلفاً وحزناً لمن عسى أن يريد خلاف شيء من تلك السنة. وقال: يا ليتني عملت فيكم بكتاب الله، فكلما عملت فيكم بسنة وقع مني عضو حتى يكون آخر شيء منها خروج نفسي. وقال: سنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الأمر من بعده سناً، الأخذ بها اعتصام بكتاب الله وقوة على دين الله، ليس لأحد تبديلها ولا تغييرها ولا النظر في أمر خالفها، من اهتدى بها فهو مهتد، ومن استنصر بها فهو منصور، ومن تركها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاّه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيراً. فهذه الآثار توضح اتباع عمر للكتاب والسنة ولزومهما، وبذل الجهد والطاقة في تطبيقها، وإن أدى ذلك إلى قطع الأعضاء وإزهاق النفس، **وما ذهب إليه عمر هو أصل الدين وأساسه.**

كانت هناك **عوامل متعددة ساهمت في نجاح مشروعه الإصلاحي، منها:**

1. **صفاته الشخصية** من العلم والورع والخشية والزهد والتواضع والحلم والصفح والعفو والحزم والعدل، مع قدرات إدارية كبيرة في فن التخطيط والتنظيم والقيادة والتوجيه ومعرفة الناس.

2. **امتلاكه لرؤية إصلاحية تجديدية واضحة المعالم** هدفها الرجوع بالدولة والأمة لمنهج الخلافة الراشدة على منهاج النبوة.

3. **التفاف الأمة حول هذا المشروع** عندما لمست صدق المشرف عليه وإخلاصه.

4. **وجود كوكبة من العلماء الربانيين في عهده كانوا مؤهلين لقيادة الدولة والأمة،** فلما جاءت الفرصة بوصول عمر بن عبد العزيز للحكم وأتاح لهم المجال أبدعوا وأثبتوا جدارتهم فيما أسند لهم من مهام كبرى، **وهذا درس مهم في أهمية تكامل العلم الشرعي والأمانة والتقوى مع القدرات القيادية في شخصية العلماء الربانيين، فذلك يساعدهم على تحكيم شرع الله من خلال مناصب الدولة وقيادة الجماهير والتفاهم حول المشروع الإسلامي الكبير.**

5. **الحرص على تحكيم الشرع في كل صغيرة وكبيرة على مستوى الدولة والأمة،** فيأتي بذلك التوفيق الرباني، قال تعالى: **{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ...** } [الأعراف، الآية: 96].

إن خلافة عمر بن عبد العزيز حجة تاريخية على من لا يزال يردد ترديد الببغاء للكلمات والأصوات القائلة: إن الدولة التي تقوم على الأحكام الإسلامية والشريعة عُرضة للمشاكل والأزمات وعرضة للانهيار في كل ساعة، وأنها ليست إلا حلماً من الأحلام، ولا يزال التاريخ يتحدى هؤلاء.

ومما أدهشني في دراستي التاريخية: تواصل الأجيال الإسلامية فيما بينها عبر حلقات متماسكة تؤثر بعضها في بعض، فالسلطان نور الدين زنكي المتوفى (568هـ) كتب له الشيخ العلامة أبو حفص معين الدين عمر بن محمد بن خضر سيرة عمر بن عبد العزيز لكي يسير نور الدين على منهاجها، ولقد آتت معالم الإصلاح والتجديد الراشدي في عهد عمر بن عبد العزيز ثمارها في الدولة الزنكية عندما وجدت **العالم الكبير الذي رسم ملامح المشروع الإصلاحي** وهو الشيخ أبو حفص معين الدين، **واقتنع القائد العسكري والزعيم السياسي بسلامة المنهج** وهو نور الدين زنكي، ولقد قدم هذا الشيخ الجليل منهاجاً علميا لنور الدين زنكي من خلال سيرة عمر بن عبد العزيز، فبنى دولة العقيدة،

وحكّم الشريعة وأقام العدل ورفع الضرائب والمكوس عن الأمة، وعمل على إحياء السنة وقمع البدعة وعمّق هوية الأمة وفجّر روح الجهاد فيها ونشر العلم وساهم في تحقيق الازدهار والرخاء ....، وأصبح منهج عمر بن عبد العزيز الإصلاحي التجديدي مناراً للعاملين يدل على مجد الإسلام.

إن آثار تحكيم شرع الله في الشعوب التي نفَّذت أوامر الله ونواهيه ظاهرة بيّنة لدارس التاريخ، وإن تلك الآثار الطيبة التي أصابت دولة عمر بن عبد العزيز ودولة نور الدين زنكي ودولة يوسف بن تاشفين ودولة محمد الفاتح لهي سنن من سنن الله الجارية والماضية والتي لا تتبدل ولا تتغير، فأي قيادة مسلمة تسعى لهذا المطلب الجليل والعمل العظيم مخلصة لله في قصدها مستوعبة لسنن الله في الأرض فإنها تصل إليه ولو بعد حين وترى آثار ذلك التحكيم على أفرادها ومجتمعاتها ودولها وحكامها".

انتهى كلام الدكتور علي الصَّلَّابي حفظه الله.

وتم بفضل الله، فله الحمد أوَّلاً وآخراً[1].

([1]) نهاية الجزء الرابع من رسالة "بعد عام من الطوفان"، صدر بتاريخ 28 رجب 1446هـ، الموافق 28/ 1/ 2025م، بعد أيام من وقف إطلاق النار والذي تم في 19/ 1/ 2025م قبل أن تعود الحرب مرة أخرى في 19/ 3/ 2025م.

رسالة التعليق على عملية جباليا الثالثة وخطة الجنرالات[1]

([1]) صدر هذا المقال قبل بحث "بعد عام من الطوفان"، بتاريخ 12 ربيع الآخر 1446هـ، الموافق 15/ 10/ 2024م.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن سار على دربه، أما بعد.

فإن الهجمة الأخيرة الإجرامية على جباليا وشمال القطاع وما وقع ويقع فيها من مجازر يندى لها جبين الإنسانية ليدمي القلب ويملأ النفس لوعة وحزنا وأسى، ولكن القلوب المؤمنة لا يجد لها اليأس سبيلا؛ لأنها تتوكل على القوي العزيز الذي بيده ملكوت كل شيء، وترضى بقضاء الحكيم العليم الخبير الذي لا يعزب عن علمه وقدرته مثقال ذرة في السماوات والأرض، والخير كله بيديه والشر ليس إليه، فلا يكون منه إلا الحكمة المطلقة، ولا يؤول أمره إلا إلى الخير المطلق وإن كان في صورة يظنها ضعفاء العقول والإيمان شرا

فإنَّ **الفرق بين المؤمن القوي في إيمانه وبين غيره أنه يرى بنور الله تعالى بواطنَ الأمور، ويَنفذُ بصرُه القوي المستضيء بنور الإيمان من الظواهر التي يُبتلى الناس ويُفتنون بها إلى الحقائق الراسخة الثابتة.**

وحتى ينفذ البصر ويقوى لا بد من أمرين:

الأول: أن يستمسك العبد بمصباح الهدى والنور، وهو الوحي المتمثل بالكتاب والسنة.

والثاني: اليقين والثقة بكمالِ هذا المصباح والنور الذي لا يأتيه الباطل وأفضليتِه على كل ما سواه من بريق وأضواء زائفة خادعة من الأفكار والآراء من الظنون المظلمة الصادرة من الظلام والعدم، لأن الله هو الحق وهو نور السماوات والأرض، وكل ما سواه هو عدم في الأصل وباطل وظلام، وأصدق شِعر قاله شاعر كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم: ألا كل شيء ما خلا الله باطل. **فكل ما كان من الكتاب والسنة فهو حق ونور، وكل ما خالفهما فهو باطل وظلام يحسبه الظمآن ماء ثم لم يجده شيئا.**

ومِن أكثر هذا الباطل ما يُنفذه الشيطانُ في روع الناس وبعض المؤمنين من تخويفهم من أعداء الله تعالى بما لديهم من مظاهر القوة وبريقها الزائف، كما قال تعالى:

{**إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ**} أي يخوفكم أيها المؤمنون من أولياءه أعداء الله تعالى، ثم قال عز وجل: {**فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**} [آل عمران: 175].

إن هذه الحرب والهجمة الجديدة على جباليا والشمال لها ما بعدها، وهي مِن أشد مراحل هذه الحرب خطورةً؛ لأنها تسعى لأخبث خطة وهي تهجير أهل الشمال إلى الجنوب، ولو نجحت لا قدَّر الله فستتوالى المآسي، ولو فشلت بعون الله فستنطوي هذه الصفحة تماما بإذن الله تعالى.

ولذلك فإن الشيطان في ظل هذه الهجمة الشرسة وهذا المنعطف الخطير يحاول بكل قوة أن يزلزل القلوب وما يستقر فيها من إيمان بحبائل خداعه وتخويفه وتهويله، ونحن نحاول أن نبطل سحره بنور الحق وأن نستشرف المستقبل والمآل من خلال الكتاب والسنة، فإنهما الأمان من الزيغ والضلال وفيهما الطمأنينة والأمان.

والذي أراه والله أعلم من خلال نور الوحي: أن هذه الهجمة ستندحر خائبة ولن تكسرَنا وتحققَ مرادها بإذن الله تعالى، وذلك لما يلي:

1- قال تعالى في اليهود: {**كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**} [المائدة: 64]، قال ابن عاشور رحمه الله في التحرير والتنوير: "شبَّه حال انحلال عزمهم أو انهزامهم وسرعة ارتدادهم عنها وإحجامهم عن مصابحة أعدائهم بحالِ مَن انطفأت ناره التي أوقدها، والمعنى أنهم لا يلتئم لهم أمرُ حرب ولا يستطيعون نكاية عدو، ولو حاربوا أو حوربوا انهزموا"[1]. وقال صاحب الأساس في التفسير: "كلما أرادوا حرب الإسلام وأهله غُلبوا وقُهروا، أو كلما أرادوا إشعال نار حرب على الإسلام وأهله أطفأ الله كيدهم وشرهم، وما غَلَبوا في عصرنا في بعض المعارك إلا لأنهم يحاربون رايات لم تَقم على تقوى ولم تنتصب لإسلام"[2].

فالآية تشتمل على الأمرين:

([1]) التحرير والتنوير لابن عاشور (6/ 251).

([2]) الأساس في التفسير لسعيد حوّى (3/ 1437).

الأول: أنهم لا يكيدون كيدا ولا يخططون مخططا -كمخطط التهجير مثلا- إلا أوهن الله كيدهم وأبطله.

والثاني: أنهم لو حاربوا فسرعان ما ينهزمون؛ لأن قرْن الإطفاء بمجرد الإيقاد يُشعر بسرعة الإطفاء، فلم يقل ربنا مثلا: كلما أوقدوا نارا للحرب وأَحرقت أطفأها الله.

ولكن هذا الوعد إنما هو ممنوح للمؤمنين المتبعين لما أنزل الله تعالى من الكتاب والنور؛ لأن السياق كله جاء في خطاب المؤمنين، وخاطبهم بأهم خصائص الإيمان وهو الولاء والبراء مع أهل الكتاب بالذات، فالخطاب للمؤمنين الخُلّص، فالسياق يبدأ بقوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى}** [المائدة: 51]، ثم إنه في الآية نفسها قال تعالى: **{وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ... وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ}** [المائدة: 64]، فبيَّن تعالى أن إطفاء حربهم يكون من أهم أسبابه:

- إلقاء العداوة والبغضاء بينهم.

- وإلقاء العداوة والبغضاء سببه طغيانهم وكفرهم، كما قال تعالى: **{فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ}** [المائدة: 14].
- وكفرهم وطغيانهم يزداد بمعاندتهم للحق الذي أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم ومحاربتِهم لرايته **{ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا}** [المائدة: 64].

فكلما كانت الراية التي تحاربهم إسلامية خالصة وتمثل الإسلام التمثيل الأكمل كلما ازدادوا طغيانا وكفرا بمعاداتها ومحاربتها، فتزداد العداوة والبغضاء بينهم وسرعان ما تُطفأ حربهم، والتناسب بين هذه الأمور طردي.

وهذه الحرب رايتها بفضل الله تعالى إسلامية واضحة، ووجهتها الأقصى المبارك، وهذا في المجمل الغالب؛ وإن كان هناك بعض الغبش كبعض التساهلات العقدية في الولاء والبراء الناشئة من جهل أو تأويل خاطئ كبعض التساهلات في التطبيق وتمثيل الإسلام كالتقصير في النهي عن المنكر ومحاربة الفساد وتطبيق الشريعة فلا تُخرج

أصحابها من دائرة الدين، وكبعض الغموض في الأهداف التي ينبغي أن يكون على رأسها أن تكون كلمة الله هي العليا في الأرض كما بين النبي صلى الله عليه وسلم عندما قال: "**مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ**"[1].

ولكن الغالب سلامة الراية والعقيدة وسلامة النية التي تظهرها التضحيات الجسام في سبيل الله تعالى، ولذلك فإن نار اليهود في هذه الحرب ستُطفأ ويخيب كيدهم ولن يحققوا أهدافهم ولن يكسروا راية الجهاد في سبيل الله بإذن الله تعالى.

وإنما طالت هذه الحرب بتداخل السنن وتعانقها: فإن سُنة إطفاء حرب اليهود تُعانقها في هذه الحرب سنن أخرى –ليس هذا هو مجال الحديث عنها وسنفصلها في موطن آخر إن شاء الله–، ولكن من أهمها سنة وعد الآخرة القاضية بإساءة وجه اليهود بدخول المسجد الأقصى، وقد حان أوانها في هذا الزمان بإذن الله تعالى، وسنةُ العِقاب –التي سنتحدث عنها بعد قليل–.

كما أن سنة إطفاء نارهم مرتبط طرديا بخلوص راية الحق والدين التي تحاربهم كما سبق، فقد تطول الحرب بعض الشيء لوجود بعض الشوائب كما سبق ولكنها لن تطول كثيرا بإذن الله تعلى لغلبة الخير، ورحمةُ الله واسعة.

هذا بالنسبة للنظرة العامة للحرب.

ولكن الحرب مشتملة في طياتها على حروب ومخططات جزئية على بعض المناطق، منها هذه الحرب الخبيثة على الشمال، **وهذه الحروب الجزئية أشد وضوحا في أهدافها ورايتها، ورايةُ الإسلام فيها خالصة من تلك الشوائب**، ولا تعارضها السنن الأخرى غالبا، ولذا رأينا سرعة انطفائها وانسحاب اليهود منها خائبين إلا من الأذى الذي يُلحقونه بالمؤمنين كما قال تعالى: {**لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ (١١١) ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ..**} [آل عمران: 111–112].

([1]) متفق عليه: صحيح البخاري (123)، وصحيح مسلم (1924).

ولكن كمال ذلتهم وسرعة نصرنا عليهم وقوته يكون بكمال تحقق الشروط التي ذكرَتها الآية السابقة، وهي قوله تعالى: **{كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ}** [آل عمران: 110].

فشرط النصر التام: اكتمال شروط الخيرية التي تقتضي السيادة والزعامة على الأمم، وشروطها هي: التمثيل التام للإسلام، ورفع كلمته في الأرض باطنا بالإيمان الصحيح السليم، وظاهرا بالأمر بالمعروف والنهي المنكر، وهو يؤيد ما ذكرناه سابقا.

ولكن **هناك فرق بين إطفاء نار الحرب وبين النصر التام:** فإن النصر والتمكين التام يتطلب اكتمال الشروط، أما إطفاء النار فقد يكفي فيه فيمن يرفع راية الجهاد وجود أصل الاتباع بما أنزل الله تعالى والانقياد له مع تحقق أغلبه ولو على ضعف ودون الكمال، **وهذا متحقق وهو ما رأيناه في الحروب السابقة ونرجوه في هذه الحرب أيضا ونتوقعه ثقة بالله تعالى وبرحمته.**

2- قال تعالى: **{ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ}** [الحج: 60]، وهذا وعدٌ لن يخلَف بإذن الله تعالى، وقد حصل مثل ذلك مع التتار في عهد ابن تيمية رحمه الله تعالى، فكان في معركة شقحب مع جيش الإسلام وكان يحلف للقادة والجند أنهم منصورون في هذه المعركة، فكانوا يقولون له: قل إن شاء الله، فيقول: أقولها تحقيقا لا تعليقا، قال ذلك ثقة بوعد الله تعالى بهذه الآية، وقد استَشهد بها رحمه الله.

ونحن كذلك تتحقق فينا هذه الآية: سواء بالحرب العامة، حيث كان دخول 7 أكتوبر عقابا لهم بمثل ما فعلوه بنا طوال السنين الفائتة من مجازر وتنكيل في الأقصى والضفة وغزة وغيرها، ثم بغوا علينا بالحرب، فلنُنْصَرَنَّ عليهم، ونقول إن شاء الله تحقيقا لا تعليقا، **أو في الحروب الجزئية** الذي تكرر فيها بغيهم أكثر من مرة كما يحصل الآن في الشمال، فهذه تأكُّدُ النصر وعدم الانكسار فيها أعظم وأوثق بإذن الله تعالى.

3- قال تعالى: **{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ**

عَذَابٌ عَظِيمٌ} [البقرة: 114]، واليهود في هذه الحرب قد فعلوا ذلك على أبشع وجه وتعمدوا تدمير المساجد وتدنيسها، وهؤلاء الظلمة لا يحق لهم أن يدخلوا هذه البقاع الطاهرة إلا في حال الخوف من المؤمنين والخزي والذل، فإن الظالم لا يكون له أن يدخل بيت المَلك العادل القهار إلا خائفا ذليلا، وهذا يشتمل على معنيين أساسيين ذكرهما العلماء:

الأول: أن هذا خبر بمعنى الطلب. أي هو أمر للمسلمين بحراسة هذه المساجد وحمايتها ومنعها من الظلمة فلا يدخلوها إلا وهم خائفون، فإن دخلوها آمنين كان ذلك تقصيرا من المؤمنين ووجب عليهم دفعهم حتى يستخلصوها من أيديهم.

والثاني: أنها بشارة للمؤمنين بأن أولئك الظلمة إن سيطروا على مساجد الله تعالى فإن الله سيخلصها من أيديهم لأنها بيوته وقد قدَّر الملك سبحانه ألا يدخلوها إلا خائفين أذلة وأن لهم الخزي في الدنيا.

ويمكن الجمع بين القولين بأنه على المسلمين قتال الظلمة لمنعهم من مساجد الله تعالى ولتحريرها إذا احتلوها، مع البشارة لهم بأنهم إن فعلوا ما بوسعهم وقاتلوا لأجل دين الله ومقدساته فإن الله تعالى سينصرهم ويعيد إليهم بيوته لأنهم أحق بها وأهلها، وهو ما سيحصل معنا في هذه الحرب بإذن الله تعالى وفضله وكرمه.

4- عندما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن مرحلة الحكم الجبري "أي الدكتاتوري" في آخر الزمان والتي تسبق مرحلة الخلافة الراشدة مباشرة (والحكم الجبري هو هذه المرحلة التي نعيشها في زماننا هذا) سئل صلى الله عليه وسلم عن المخرج في هذه المرحلة الحرجة فقال: "الجهاد". ثم قال: "وخير جهادكم الرباط وخير رباطكم عسقلان". أي على حدودها والله أعلم، وغزة على حدودها وتعد من قضائها، وخير الرباط والجهاد لا يمكن أن ينكسر وسيبقى بإذن الله تعالى حتى تأتي الخلافة الراشدة لأنه المخرج إليها ولأن الجهاد باق لا ينقطع وإذا رضي الله عنه وأيده فلن ينكسر، فكيف بخير الجهاد! ومما يبث في النفس الطمأنينة أكثر أن الحرب في شمال قطاع غزة، أي أقرب إلى عسقلان، وتَحَقق الخيرية أكثر.

5- في غزوة أُحدٍ عوقب المسلمون بمخالفة الرماة لأمر النبي صلى الله عليه وسلم كما قال الله تعالى: **{أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ}** [آل عمران: 165]، وشمل شؤم المعصية وعقوبتها الجميع، حتى النبي صلى الله عليه وسلم شُج وجهه الشريف وكُسرت رَبَاعيته مصداقا لقوله تعالى: **{وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً}** [الأنفال: 25]، فلما ثبت النبي صلى الله عليه وسلم ومعه ثلة قليلة لم تتجاوز الأحد عشر رجلا في البداية كان ثباتهم حول راية الحق سببا في عدم سقوطها وانكسارها، فلم ينكسروا برغم ما أصابهم من القتل والجراح، وثبَّتهم الله وأيدهم، ورد الله الكفار فلم يستطيعوا استئصالهم.

وفي ذلك درس وعبرة لنا إلى يوم القيامة: أنه إذا ثبت حول راية الحق ثلة ولو قليلة من الصادقين فإن ذلك كفيل بألا تنكسر رايتهم، لا سيما إن كان لرايتهم تَميز وتَقدم في الإسلام، كأن تمثل بيضة الإسلام وشوكته في وجه الكفر وأهله أو تمثل خير الرباط.

وذلك كله متحقق عندنا بفضل الله تعالى، وقد رأينا بأعيننا من آيات ومظاهر التأييد الرباني في هذه المعركة ما يثلج الصدور فوق ما ذكرنا من مبشرات، حتى أدى ذلك إلى إسلام كثير من الناس في الغرب وغيره.

ونحن مع كل ذلك نتدثر بدعاء المؤمنين الصادقين في كل مكان بقلوبهم الخاشعة الملذوعة القريبة من المولى ﷻ فلن ننكسر إن شاء الله تحقيقا لا تعليقا.

رسالة لماذا طال أمد الحرب؟ (1)[1]

[1] صدر بتاريخ 26 شوال 1446هـ، الموافق 24/ 4/ 2025م، بعد شهر من عودة الحرب مرة أخرى.

الحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه، والصلاة والسلام على خير رسل الله الصادق المصدوق وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد.

قال الله عز وجل وقوله الحق: **{كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ}** [المائدة: 64]، فإطفاء الحرب التي يوقدها اليهود ضد المؤمنين سنة إلهية قرّرَتها الآية التي يقتضي معناها سرعة الإطفاء لأنها علقت **الإطفاء بمجرد إيقاد النار لا باستعارها واضطرامها،** مثلاً قال ابن عاشور رحمه الله: "شبّه حال انحلال عزمهم وانهزامهم وسرعة ارتدادهم عن الحرب وإحجامهم عن مصابحة أعدائهم بحال من انطفأت ناره التي أوقدها، والمعنى أنه لا يلتئم لهم أمر حرب ولا يستطيعون نكاية عدو، ولو حاربوا أو حوربوا انهزموا"[1].

ولكن قد طال أمد هذه الحرب الشعواء والله تعالى لا يخلف الميعاد ولا تتخلف سننه قطعاً، إذن **لا بد من وجود قصور فينا نحن أضعف فينا الأهلية والاستحقاق،** ذلك أن باقي الآية نفسها وكذلك سياقها بين الآيات يدلان على أن الحديث هنا عن الصراع مع المؤمنين الخُلّص الذين وصفتهم الآيات بصفات خاصة لا بد من تحققها لتحقق السنة الإلهية، قال الشيخ سعيد حوى رحمه الله: "كلما أرادوا حرب الإسلام وأهله غُلبوا وقُهروا، أو كلما أرادوا إشعال نار حرب على الإسلام وأهله أطفأ الله كيدهم وشرهم، وما غَلَبوا في عصرنا في بعض المعارك إلا لأنهم يحاربون رايات لم تقم على تقوى ولم تنتصب لإسلام"[2].

والراية التي تحاربهم في هذه الحرب تقوم في المجمل على جهاد وتقوى وتنتصب لإسلام، **فلا بد من وجود بعض الضعف والقصور في الخواص الذين يرفعون هذه الراية من أهل العلم والجهاد لأنهم يمثلون القلب،** ونظر الله تعالى إلى القلب فإن صلح صلح الجسد كله وتماثل للشفاء والعافية وإن انتشر الخبث؛ فلا بد من **دراسة الصفات التي رسمتها الآيات لمعرفة مكمن الخلل كما يلي:**

([1]) التحرير والتنوير لابن عاشور (6/ 251).

([2]) الأساس في التفسير لسعيد حوّى (3/ 1437).

أولا: بالنظر إلى باقي الآية وهو قوله تعالى: **{وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ}** [المائدة: 64] نجد فيها **تسلسلاً للأسباب التي تؤدي إلى إطفاء الحرب**، ذلك أن الله تعالى بيّن أن أهم أسباب إطفاء الحرب بغير القوة العسكرية يكون بإلقاء العداوة والبغضاء بينهم فيفرق كلمتهم ويوهن كيدهم، وأن سبب هذا الإلقاء هو زيادة طغيانهم وكفرهم كما في قوله تعالى: **{فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنا بَيْنَهُمُ الْعَداوَةَ وَالْبَغْضاءَ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ}** [المائدة: 14]، وأن سبب زيادة طغيانهم وكفرهم هو معاندتهم ومحاربتهم للحق الذي أنزل إلينا من ربنا وضرب لذلك مثلاً من صفات الله تعالى في أول الآية.

فالحاصل أنه كلما ازدادت الراية التي تواجههم نقاء وتمثيلا لدين الحق كلما ازداد طغيانهم وكفرهم بمحاربتها فتزداد العداوة والبغضاء بينهم فينتج عن ذلك انطفاء نار حربهم، وكلما قويت الأسباب تسارعت النتيجة.

ثانيا: بالنظر إلى السياق قبل الآية وبعدها نجد أن الآية ذُكرت في سياق خطاب المؤمنين **بأخص خصائص الإيمان وهو الولاء والبراء**، ابتداءً من قوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصارى أَوْلِياءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}**، ونجد كذلك أن الآيات فصّلت ونوعت في مظاهر الولاء والبراء بما يشير إلى **قصد الكمال فيهما**، ثم نوه السياق إلى **أهم مقتضيات الإيمان العملية وهي: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة شرع الله**، فقال تعالى: **{لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (63)}**، وقال: **{قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (68)}، وجماع ذلك تقوى الله عز وجل {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (65)}.**

والخلاصة أن الطريق إلى إطفاء نار الحرب هو بنقاء راية الجهاد وكمال تمثيل أهلها وحملتها للإسلام، ويتجسد ذلك في الصفات الثلاثة التالية:

1. تحقيق الولاء والبراء على أكمل وجه.

2. إقامة شرع الله تعالى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بقدر الإمكان.

3. تقوى الله عز وجل.

ويؤيد ذلك قوله تعالى: **{كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ}**، ثم قال بعدها مباشرة عن اليهود: **{لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَاّ أَذىً وَإِنْ يُقاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ}**، فبيَّن تعالى أن هزيمتهم وانكسارهم يكون بقدر حفاظنا على **مقام الخيرية والإمامة في الدين التي تقتضي السيادة على الأمم، وهي قائمة على أساسين:**

الأول: تحقيق الإيمان، ومن أهم خصائصه: الولاء والبراء؛ لقوله صلى الله عليه وسلم لأبي ذرّ رضي الله عنه: "**أَيُّ عُرَى الإِيمَانِ أَوْثَقُ؟**" قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: "**الْمُوَالاةُ فِي اللَّهِ، وَالْمُعَادَاةُ فِي اللَّهِ، وَالْحُبُّ فِي اللَّهِ، وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ**"[1]، **وتقوى الله عز وجل**؛ لأنها علامة القوة في الدين التي هي أهم خصائص الإمامة.

الثاني: تحقيق أهم مقتضيات الإيمان العملية المتعلقة بالإمامة في الدين وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمراد به رفع كلمة الله تعالى وإظهار دينه وإقامة شرعه من كل قادر عليه من المؤمنين كما قال صلى الله عليه وسلم: "**مَنْ رأى مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيّرْهُ بِيَدِهِ، فإنْ لَم يَسْتَطِعْ فَبِلِسانِهِ، فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذلكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ**"[2]، وقال: "**مَا مِنْ قَوْمٍ يَعْمَلُونَ بِالْمَعَاصِي وَفِيهِمْ رَجُلٌ أَعَزُّ مِنْهُمْ وَأَمْنَعُ لَا يُغَيّرُونَ؛ إِلَّا عَمَّهُمُ اللهُ عز وجل بِعِقَابٍ**"[3].

([1]) المعجم الكبير للطبراني (11537)، وصححه الألباني.

([2]) صحيح مسلم (49).

([3]) مسند أحمد (19192)، وسنن أبي داود (4339)، وحسنه الأرنؤوط.

وهذه هي نفس المقومات والصفات السابق ذكرها، فتضافرت الأدلة **ووجب على الجميع أن يتوبوا إلى الله تعالى ويتلبسوا بهذه الصفات؛ لأن هذا هو السبيل لوقف شلال الدماء النازف اليوم في غزة، فيجب:**

أولا: إعادة النظر في الولاءات كموالاة الروافض والركون إليهم، وهم من أشد الناس افتراء على الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وأزواج رسوله وأصحابه الطاهرين رضي الله عنهم أجمعين، وقد قال العلماء في قوله تعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ}** [الأعراف: 152] إن الروافض يدخلون في هذه الآية لأنهم من أشد الناس افتراء فلهم ولمن والاهم الذلة في الحياة الدنيا، وهم كذلك من الظلمة الذين ينطبق عليهم قوله تعالى: **{وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ}** [هود: 113] وما رأت الحركة المجاهدة شؤما بعد طول عز إلا بعد ركونها إلى هؤلاء وأذنابهم من النظام السوري النصيري البائد، فالمطلوب التبرؤ منهم والتوبة من موالاتهم، والمقصود التبرؤ العقدي القلبي ببغضهم وفضح عقائدهم الفاسدة وعدم مدحهم والثناء عليهم دينيا وإضفاء صفات التشريف والتكريم الدينية عليهم وفعلِ أي شيء يقتضي تعديلهم وتزكيتهم شرعا، فإن ذلك كله مع كونه خللا في الولاء والبراء فهو أيضا إخلال بالأمانة لأن الله تعالى جعلنا معيارا للحق وأمناء على طريق الهدى فقال: **{فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا}** [البقرة: 137] فإن عدّلنا الضّال أو ضلّلنا المهتدي فقد ضيعنا الأمانة.

وعليه **فلا يعني التبرؤ منهم بالضرورة ترك الاستعانة العسكرية بهم بقدر الحاجة،** فالنبي صلى الله عليه وسلم استعان بالمشركين وتحالف عسكريا مع قبيلة خزاعة وهي مشركة، **لكن مع التبرؤ التام ودون أي موالاة أو ركون** كما أمره ربه سبحانه وتعالى.

وكذلك **يجب التبرؤ من البدع والمعاصي ومن كل من يجاهر بها ويحادّ الله ورسوله** من الحكام وأصحاب الهيئات والعوام، قال تعالى: **{قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}** [التوبة: 24]، وقال: **{لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ**

يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ} [المجادلة: 22].

ثانيا: أن ننوي تطبيق شرع الله تعالى عند التمكن وإقامة شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من كل أحد في كل حين بقدر الإمكان، فإن عدم القيام بهذا الواجب العظيم والركن الأساسي من أركان التمكين حق القيام أثناء التمكن من ذلك هو من الأسباب الأساسية في سلب التمكين والتعرض للبلاء العظيم، قال تعالى: **{الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ}** [الحج: 41] أي: لله عاقبة الأمور فإن أقمتم هذه الأركان أقام تمكينكم وحفظه وإن ضيعتم بعضها سلبكم التمكين.

وإقامة الشرع هو المقصود أساساً من الجهاد والجهاد وسيلة إليه فعَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "**مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ**"[1]، بل إن إقامة الشرع هو المقصود أساساً من خلق الإنسان وجعله خليفة؛ لأن الخلافة تعني إقامة دين الله تعالى وأمره ونشر نوره في النفس والأرض، وهو المعنى الأشمل للعبادة، والمقصود أهم وأوجب من الوسيلة، ويكفي لبيان عظمته قوله تعالى: **{قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ}** [المائدة: 68].

ثالثاً: أن نتقي الله تعالى ونأخذ الدين بقوة كما أمر الله عز وجل: **{خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ}** [البقرة: 63]، فإن حملة اللواء لن يؤدوا حقه ويستحقوا ثمرته حتى يأخذوه بقوة. وحقيقة القوة اتباع الأحسن في الدين كما قال تعالى: **{فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا}** [الأعراف: 145]، قال الزمخشري: "أي فيها ما هو حسن وأحسن، كالاقتصاص والعفو، والانتصار والصبر. فمرهم أن يحملوا على أنفسهم في الأخذ بما هو أدخل في الحسن وأكثر للثواب، كقوله تعالى: **{واتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مّن رَّبّكُمْ}**"[2].

([1]) متفق عليه: صحيح البخاري (123)، وصحيح مسلم (1904).

([2]) الكشاف للزمخشري (2/ 288).

ومن أهم مظاهر ذلك اتقاء الشبهات كالمعازف ونحوها كما قال صلى الله عليه وسلم: "**دَعْ مَا يَرِيبُك إِلَّا مَا لَا يَرِيبُك**"[1]، وقال: "**فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ**"[2].

وتقوى الله تعالى وأخذ الدين بقوة من أهم الواجبات التي تطوق عنق الخواص اليوم وإن كانت مستحبة في غير هذا الوقت لأنها **المخرج الوحيد الحقيقي اليوم لما تعانيه غزة من ألم يهدّ الجبال هدّا**،ً قال تعالى: {**وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ**} [الطلاق: 2-3].

وفي الختام أنوّه إلى ثلاثة أمور:

الأول: إن تحقيق تلك الصفات المذكورة ومعرفة دقائقها وتفاصيلها لا يكون إلا بالعلم، فوجب توجيه الهمم نحوه فبه تنال المكارم وتبلغ القمم ووجب **تقديم العلماء الربانيين المجاهدين** فهم نجوم الهدى.

الثاني: أن هذه الحرب شأنها عظيم ويبدو أنها مقدمة لأحداث عظيمة جليلة كفتح الأقصى وتحقق وعد الآخرة، ولا يبدو أنها يمكن أن تتوقف إلا بحدوث تغيّر جذري وتجديد في الأمة يؤثر في تلك الأحداث ويغير مجرى التاريخ، وقد بدأ ذلك بالفعل من خلال انتصار الثورة السورية، ولكني أرى أن أهم تجديد وتغيّر جذري ينبغي أن يكون في فلسطين نفسها أي في الخواص من حملة لواء العلم والجهاد؛ لأنهم يمثلون رأس الحربة بالنسبة للأمة من خلال الاستمساك بالصفات والمقوّمات السابقة بما يؤهّلهم لاستحقاق الإمامة في الدين ومن ثم كمال النصر والتمكين، وهو أمر غفلوا عنه ولم يطمحوا إليه بعد تركيز أكثرهم على الجانب السياسي والجهادي فقط، **فوجب عليهم الآن التوجه نحو هذا المنحى عسى أن يفضي ذلك إلى رضى الله تعالى ووقف نزيف الدم وهذه الحرب الشعواء فإنه من أهم الأسباب لذلك.**

([1]) سنن الترمذي (2518) وقال: حسن صحيح، وسنن النسائي (5711)، وصححه الألباني.

([2]) متفق عليه: صحيح البخاري (52)، وصحيح مسلم (1599).

الثالث: إن هذه المرحلة الثانية من الحرب بعد الهدنة الطويلة نسبيّاً أشبه ما تكون بمعركة الأحزاب من حيث وجود الحصار وعدم الاشتباك المباشر في العمق، فإن استمر الأمر كذلك –وهذا هو رجائي وظني بالله تعالى– **ففيه بشارتان:**

الأولى: أن الله تعالى سيرد اليهود بغيظهم خائبين لن ينالوا خيرا كما رد الأحزاب وسينهي حربهم وينصر جنده ويهزم الأحزاب وحده بأمر من عنده، والمرجح هنا أن يكون بإلقاء العداوة والبغضاء بينهم كما مر سابقا.

ولكن ذلك مشروط بالاستقامة وحسن الاتباع وعدم التقصير فيه وصدق الإيمان والتسليم، وذلك كله يتحقق بالمقومات والصفات الثلاثة المذكورة سابقا، قال تعالى مبيّنا حال المؤمنين في الأحزاب الذي استحقوا معه النصر والمعية: **{لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (21) وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا (22) مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا}** [الأحزاب: 21–23].

الثانية: أن انصرافهم عنا سيكون آخر مسمار في نعش دولتهم إيذاناً بزوالها وتحقق وعد الآخرة بإذن الله تعالى بعد أن استنفذوا كل طاقتهم وقوتهم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم بعد الأحزاب في حقّ قريش: "**الآنَ نَغْزُوهُمْ وَلاَ يَغْزُونَنَا، نَحْنُ نَسِيرُ إِلَيْهِمْ**"[1].

والله مولانا فنعم المولى ونعم النصير.

([1]) صحيح البخاري (4110).

لـمـاذا طـال أمـد الـحـرب؟ (2)[1]

([1]) صد بتاريخ 4 ذو القعدة 1446هـ، الموافق 2/ 5/ 2025م.

الحمد لله والصلاة والسلام على خير رسل الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد.

فإني بينت في المقالة الأولى أن **أهم أسباب إطالة أمد الحرب هو ضعف الأخذ بأسباب سُنّة إطفائها عندنا**، ونوّهت إلى سبب آخر حين ذكرت أن **الظاهر أن هذه الحرب التاريخية العجيبة الدامية يراد بها أمر عظيم جلل وأنها لن تنتهي حتى تُحدث تغيراً جذرياً ما في الأمة يؤدي إلى يقظتها ونهضتها لإزالة إسرائيل وتحقيق وعد الآخرة ولإحياء الخلافة الراشدة الموعودة، لا سيّما في الشام ومصر، وقد بدأ ذلك في سوريا، ولعل التالي هي الأردن بإذن الله وبوادر ذلك بدأت تظهر في الأفق والله تعالى أعلم**، وقد شرحت ذلك مفصَّلاً تحت عنوان: تعانق السنن في مبحث: "بعد عام من الطوفان".

ولكن الأهم هو التغيّر الجذري في القلب الذي يحتضن المسجد الأقصى المبارك الذي هو محور الأحداث وبؤرة الصراع أي في **فلسطين**، فإن أهلها من أهل العلم والجهاد هم طليعة الجهاد في هذه الأمة ورأس حَربتها في مَلحمة وعد الآخرة، وهم الذين أكرمهم الله تعالى بمُقارعة الصهاينة المجرمين طوال الحِقبة السابقة وجعلهم درع الأمة الذي دفع عنها تغَوُّل المجرمين ومدّهم، وهذه الحرب **من أسباب طولها أيضاً أنها تُحقّق فيهم سنّة الابتلاء الشديد الذي يتمخّض عن تطهير شديد وتربية عظيمة واصطفاء خاص** كما بينت في تعانق السنن.

فيجب أن يتنبه هؤلاء الأبطال الكُماة إلى ما أعدّهم الله له وأراده منهم من حمل هذا العبء العظيم وما يقتضيه ذلك من تكاليف عظام يجب أن يهيّئوا أنفسهم ليكونوا أهلاً لها وصفات إيمانية جليلة يجب أن يتحقّقوا بها لأنها أهم أسباب نجاحهم وتأييدهم من مولاهم عز وجل، وهو ما أحاول أن أبيّنه في هذه المقالة من خلال الاستشفاف القرآني والتمعن في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم التي أَسّست للخلافة الراشدة الأولى والتي لن تقوم الثانية إلا على خطواتها وهُداها.

من المتفق عليه عند المؤمنين أن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم تتّسع لكل زمان وحال تمرّ به الأمة لأن الله تعالى جعله أُسوة للعالمين. وهو اتساع معنى وحِكمة بِغضّ النظر عن وِعاء الزّمان والمكان؛ لذلك فإننا عندما نقارن السيرة بواقعنا فإننا ننظر إلى المعاني والعبر المجردة عن الرسم والتفاصيل الخاصة بكل زمان وواقع. وكنت قد بينت من أول الحرب أنّ هذه الحرب أشبه ما تكون بغزوة أُحد وفصّلت ذلك في مبحث: "بعد عام من الطوفان"، فهي تشتمل على معنى عقاب الجَبْر وبلاء التطهير والتأهيل، وأهمّ ما ركزت عليه وفصّلته من فوائد من خلف هذا التأصيل:

1. **تحديد الخَلل وأسباب العقاب**؛ لعلاجها والتطهّر منها.

2. **أنّ المجاهدين الثابتين في هذه المعركة يرجى لهم أعظم الثواب بأن يكونوا من رفقاء النبي صلى الله عليه وسلم في الجنّة إن اتقَوا وسدَّدوا** كما أخبر صلى الله عليه وسلم عمّن دافع عنه من تلك الثُّلّة التي ثبتت معه؛ لأن هؤلاء دفعوا الكفار عن الدِّين المتمثل بالنبي صلى الله عليه وسلم وأولئك دفعوهم عن الدين المتمثل بالأمّة لأنهم خطّ الدفاع الأول عن الأمّة كلّها.

3. **اليقين التام بأننا لن ننكسر برَغم القتل والجراح وشدة الآلام والمصائب بسبب ثبات المجاهدين** كما ثبت النبي صلى الله عليه وسلم والثُّلّة القليلة معه وكان ذلك السبب في تأييد الله تعالى لهم وعدم انكسارهم، وهذا اليقين التام بعدم الانكسار إن شاء الله تعالى يعتمد مع ذلك على أسباب أخرى قد بينتها في المبحث المذكور وغيره.

ومن أهم العِبَر المستفادة من أُحد أنّ الله تعالى أراد أن يَغرس في نفوسهم صفة من أهم صفات النصر والتأييد، وهي التَّجَرّد لله تعالى، وذلك من خلال أمرين:

الأول: التجرد للراية وللحق والنور الذي شرّفهم الله تعالى بحمله وهذا من كمال التوحيد الخالص لله تعالى، وقد تجلَّى ذلك عندما أُشِيع في المعركة أن النبي

صلى الله عليه وسلم قد قُتل فلم يحتمل ذلك عدد من الصحابة الكرام وتجرّد نَفَر من الخُلَّص لله تعالى في هذا الموقف العصيب، فقال بعضهم: "إن كان محمدٌ صلى الله عليه وسلم قد قُتِل فإنّ ربَّ محمدٍ صلى الله عليه وسلم لم يُقْتَلْ؛ فقاتِلوا على ما قاتَل عليه محمدٌ صلى الله عليه وسلم"، ومنهم أنس بن النَّضر –رضي الله عنه– مرّ على قوم قعدوا عن القتال فقال: "ما يُجْلِسُكم؟ قالوا: قُتِلَ محمدٌ رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: فما تصنعون بالحياة بعدَه؟! قوموا؛ فموتوا على ما مات عليه رسول الله. وقال: اللّهم إني أبرأ إليك مما فعل هؤلاء –للمشركين– وأعتذر إليك مما فعل هؤلاء –للمسلمين القاعدين–" ثم غمس نفسه في الأعداء حتى استشهد فما عُرِف من كَثرة الجراح إلا بأصبعه. ومنهم رجل من المهاجرين مرّ على رجل من الأنصار وهو يتَشَحَّط في دمه، فقال: يا فلان، أشعرت أن محمّدا قد قتل؟ فقال الأنصاري: إن كان محمّدا قد قتل فقد بلَّغ، فقاتلوا عن دينكم، فأنزل الله: **{وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قُتل انقلبتم على أعقابكم}**. وحمل مصعب بن عمير رضي الله عنه اللواء، فقُطِعَتْ يدُه اليمنى، فأخذ اللواءَ بيده اليسرى وهو يقول: {وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قُتل انقلبتم على أعقابكم}، ثم قُطِعَت يدُه اليسرى، فجَثا على اللواء، وضَمَّه بعَضُدَيْه إلى صدره، وهو يقول: **{وما محمد إلا رسول ...}** الآية. وما نزلت هذه الآية يومئذٍ، حتى نزلت بعد ذلك[1].

وفيه تعليم فريد جميل على التمسك بالمبدأ وراية الحق ولو أُبيد القادة أو انخذلوا، فالمؤمن يقاتل من أجل الراية لا الأشخاص ومن أجل الحيّ سبحانه لا الأموات، وهو ما تعلَّمه المجاهدون في هذه الحرب بفضل الله تعالى.

الثاني: التجرّد من كل ما يَحُول بين المجاهد وبين رضا الله تعالى ونصره وتأييده، ورأس ذلك التعلّق بالدنيا وتقديمها على الآخرة، وقد كانت معصية أمر النبي صلى الله عليه وسلم بسبب الغنائم وحُبّ الدنيا هي السبب الرئيسي في

([1]) انظر: موسوعة التفسير بالمأثور: مركز الدراسات والمعلومات القرآنية (5/ 569–579).

الانتكاسة في أحد وقد أشار الله تعالى إلى ذلك في قوله: ﴿**حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ**﴾ [آل عمران: من الآية 152].

وقد جرّد الله تعالى المجاهدين في حربنا هذه من الدنيا كثيرا وقَطع أو خفَّف تعلّقهم بها من خلال الشدائد الصارفة عنها، وفي الحديث: "**إِنَّ اللهَ يَحْمِي** (من الحِمْيَة للمريض) **عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ الدُّنْيَا وَهُوَ يُحِبُّهُ، كَمَا تَحْمُونَ مَرِيضَكُمُ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ تَخَافُونَ عَلَيْهِ**"[1].

وهذا **التجرّد في أُحد بمثابة التَّخْلِية** لقلوب المؤمنين المجاهدين، ثم جاءت **الأحزاب** فكانت **بمثابة التَّحْلِية** لقلوبهم، وذلك أن أهم الصفات التي أراد الله تعالى غرسها في المؤمنين في الأحزاب هي الصدق كما سأبينه، فلما كَمَل الإعداد الإيماني في قلوبهم **تُوِّج ذلك بالنصر المبين والتمكين التام بفتح مكة** بعد ذلك ببضع سنين.

والمرحلة الأولى من هذه الحرب أشبهت غزوة أحد وكان فيها التخْلية والتجرّد، **وأما الثانية فهي أشبه بالأحزاب** كما ذكرت في المقالة الأولى ويُراد فيها التكميل والتحْلية للتهيّؤ للفتح المبين بعد ذلك بدخول المسجد الأقصى وتحقّق وعْد الآخرة الذي بدأت أُولى مراحله وهي مرحلة إساءة وجوه اليهود في معركة الطوفان وستستمر إلى دخول المسجد خلال عشر سنين فقط في غلبة الظن بإذن الله، ولا يعني ذلك استمرار الحرب هنا في غزّة بل ستُطفأ بإذن الله كما بيّنت في المبحث المذكور سالفاً، **فما هي صفات الكمال التي أراد الله تعالى غرسها في قلوب المؤمنين في الأحزاب؟**

ذكرت في المقالة الأولى أنّ **أركان السيادة** على الأمم التي ذكرها الله تعالى في قوله: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ**

([1]) مسند أحمد (23627)، وصححه الأرنؤوط.

وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (110) لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ (111)﴾ [آل عمران: 110-111]، وهي: الإيمان، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ هي الأساس الذي إذا تحقق ترتب عليه النصر وتَولّي اليهود والنصارى الأدبار أمامنا، وذلك لأن **هذه الصفات تعني وراثة الخلافة والإمامة الدينية** منهم التي تعني تحقيق المقصد من الخلافة التي خلق لها الإنسان وهي تَعبيد النفس والناس لله تعالى **بإصلاح البواطن** بالإيمان والتوحيد الصحيح، **والظواهر** بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والاستقامة على أمر الله تعالى، **فإذا تحقّق ذلك سَلِم لنا لواء الإمامة والخلافة فلم يَقُم له شيء**؛ لأنّ المستخلِف هو الله تعالى ونحن إنما نقاتل باسمه وبأمره عز وجل وتحت رايته التي لا يقوم أمامها شيء لأنّ العَدَم لا يقوم أمام الوجود الحقّ والظلام لا يقوم أمام النّور ويصيرون إنما يحاربون الله عزّ وجلّ الذي يعذبهم بأيدينا ﴿**فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى**﴾ [الأنفال: 17] ﴿**قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ**﴾ [التوبة: 14]، وإنّما الخلل يكون أحياناً فينا نحن العبيد حين لا نُمثّل راية الله تعالى حقّ التمثيل فيكون القتال باسمنا أو مشوباً باسمنا وأهوائنا فنُوكَل إلى أنفسنا ويتخلّف النصر بقدر هذا الشَّوب.

هذه الأسس جاءت غزوة الأحزاب لتكميلها بكمال الصدق في قلوب المؤمنين على أكمل وجه ليتأهَّلوا للفتح العظيم وذلك على النّحو التالي:

قال تعالى في أول سورة الأحزاب: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (1) وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (2) وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (3)**﴾ [الأحزاب: 1-3].

فإنّ توجيه الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وإن كان خطاباً لأمّته لأنه إمامها فإنه يَحمل أيضاً معنى إرادة الكمال الذي يقتضيه مقام الخطاب بالنبوة.

وقد أمره الله تعالى بما يقتضي كمال الاستقامة وإقامة الدين باطناً وظاهراً، فأمره بالتقوى وهي مرتبة من أعلى مراتب الإيمان، وأمره بالتوكُّل التامّ على الله تعالى بحيث يكون هو وحده وكيله وحسيبه، والتوكُّل من أعظم معاني التوحيد ومظاهره ويدل على إرادة أقصى درجات الكمال في ذلك قوله تعالى: ﴿**مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ**﴾ [الأحزاب: من الآية 4] قال الرازيّ: "إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا أَمَرَ النبي عليه الصلاة والسلام بالاتقاء كَانَ ذَلِكَ أَمْرًا لَهُ بِتَقْوَى لَا يَكُونُ فَوْقَهَا تَقْوَى، وَمَنْ يَتَّقِي وَيَخَافُ شَيْئًا خَوْفًا شَدِيدًا لَا يَدْخُلُ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ آخَرُ، أَلَا تَرَى أَنَّ الْخَائِفَ الشَّدِيدَ الْخَوْفِ يَنْسَى مُهِمَّاتِهِ حَالَةَ الْخَوْفِ، فَكَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ، وَمِنْ حَقِّهَا أَنْ لَا يَكُونَ فِي قَلْبِكَ تَقْوَى غَيْرِ اللَّهِ فَإِنَّ المرء ليس له قلبان حيّان يتقي بأحدهما الله وبالآخر غَيْرَهُ، فَإِنِ اتَّقَى غَيْرَهُ فَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا بِصَرْفِ الْقَلْبِ عَنْ جِهَةِ اللَّهِ إِلَى غَيْرِهِ وَذَلِكَ لَا يَلِيقُ بِالْمُتَّقِي الَّذِي يَدَّعِي أنه يتق اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ، ثُمَّ ذَكَرَ لِلنَّبِيِّ عليه الصلاة والسلام أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَتَّقِيَ أَحَدًا فِي حِكَايَةِ زَيْنَبَ زَوْجَةِ زَيْدٍ حَيْثُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿**وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ**﴾ يَعْنِي مِثْلُ تِلْكَ التَّقْوَى (للناس) لَا يَنْبَغِي أَنْ تَدْخُلَ فِي قَلْبِكَ"[1].

وكذلك أمر الله نبيّه صلى الله عليه وسلم باستقامة الظاهر على جهة الكمال أيضاً فأمره باتِّباع ما يوحَى إليه من ربّه ومخالفة الكفار والمنافقين، والاستقامة التامّة لا تكون إلا بهذين الأمرين معاً كما في قوله تعالى في الفاتحة: ﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (7)**﴾ [الفاتحة: 6-7]، كما أنّ الأمر باتباع الوحي ومخالفة الكفار والمنافقين يشتمل على الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فتتحقّق بذلك أركان السِّيادة والإمامة على أتمّ وجه.

([1]) مفاتيح الغيب للرازي (25/ 155).

ثم قال الله تعالى في افتتاح الحديث عن غزوة الأحزاب: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا (7) لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا (8)**﴾ [الأحزاب: 7-8].

والميثاق الغليظ هو إقامة الدين في الأرض وتعبيد النفس والناس لله رب العالمين ظاهراً وباطناً، قال تعالى: ﴿**شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ** ...﴾ [الشورى: من الآية 13].

فمجموع آيات الأحزاب والشورى يدل على أنّ المطلوب من أمم الأنبياء اتِّباعهم فيما شرَع الله لهم من الدين باطناً وظاهراً وأنّ هذا هو معيار الصدق الذي سيسألون عنه كما في قوله تعالى: ﴿**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ [آل عمران: 31]، وخوَّف الله الصادقين بأنه سيسألهم عن حقيقة صدقهم وذلك بسؤالهم عن مدى اتِّباعهم وعن حقيقة هذا الاتِّباع هل كان خالصاً لله باطناً أم لا؟ ليستزيد صدقهم وإخلاصهم ويطهره من الشوائب، قال القُرطُبي في تفسير الآية: "(الوجه الرَّابِعُ): لِيَسْأَلَ الْأَفْوَاهَ الصَّادِقَةَ عن القلوب المخلصة"[1]، وقال سَهْل بن عبد الله التُّسْتَرِيّ: "لا يَشَمّ أحد رائحة الصِّدق ما دام يُداهن نفسه أو غيره، بل الصدق أن يكون في سرِّه أنه ليس على وجه الأرض أحد طالَبَه الله بالعُبودية غيره ... فإذا رآهم الله تعالى على هذه الحالة تولّى أمورهم وكَفاهم، فصارت كل شعرة من شعورهم تنطق مع الله بالمعرفة، فيقول الله تعالى لهم يوم القيامة: "لمن عملتم؟ ماذا أردتم؟" فيقولون: لك عملنا، وإيّاك أردنا. فيقول: "صدقتم". فوَعِزّته فقوله لهم في المشاهدة: "صدقتم" ألذّ عندهم من نعيم الجنة"[2].

([1]) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (14/ 128).

([2]) تفسير التستري (ص126).

وسؤال الصادقين من معانيه أيضاً ابتلاؤهم؛ لأنّه يبتليهم ليعلم صدقهم أي ليُظهره في الدنيا وفي الآخرة حين يسألهم عنه، وهو موافق لقوله تعالى: ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ**﴾ [آل عمران: 142]، ﴿**وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ**﴾ [العنكبوت: 3]، وكانت غزوة الأحزاب من هذا الابتلاء ولذا ذكرها الله تعالى بعد إخباره عن سؤال الصادقين عن صدقهم ولذلك كان مقصودها الأعظم ترسيخ كمال الصدق في القلوب والله تعالى أعلم.

والصِّدق في اللّغة يعني القوّة، والمقصود هنا القوّة والكمال في إقامة الدين ظاهراً وباطناً، قال ابن فارس: "الصَّادُ وَالدَّالُ وَالْقَافُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى قُوَّةٍ فِي الشَّيْءِ قَوْلًا وَغَيْرَهُ. مِنْ ذَلِكَ الصِّدْقُ: خِلَافُ الْكَذِبِ، سُمِّيَ لِقُوَّتِهِ فِي نَفْسِهِ، وَلِأَنَّ الْكَذِبَ لَا قُوَّةَ لَهُ، هُوَ بَاطِلٌ. وَأَصْلُ هَذَا مِنْ قَوْلِهِمْ شَيْءٌ صَدْقٌ، أَيْ صُلْبٌ. وَرُمْحٌ صَدْقٌ"[1].

ويتجلَّى الصّدق مع شدّة البلاء؛ لذلك يشدِّد الله البلاء أحياناً على من يحِبّ لأنّهم بصدقهم يختارون الله تعالى ويَسْمُون على الدنيا فتحترق الدنيا في قلوبهم كما تحترق الشوائب المخالطة للذّهب عند عرضه على النار فيستخلصهم الله لنفسه ويُظهر صدقهم ويزيده قوة إلى قوته، وقد تجلَّى الصّدق العظيم في الأحزاب في كل منحنياتها بداية من الظنون والخواطر قال تعالى: ﴿... **وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (10) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا (11)**﴾ [الأحزاب: 10-11]، فإنه **مع الزلزلة الشديدة تمايز المسلمون إلى ثلاث فرق: المنافقون، ومريضو القلوب، والصادقون.** وتباينت ظنونهم تبَعاً لذلك:

فالمنافقون قالوا بلسان الحال والمقال: ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً.

وأصحاب القلوب المريضة بالشبهات أو الأهواء من المسلمين قالوا ذلك بلسان الحال لا المقال من خلال ضعفهم وتفكيرهم بالفِرار، قال تعالى: ﴿**وَإِذْ يَقُولُ**

([1]) مقاييس اللغة لابن فارس (3/ 339).

الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب: 12] قال ابن كثير: "أما المنافق فنَجَم نفاقه، والذي في قلبه شبهة أو حسيكة (أي حقد) لضعف حاله فتنفَّس بما يجده من الوسواس في نفسه لضعف إيمانه وشدة ما هو فيه من ضيق الحال"[1]، **وهذا لسان مقال أو حال كثيرين من المنافقين ومريضي القلوب وضعافها اليوم في هذه الحرب كذلك.**

وأما **الفريق الثالث وهم الصادقون** فإنهم بسبب صدقهم ما زادهم البلاء إلا إيماناً وتسليماً كما بينت فكان ظنّهم بالله تعالى أحسن الظنون وقد اقتدَوا في ذلك بنبيّهم صلى الله عليه وسلم الذي كان يبشرهم بفتح فارس والروم واليمن في أحلك تلك الظروف فيُكذّبه المنافقون ويتردَّد أصحاب القلوب المريضة ويُصدّقه المؤمنون **﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾** [الأحزاب: 22]، **وهذا الإيمان والتصديق واليقين الفائق الذي لا يتزعزع في مثل هذه الظروف هو أصدق الإيمان، وهو ما نحتاج إليه تماماً في هذه الظروف الحالِكة التي نعيشها اليوم وهو ما لا يمكن أن تَملِكه إلا القلوب الصادقة الطاهرة.**

وإلى جانب حُسن الظن وقوّة الإيمان والتصديق يتجلَّى صدق الإيمان أيضاً في إرادة الله واليوم الآخر دون ما سواهما وفي كثرة الذِّكر والمراقبة القلبيّة لله كما أشار إليه قوله تعالى: **﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾** [الأحزاب: 21].

والابتلاء بالمنافقين وأصحاب القلوب المريضة كبير دائماً وخطرهم عظيم، لذلك نجد أن الآيات التي تحدثت عنهم هنا أكثر بكثير من التي تحدثت عن العدو الظاهر، ومن تأمَّل أقوالهم وأحوالهم التي عرضتها الآيات وكشفتها يجد تشابه أحوالهم في كل زمان ومكان ويَهون عليه ما يسمعه ويراه اليوم من كلام المرجفين

([1]) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (6/ 167).

والمعوّقين والمخذِّلين وأصحاب القلوب المريضة بشتّى أنواع الشبهات والأهواء والمطامع والشهوات والضعف والخَوَر، وأفعالهم.

وكما تجلَّى الصّدق في الأحزاب في استقامة البواطن وكَمال سُمُوّها تجلّى في استقامة الظاهر وتعبيده لله تعالى على أكمل وجه كذلك، فقد خالف المؤمنون الكفار والمنافقين وأشباههم من أهل الأهواء والشبهات إلى أقصى درجة وهي الجهاد باليد واللسان وبيّن القرآن أحوال المنافقين وأشباههم وخفاياهم لفضحهم ومجاهدتهم بالبيان والإغلاظ وهو من أعظم أبواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وفي المقابل أمر باتّباع أقوم طريق وأعدلها وأوسطها وهي طريقة خير الخلق وأحبهم إلى الله تعالى عليه أفضل الصلاة والتسليم، وفي ذلك أكمل الاستقامة وأسدّها، فقال تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا**﴾ ونوّه إلى أنّ استقامة الظاهر وصدقه مبنيّ على استقامة الباطن وصدقه وإلى أنّ المراد قوّة الاتّباع وكماله لأنّ من ذَكر الله كثيراً سيزيد ذِكره واتّباعه للنبي صلى الله عليه وسلم.

وكذلك بيّن أن من سمات الصادقين في الظاهر التسليم التام وهو أعلى درجات الطاعة لله ورسوله كما في قوله تعالى: ﴿**فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ [النساء: 65]، وقد كان الأصل عند الصحابة الملازِمين للنبي صلى الله عليه وسلم من قوة اتّباعهم وتسليمهم له أنهم لا يفرقون بين الواجب والسنّة ولا يسألون عن أمر النبي صلى الله عليه وسلم هل هو للوجوب أم الندب بل يُسلّمون لأمره تسليماً مطلقاً وهو منهاج الخلافة الأولى الذي ينبغي أن نُرَبّي أنفسنا عليه اليوم لنقيم الثانية بإذن الله.

فتحصل من ذلك أن **الصّدق تجلّى في الأحزاب على أكمل وجه وهو ما أهّلهم للفتح الكبير بعد ذلك،** وتجلّى ذلك بكمال الصلاح والاستقامة وإقامة أمر الله ودينه في الباطن والظاهر، ففي الباطن بصدق الإيمان من خلال حسن الظنّ بالله تعالى

وقوة الإيمان والتصديق وإرادة الله واليوم الآخر دون ما سواهما وكثرة الذِّكر والمراقبة القلبية لله تعالى، وفي الظاهر بقوة اتّباع النبي صلى الله عليه وسلم في كل صغير وكبير وبالتسليم التامّ لله ورسوله، تم تُوّج ذلك كله بآية تذوب لها قلوب الصّادقين وهي قوله تعالى: ﴿**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (23) لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا** (24)﴾ [الأحزاب: 23-24] وفيها التنبيه على أنّ من أهمّ علامات الصدق الثبات على طريق الصدق دون أيّ انحراف مهما قلّ.

فالأحزاب هي غزوة الصّدق والتمحيص لأنها استمرّت فترة طويلة قُرابة الشهر وطال فيها أمد البلاء واشتدّ أمره بخلاف غيرها من الغزوات، ولم يحصل فيها خَلخَلة في صفوف المؤمنين الصادقين كما حصل في أحد (ولعل هذه هي الحكمة في وضع آية الصدق السابقة في سورة الأحزاب وأثناء الحديث عن غزوتها مع أنّها نزلت في أُحد كما في الصحيحين وغيرهما)، فكانت النتيجة التأييد والنصر والكفاية التامة من الله تعالى ﴿**وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا**﴾ [الأحزاب: 25]، ولهذا كان صلى الله عليه وسلم يقول: "**لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، أَعَزَّ جُنْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَغَلَبَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ، فَلَا شَيْءَ بَعْدَهُ**"[1]، **فلمّا اكتمل التأييد كان ذلك إيذاناً باستحقاق التمكين والنصر التام وقُرْبه فكان بعده فتح مكة المكرمة**[2].

فالمطلوب اليوم أن يرى الله تعالى من أهل الصدق الذين هم أهل العلم والجهاد كمال الصدق باطناً وظاهراً على النحو الذي حصل في الأحزاب ليرُدّ الله عنّا العدو خائباً مدحوراً ويكون ذلك آية التأييد والتأهيل للفتح الأكبر بإذن الله

([1]) متفق عليه: صحيح البخاري (4114)، وصحيح مسلم (2724).

([2]) تم تناول بعض معاني سورة الأحزاب في درس بتاريخ 21/ 6/ 2024م، بعنوان "**أثر الحرب في تمايز الصف**"، الرابط/ https://t.me/ramydaly/5512.

تعالى، ورجاؤنا وظنّنا بمولانا عز وجل أن يعيننا ويُفهِّمنا ويُسدِّدنا ويُثبِّتنا برغم تقصيرنا وإسرافنا في أمرنا.

وأود التنويه في الختام إلى أنّ هذه التربية التي ربَّى الله تعالى عليها أولياءه في أحد والأحزاب وغيرهما لم تكن دائماً تربية طوعية بل هي قدَريّة في الغالب، أي أنّ الله تعالى يُقدّر لهم الظروف المؤثِّرة ويُعينهم على التأثُّر والفهم عنه سبحانه (وهو من أهم الأمور والدّور الأكبر لأهل العلم)، **وهو ما يحصل معنا في هذه الحرب**، ولكن التغيّر في النفوس يكون غالباً بطيئاً لا يُشعَر به لكنّه موجود، والله تعالى اللطيف الخبير يصنع جنده وأولياءه على عينه بحِلم ليكونوا جيل النصر الذي سيُفتح الأقصى على يديه قريباً بإذنه تعالى وإنْ خفي ذلك عن أعين الناس وقلوبهم وبعيداً عن تأثير بعض السّاسة والقادة الذين تغلغلت الدنيا إلى قلوبهم.

فأبشروا وأمِّلوا الخير فإنّ معنا القَدَر الذي لا يُقهر ووعد الله تعالى الذي لا يتخلَّف، والقدر المحتوم أن الأُمّة في صعود بإذن الله تعالى نحو القِمّة الموعودة وهي وعد الآخرة وزوال إسرائيل وقيام الخلافة الراشدة على أنقاض الحكم الجَبريّ، وكل الدلائل والمؤشِّرات المستقاة من نور الكتاب والسنّة تدل على بداية هذا الصعود كما بيّنت في الكتابات السابقة ولكن لا يُبصر ذلك إلا من كان له قلب جرَّده لنور الوحي أو ألقى السمع وهو شهيد ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: 103].

والحمد لله ربّ العالمين.

رسالة: {إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}[1]

(1) صدر في 8 ذي القعدة 1446هـ الموافق 6/ 5/ 2025م.

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا الذي لم يَخشَ إلا الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد.

فإنّ أعداء الله تعالى والإنسانية يحاولون أن يضغطوا على المجاهدين والمرابطين من أهل غزة الإباء ويُرهبوهم؛ ولكن انتفاشة الباطل الذي أصله العدم سرعان ما تزهق وتتلاشى أمام ثبات الحق الأزلي الذي يُمَدّ من الخالق سبحانه **{بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ}** [الأنبياء: 18].

ولا نقول ونفعل إزاء ذلك إلا كما أخبرنا ربنا عز وجل عن خير رسله صلى الله عليه وسلم وخير عباده بعد الأنبياء صحابته الكرام رضي الله عنهم: **{الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ (172) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (173) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (174) إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}** [آل عمران: 172-175]. أي ذلك الشيطان يخوّفكم أيّها المؤمنون من أوليائه فلا تخافوهم وخافوا الله الذي هو ربكم وإيّاهم إن كنتم مؤمنين حقّاً عارفين بحقّ ربكم معظِّمين له حقّ التعظيم.

وإذا كان الله تعالى هو وليّ المؤمنين ومؤيّدهم وناصرهم والشيطان الرجيم هو وليّ الكافرين ومؤيّدهم وناصرهم فكفى بذلك مثبّتاً ومقويّاً ومطَمئناً لقلوب المؤمنين {الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا} [النساء: 76]، **{ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ}** [الأنفال: 18]، **{وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ}** [غافر: 25]

ومع هذه السنّة الإلهية الثابتة في إضلال كيد الكافرين وإضعافه **فهناك ثلاثة أسباب تجعلني مطمئنّاً غاية الطُّمَأنينة إلى أنّ هذه الهجمة ستؤول إلى الفشل الذريع في نهاية المطاف كسابقاتها،** بل لعلّ مولانا عز وجل أن يردّهم عنّا ابتداء بتدبير من عنده ويصرفهم عنا خائبين لا ينالون خيراً كما في الأحزاب وهو الذي يغلب على ظنّي لما

ذكرته في مقال: (لماذا طال أمد الحرب)، وعلى كلّ فالله تعالى يقول: **{قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ}** [التوبة: 52]، وهذه الأسباب الثلاثة هي:

الأوّل: أنهم خانوا ونقضوا العهد بخرقهم لكثير من بنود اتفاقية وقف النار التي أبرموها مع المقاومة ثم انقلابهم عليها بالكلّيّة والله تعالى يقول: **{وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ}** [يوسف: من الآية 52] قال العلماء: أي لا يُنْفِذه ولا يُسدّده بل يُبطله ويُزهقه، فالخائن وإن راج كيده في بدايته فإنّه لا يُثمِر له كيد ولا يَنجح بوجه من الوجوه[1].

ويؤيّد ذلك قوله تعالى: **{وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}** [الأنفال: 71]، قال الرازي: "وفيه بِشارة للرسول صلى الله عليه وسلم بأنّه يتمكّن من كلّ من يخونه وينقض عهده"[2]. وخطاب النبي صلى الله عليه وسلم خطاب لأمته المتّبعة لأثره.

الثاني: أن الله عز وجل يريد أن يعلّمنا التوكّل، ولم يزل من أول الحرب يُخوّفنا ثم يردّ عنا ويزيدنا تخويفا ليزيدنا توكّلاً، وقد رأينا من ذلك عجباً من أول الحرب، فأيّ قوة تلك التي نمتلكها في غزة تقدر أن ترد عنّا قوة الجيش الذي يُرعِب الأمّة كلّها ببطشه وجبروته أكثر من سنة ونصف ثمّ بعد ذلك يريدون أن نخاف منه الآن؟! والله إنّ صفة إيمانيّة واحدة نكسبها ويغرسها المولى عز وجل في قلوبنا لهِي خير من الدنيا وما فيها، فما بالكم بصفة التوكل التي هي من أهم مظاهر التوحيد الخالص الذي هو أسمى درجات الإيمان وغاية المقصود من العبادة القلبيّة والبدنيّة.

ولذلك نلاحظ أنّ الله تعالى ما فتح على النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين الخُلَّص الفتح الكبير فتح مكة إلا بعد أن غرس في قلوبهم التوكل غرساً، حيث هزم المشركين في معركة الأحزاب وحده بعد أن جمعوا كلّ كيدهم وأخافوا المؤمنين خوفاً

([1]) انظر: الكشاف للزمخشري (3/ 181)، تفسير الألوسي (9/ 47)، المحرر الوجيز لابن عطية (4/ 15)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (10/ 128)، التحرير والتنوير لابن عاشور (12/ 293).

([2]) تفسير الرازي (7/ 444).

عظيماً ليرسّخ الله عند المؤمنين أنّ الأمر كله بيده وحده سبحانه، وقد التقط النبي صلى الله عليه وسلم ذلك عن ربّه ورسّخه في قلوب الصحابة رضي الله عنهم فكان يردّد دائماً: "**وهَزَم الأحزاب وحده**"[1]. فلمّا علموا أنّهم ليس لهم من الأمر شيء وأنّ الأمر كلّه لله ورسخت أقدامهم في مقام التوكل الكامل على الله تعالى والتبرّؤ التامّ من حَولهم وقوّتهم استحقّوا التمكين التامّ بفتح مكة.

وفي هذه الحرب يتكرّر الشيء نفسه بما أذهل العالم كلّه، **فوالله إنّ الله تعالى هو الذي يهزم اليهود وحده وما أبطالُنا إلا سِتارٌ لقَدَره تعالى يؤدّون الواجب الذي عليهم ليرتفعوا بذلك ويتشرّفوا به ويُشرّفوا أمّتهم كلّها فقط، أما النتائج المذهلة التي هي أكبر من قدراتهم وطاقتهم بكثير فهي من الله تعالى وحده ليُرسّخ فينا معنى التوكل التامّ عليه سبحانه وأنّه ليس علينا إلا العمل فقط بقدر المتاح كما في حفر الخندق**، وما يزيد اليهود في تخويفنا في هذه المرحلة إلا ليزيدنا الله سبحانه توكّلا عليه تمهيداً لما وعدنا به من وعد الآخرة ودخول المسجد الأقصى الذي صار أقرب ما يكون خلال السنوات العشر القادمة بإذن الله تعالى كما بيّنت في مبحث: (بعد عام من الطوفان)، ونحن إنما نرصُد الحاضر بمِنظار المستقبل الذي أضاءه لنا الوحي وبيّنه فيكتمل المشهد عندنا وتتجلَّى لنا حقيقة الحاضر الخافية ونكون فيه على بينة وطمأنينة قد يستغربها من لا ينظر إلّا إلى مواقع قدَمَيه.

الثالث: غزّة خير الرّباط كما في الحديث المرفوع: "أَوَّلُ هَذَا الْأَمْرِ نُبُوَّةٌ وَرَحْمَةٌ، ثُمَّ يَكُونُ خِلَافَةً وَرَحْمَةً، ثُمَّ يَكُونُ مُلْكًا وَرَحْمَةً، ثُمَّ يَكُونُ إِمَارَةً وَرَحْمَةً، ثُمَّ يَتَكادَمُونَ عَلَيْهِ تَكادُمَ الْحُمُرِ فَعَلَيْكُمْ بِالْجِهَادِ، وَإِنَّ أَفْضَلَ جهادِكُمُ الرِّبَاطُ، وَإِنَّ أَفْضَلَ رباطِكُمْ عَسْقَلَانُ"[2]، وغزّة من قضاء عسقلان وتابعة لها فالرباط فيها مثال أعلى للأمة، وما جُعِل كذلك فهو مؤيَّد من الله تعالى يُقصد به إحياء الأمة ورفع معنوياتها بالنصر والتأييد لا إماتتها وتحطيم معنوياتها بالهزيمة والانكسار، وهذا ظنّنا الحَسَن بالله تعالى الذي لا يَخيب بإذن الله.

([1]) متفق عليه: صحيح البخاري (2995)، وصحيح مسلم (1344)

([2]) المعجم الكبير للطبراني (11138)، وصححه الألباني.

ويُرسِّخ ذلك ما وعدَنا به الله ورسوله صلى الله عليه وسلم من الخلافة والسيادة ووعَد به اليهود من الهلاك والتّتْبير وما أبلانا الله منه سبحانه وعوّدَنا عليه من بلاء حَسَن طوال الفترة السابقة للحرب، والكريم سبحانه ما أمدّنا وأيّدنا طوال هذه المدة ليكسرنا بعد ذلك ويكسر بنا قلوب خيار عباده في بقاع الأرض، بل ليجعلنا مَثَلاً تحيا به الأمّة وتنهض من جديد وليُصَدِّق وعْده ووعْد نبيّه صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى.

اللهم استر عوراتنا وآمِن روعاتنا، اللهم إنا نجعلك في نحور اليهود ونعوذ بك من شرورهم، اللهم اكفناهم بما شئت وكُفّ عنّا بأسهم.

والحمد لله رب العالمين.

فهرس الموضوعات الإجمالي

الموضوع	الصفحة
بعد عام من الطوفان.. تأملات، وحلول، وتوقعات	**1**
القسم الأول/ التأملات:	**2**
النظرة الأولى: الحرب ومفهوم العقاب	3
النظرة الثانية: التأصيل الشرعي لحرب طوفان الأقصى	25
النظرة الثالثة: تعانق السنن	29
النظرة الرابعة: تصحيح بعض المفاهيم والتصورات في البناء الفكري	43
النظرة الخامسة: حكم الجهاد في غزة في معركة الطوفان	50
النظرة السادسة: تأملات في سورة الإسراء	56
النظرة السابعة: سقوط نظام الأسد في سوريا	75
القسم الثاني/ التوقعات:	**93**
1. مصير ومآل الحرب والمفاوضات في غزة	96
2. المقاومة والحكم في غزة بعد الحرب وفي المرحلة القادمة	99
3. طرق ضعف دولة اليهود في المرحلة القادمة	104
4. انتخاب ترامب وتناغمه مع السنن	105
5. أشكال التغيير في الدول العربية في الموجة القادمة من الربيع العربي	108
6. مستقبل الثورة في سوريا	112
7. مآل جهود السلطة ضد المجاهدين في الضفة الغربية	114
8. النظام الدولي وميزان القوى	115
9. وقت المرحلة الثانية من الفتح وهي دخول الأقصى وفتحه وزوال الكيان	116

المسخ في غضون عشر سنوات	
10. طريقة مرحلة دخول الأقصى وفتحه القريب هي طوفان ثان يشبه الأول	124
القسم الثالث/ الحلول:	**126**
أولا: تحديد الهدف	128
ثانيا: تحديد الخلل	130
ثالثا: الحل والعلاج	137
خاتمة: مقتطفات من سيرة الإمام المجدد الأول الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى	**153**
رسالة (2): التعليق على عملية جباليا الثالثة	**165**
رسالة (3): لماذا طال أمد الحرب؟ (1)	**173**
رسالة (4): لماذا طال أمد الحرب؟ (2)	**181**
رسالة (5): {إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}	**194**
فهرس الموضوعات الإجمالي	**202**
فهرس الموضوعات التفصيلي	**204**

فهرس الموضوعات التفصيلي

الموضوع	الصفحة
رسالة (1): بعد عام من الطوفان.. تأملات، وحلول، وتوقعات	**1**
القسم الأول/ التأملات	**2**
النظرة الأولى: الحرب ومفهوم العقاب	3
أولاً: العلاقة بين العقاب والابتلاء	**3**
ثانياً: الفرق بين ابتلاء الإنذار والتنبيه والتسديد وابتلاء الرفع والتكميل	**6**
هل كان عندنا خلل وذنوب استجلبت عقاب التنبيه والإنذار؟	7
ثالثاً: أهم الذنوب الجالبة للعقاب والمضاعِفة له: عدم تحكيم شرع الله تعالى	**11**
من جهة الدليل المقاصدي	14
من مقتضيات تحكيم الشريعة: وضوح الراية وخلوصها	15
مثال: العلاقة مع أهل البدع	16
العلاقة بين وضوح الراية وإطفاء نار حرب اليهود	18
أهم الذنوب المضاعِفة للعقاب:	19
أولا: علو الرتبة	19
ثانيا: الاستخفاف بالذنب	22
هل يحاسَب الأئمة أو الحكام إذا زاغ الواحد منهم أو زلّ بجهل دون سوء نية؟	24
النظرة الثانية: التأصيل الشرعي لحرب طوفان الأقصى	25
1/ عقاب التنبيه والتسديد	25
2/ الثبات الصعب العظيم يمنع انكسار المسلمين واستباحة بيضتهم ودينهم ويبقي لواء الحق مرفوعاً	27
3/ الاعتماد بشكل أساسي –في المرحلة القادمة على الأقل– على الذين شاركوا في الحرب والرباط دون غيرهم	27

4/ إخفاء عناصر القوة بعد المعركة إلا إذا توجّب القتال مرة أخرى	28
النظرة الثالثة: تعانق السنن	29
أولاً: تعانق التكميل والتعاضد:	**29**
(أ) تعانق سنة العقوبة مع سنة الاصطفاء والتمحيص والإعداد ومع سنة العلو والإفساد الكبير لبني إسرائيل	29
لماذا يحصل هذا البلاء العظيم معنا نحن بالذات؟ وهل ذنوبنا تستوجب كل هذا البلاء الشديد في حين أن الفساد في البلاد الأخرى أكثر بكثير؟	31
(ب) سنة اتخاذ الشهداء واصطفائهم مع سنة الاستبقاء	32
(ج) سنة العقوبة العامة مع الابتلاء والتمحيص الخاص	33
(د) سنة التمكين للخلافة والتجديد مع سنة الدخول الثاني للمسجد الأقصى	35
هل هذه الخلافة هي خلافة المهدي	37
ثانياً: تعانق التداخل:	**38**
(أ) سنة إطفاء الحرب مع سنتي العقاب والإفساد الكبير	38
(ب) سنة التمكين الخاصة والعامة المتعلقة بفتح بيت المقدس	42
النظرة الرابعة: تصحيح بعض المفاهيم والتصورات في البناء الفكري	43
الأساس الأول: التعبئة الفكرية	43
الأساس الثاني: التعبئة الإيمانية	43
التخلية والتحلية	44
من الأمثلة على الخلل: تربية الأتباع أنهم على الحق المطلق	45
الخلل في مسألة فهم وتأصيل هذه الحرب شرعاً وما يترتب عليه من معاني إيمانية كبيرة	47
أسباب نفور كثير من الإخوة الأفاضل إذا قلنا إن هذه الحرب داخلة ضمن معنى العقوبة بمفهومها الإيماني العميق الذي يعني الرحمة في المحصلة	48

النظرة الخامسة: حكم الجهاد في غزة في معركة الطوفان	50
بالنسبة للجهاد	50
بالنسبة للسياسة	54
النظرة السادسة: تأملات في سورة الإسراء	56
1- {وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا}	56
2- {فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا} ضمير الغائب في كلمة {لِيَسُوءُوا} وما بعدها يعود على العباد في {عِبَادًا لَنَا..}	56
خطأ من قال أن الضمائر في قوله تعالى {لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا} تعود على اليهود وليس على المسلمين	59
بعض عقائد اليهود وتعاليم التلمود	62
3- آية وعد الآخرة تدل على وجود مراحل للفتح، بخلاف الأولى	64
المرحلة الأولى: مرحلة إساءة وجوههم	64
المرحلة الثانية: مرحلة دخول المسجد الأقصى وفتحه	67
المرحلة الثالثة: مرحلة التتبير	69
4- دلالة تكرار المضاف إلى الظرف المستقبل في أول السورة: {فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ ...} وفي آخرها: {فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ}	69
5- {وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا (2) ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا}	71
النظرة السابعة: سقوط نظام الأسد في سوريا	75
مقارنة بين حماس والإخوان من جهة وهيئة تحرير الشام وطالبان من جهة	75
الاتفاق بينهم/رايتهم دينية سنية ويتبنون الوسطية في الجملة	75
الفارق الجوهري/ في تحقيق ركنَي الإمامة في الدين	75
جذور الخلل عند الفريق الأول في جانب القوة العِلمية	77

جذور الخلل عند الفريق الأول في جانب القوة العَملية	78
أمثلة على الضعف والتميع في الجانب العلمي فيما يؤدي إلى تغيير معاني الشريعة وأحكامها	82
أ. الدكتور محمد مرسي رحمه الله	82
ب. الشيخ صالح العاروري رحمه الله	83
بعض الحجج الضعيفة في عدم تطبيق الشريعة	83
ج. الدكتور سعد الدين العثماني	85
د. الأستاذ راشد الغنوشي	87
شهادة ورأي الأستاذ محمد إلهامي	88
القسم الثاني/ التوقعات:	**93**
الأساس الذي تقوم عليه التوقعات	94
1. مصير ومآل الحرب والمفاوضات في غزة	96
2. المقاومة والحكم في غزة بعد الحرب وفي المرحلة القادمة	99
3. طرق ضعف دولة اليهود في المرحلة القادمة	104
4. انتخاب ترامب وتناغمه مع السنن	105
5. أشكال التغيير في الدول العربية في الموجة القادمة من الربيع العربي	108
6. مستقبل الثورة في سوريا	112
7. مآل جهود السلطة ضد المجاهدين في الضفة الغربية	114
8. النظام الدولي وميزان القوى	115
9. وقت المرحلة الثانية من الفتح "وهي دخول الأقصى وفتحه وزوال الكيان المسخ" في غضون عشر سنوات	116
مناقشة رأي الشيخ أحمد ياسين رحمه الله	117
تأمل آيات سورة المائدة {ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ...} 21-26 في ضوء الأمة الإسلامية	118

نقاط الارتباط والافتراق بين الأمتَين المتوارثتَين	119
تنزيل نقاط الارتباط والافتراق على الواقع	120
10. طريقة مرحلة دخول الأقصى وفتحه القريب هي طوفان ثان يشبه الأول	124
القسم الثالث/ الحلول:	**126**
أولا: تحديد الهدف	128
ثانيا: تحديد الخلل	130
هل وقف الحرب يُعدّ انتصارا لغزة برغم كل ما أصابها؟	130
من علامات العقاب –بالإضافة لما سبق بيانه–	133
ثالثا: الحل والعلاج:	137
أولا: على المستوى الفردي	**137**
ثلاثة أنماط من الناس ليسوا على الجادة في تعاملهم مع الجهاد والمجاهدين	138
ثانيا: على مستوى الحركة الإسلامية:	**139**
1. الحسم في تحديد الغاية العظمى وهي أن تكون كلمة الله تعالى هي العليا	141
2. الاهتمام الشديد بنقاء الراية ووضوحها لا سيّما فيما يتعلق بعقيدة الولاء والبراء	143
3. تصحيح مفاهيم: القوة في الدين، والوسطية، والتيسير	144
4. تقريب البِطانة التي تتبنَّى منهج القوة في الدين وإقصاء الأخرى	147
5. تشكيل لجنة من كبار علماء البلد وخِيرتهم الرَّبانيين المجاهدين مهمَّتها القيام بواجب القيادة من حراسة الدين وسياسة الدنيا به	148
6. الاهتمام الشديد بالعدل ورفع الظلم	150
7. اعتماد الجهاد كوسيلة أساسيّة للخروج والنجاة من براثن الجبريّة والحكومات الدكتاتورية	150
خاتمة: مقتطفات من سيرة الإمام المجدد الأول الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى	**153**
أهم شروط المجدد والصفات التي ينبغي أن تتوافر فيه حتى يُعدّ من المجددين	160
العوامل التي ساهمت في نجاح المشروع الإصلاحي لعمر بن عبد العزيز	162
رسالة (2): التعليق على عملية جباليا الثالثة	**165**

رسالة (3): لماذا طال أمد الحرب؟ (1)	173
رسالة (4): لماذا طال أمد الحرب؟ (2)	181
رسالة (5): {إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}	194
فهرس الموضوعات الإجمالي	202
فهرس الموضوعات التفصيلي	204